

ديوان

بحر الشكر الساب

المجلد الأول

العمارة - بيروت



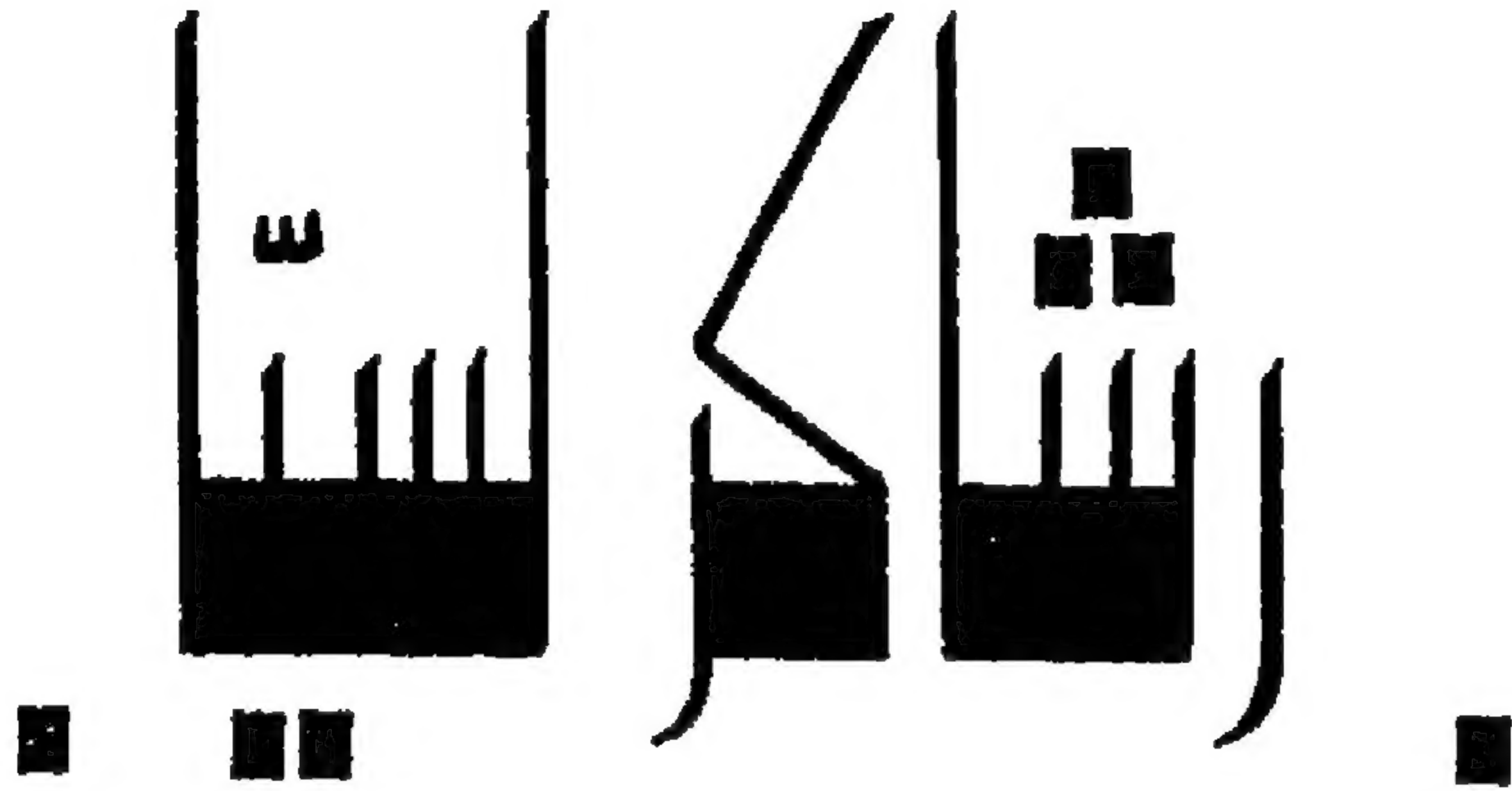
Bibliotheca Alexandrina



0148574

ديوان
بدر شاكر السياب

ديوانك



تلاز الغيرة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة

لدار العودة

١٩٨٩

يُطْلَبُ مِنْ دَارِ الْعَوْدَةِ - بَيْرُوتَ

خُكُورِيشِ الْمَرْعَةِ - بَنَاءِةٍ رِيفِيَّيَا سَنَتَرِ

تَلَفُونُ ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥

تَلَكِكْسُ E - L - ٢٣٦٨٢ MEREBI

ص.ب. ١٤٦٢٨٤

بدر شاكر السياب

بقلم : ناجي علوش

إن سنة ١٩٤٨ سنة حاسمة في التاريخ العربي الحديث ، فهي لم تشهد نكبة فلسطين فقط ، ولكنها شهدت بداية انهيار المجتمع العربي التقليدي ، التي تمثلت فيما بعد بانحيار أنظمة الحكم الرجعية في سوريا ومصر ، وبالحرركات الشعبية ضد السيطرة الاستعمارية في مصر والعراق .. وليس غريباً أن تشهد هذه السنوات ذاتها بداية حركة « الشعر الحر » في الوطن العربي .

إن انهيار المجتمع العربي التقليدي لم يكن انهياراً
فحسب ، ذلك أن قيمَ هذا المجتمع المتخلف المحافظ
أخذت تنهار أيضاً أمام الحركة النامية في أحشائه ،
تحت تأثير عوامل داخلية وخارجية . وكانت هذه
الحركة من العمق إلى درجة لم يستطع معها الشعر العربي
— وهو الذي لم يستطع التجديد الجذري أن يفتححه
منذ الجاهلية — أن يبقى حيث أراد له الخليل بن أحمد .
لقد بلغت الهزة الشعر العربي ، فعاد إلى مكانه من
حركة التطور ، وبدأ يتفاعل معها ، لتبدأ تجربة
« الشعر الحر » .

ولقد هيأت لهذه التجربة عوامل مختلفة أهمها :

أولاً : سقوط الوجود العربي التقليدي ، وزوال
صفة القداسة عنه ، ذلك أنه سقط سياسياً ، وسقط
اجتماعياً ، وسقط فكرياً .

ثانياً : دراسة تجارب الشعر الغربي ، ولا سيما
الفرنسي والانجليزي ، والتأثر بتياراته المختلفة .

ثالثاً : تسرب الفكر الاشتراكي عامة ، والماركسي

خاصة ، إلى بلادنا وكفاحه من أجل التحرر والتجديد وربطه بينها .

ولقد حدثت قبل سنة ١٩٤٨ ارهاصات في مجال التجديد الشعري أهمها محاولات الدكتور لويس عوض في « بلوتولاند وقصائد أخرى » ، وترجمة علي أحمد باكثير لمسرحية شكسبير . والجدير بالذكر ان هذه المحاولات ظلت سنوات دون نشر ، حتى قبيض لها أن تصدر سنة ١٩٤٧ . وتعتبر محاولات الدكتور لويس عوض جادة وهامة لأنها تخطت مفاهيم الشعر العربي تخطياً نهائياً ، إذ إنه حاول أن يبتكر أوزاناً جديدة سواء بالاستفادة من العروض العربي ، أو بالاستفادة من العروض الانجليزي ، كما حاول أن يحرر الشعر من اللغة الجامدة ، لغة المعاجم والفقهاء . وتضم هذه المجموعة قصائد فصيحة وقصائد عامية ، قصائد موزونة وقصائد غير موزونة^(١) .. انها مجموعة تجارب واعية . ولكن صدورها سنة ١٩٤٧ ، جعلها ذات

(١) - مجلة حوار - العدد ٢٠ ، صراع المتناقضات في الشعر الحديث - غالي شكري .

أثر محدود في تجربة الشعر الحديث . لقد ضاعت في
الموجة التي أخذت تتسارع في السنة التالية غير ملتفتة
إلى شيء .

بدر والقصيدة الحديثة

كانت بغداد تشهد مدأ يسارياً منذ نهاية الحرب
العالمية الثانية . وكان في دار المعلمين العالية في بغداد
طالب قديم من جيڪور في جنوب العراق ، يدعى
بدر شاكر السياب ، يدرس الأدب الأنجليزي ،
وينتمي للحزب الشيوعي العراقي . كان بدر غريباً في
المدينة ، وغريباً في نفسه ، ولكنه كان - وهو ابن
الفلاح - ضد المدينة ... انه يرفضها سياسياً لأنها
تضطهده ، تحوله الى تابع مهان ، ويرفضها اجتماعياً
لأنها تحوله الى عبد محروم . . فلم يكن بدعاً أن
يرفضها ثقافياً ، خاصة والدعوة الشيوعية « دليله » ،
والثقافة الغربية مادة دراسته .

كان الفتي الغريب بطبعه ووضعه رومانسياً ،
ولكن رومانسيته لم تكن رومانسية وطن يتقدم نحو

الأزدهار ، بل كانت رومانسية وطن يعيش مرحلة
تخلخل سياسي واجتماعي ، وتعاني أكثرية الشعب
فيه أقسى أنواع الإضطهاد والحرمان. الرومانسية هنا
ليست مترفة ، ليست تهويمات برجوازية « صناعية »
صاعدة ، ولا تأوهات برجوازية وسطى تضيق
بأطروحياتها وتقاليدها .. انها رومانسية برجوازية
صغيرة مذلة مهانة محرومة ، ترزح تحت وطأة تقاليد
اجتماعية قاتلة ، وتجاهه تخلف مجتمع شبه إقطاعي
شبه مستعمر ، وهي هزيمة التكوين والفكر . من هنا
كانت الرومانسية جزءاً من الثورة السياسية الاجتماعية
فتحولت من « تبرم » الى « رفض » وتجاوزت
الضبابية والغموض - الى حد - لتطرح قضية التغيير
الجذري للمجتمع .

وحين بحثت رومانسية البرجوازية الصغيرة هذه
عن دليل للثورة، وجدت الماركسية فتبنتها ، واتحدتا
معاً ... كان بدر ابن هذا الاتحاد القلق ، فأمن بالتغيير
ولكنه ظل محافظاً على حرمة التراث ، وسمح لنفسه
أن يتجاوز تقاليد العمود الشعري العربي ، ولكنه

ظل وفياً للتراث ، فلم يتجاوزه أبداً ^(١) . لم يكتب قصيدة الزثر ، ولم يستعمل العامية ، ولم يتجاوز الأسس المتعارف عليها في العروض العربي ، إلا في أقل القضايا أهمية ، وهي عدد التفاعيل .

ومع ذلك فقد كان بدر رائداً من رواد التجديد .
هل كان أول الرواد ؟ ...

أنها قضية مختلف فيها . وهنالك ما يدعو الى الالتباس . ذلك أن القضية ليست واضحة تماماً . فمن الناحية التاريخية سهل علينا أن نحدد تواريخ كثير من القصائد التي تعتبر القصائد الأولى في تجربة « الشعر الحر » ، ولكنه ليس من السهل أبداً أن نحكم أي من هذه القصائد هي النموذج الأول لتجربة الشعر الحديث . ومع هذا فسنحاول أن نطرح القضية زمنياً ، وشعرياً .
هنالك اتفاق من الناحية الزمنية على أن محاولات الدكتور لويس عوض وعلي أحمد باكثير هي الحائزة

(١) أكد لي صديقه محيي الدين اسماعيل هذه الحقيقة ، كما أكدها لي الشاعر شخصياً .

قصب السبق في هذا المجال . ولكن هذه المحاولات كانت كالصيحة في الوادي ، فالدكتور لويس عوض وعلي أحمد باكثير لم يخوضا معركة التجديد .. ولم يدخلوا معركة التجربة الشعرية الجديدة بالشعر ... لقد توقفا من حيث كان البدء . ويبدو أن محاولتهما لم تكن ذات أثر في العراق . نستدل على ذلك من المناقشات التي دارت على صفحات الآداب حول « الشعر الحر » ، والتي اشترك فيها السياب نفسه . فما من أحد أشار إلى محاولات لويس عوض وباكثير ، من المتناقشين ، إلا صلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب . أما السياب فقد مر مروراً عابراً بعلي أحمد باكثير ، معتبراً إياه أول من كتب « الشعر الحر » ، ولم يشر أبداً للويس عوض . وأما صلاح فقد ذكر لويس دون باكثير^(١) يبدو أن بدرأ لم يقرأ محاولات لويس عوض ، وإلا فما كان من سبب يدعوه لعدم ذكره ، ما دام يعترف بالأولوية لباكثير^(٢) . ثم

(١) الآداب ، حزيران - تموز ١٩٥٤ ويناير ١٩٥٥ .

(٢) يذكر بدر في مقدمة « أساطير » اسمي الياس أبو شبكة و خليل شيبوب .

أن صدور محاولات عوض وباكثر سنة ١٩٤٧ ، وان كانت قد كتبت قبل هذا التاريخ بسنوات يجعل تأثيرها محدوداً - إن كان لها تأثير خارج مصر - ذلك أن التجربة في العراق كانت تعطي أولى ثمارها في هذا التاريخ .

تروي السيدة نازك الملائكة أنها نظمت قصيدتها الكوليرا يوم ٢٧/١٠/١٩٤٧ ، التي نشرت في أول كانون الأول من العام نفسه ، كما تذكر أن الشاعر بدر شاكر السياب أصدر ديوانه « أزهار ذابلة » في بغداد في منتصف كانون الأول من ذات العام ، وكانت فيه قصيدة بعنوان « هل كان حياً » ، علق عليها في الحاشية بأنها من الشعر المختلف الأوزان والقوافي^(١) .
وهناك اتفاق بين من كتبوا حول الموضوع على أن ديوان بدر « أزهار ذابلة » صدر في كانون الأول^(٢) .

(١) قضايا الشعر المعاصر - ص ٢٣ - ٢٤ ، ط ٢ مكتبة النهضة بغداد .

(٢) الآداب - شباط ١٩٥٢ ، حول الشعر المتحرر في العراق ، صالح عبد الغني كبه ص ٥٠ - ٥١ .

ويذكر صالح عبد الغني كبه ان رفائيل بطي علق في مقدمة « أزهار ذابلة » على قصيدة متحررة فيه ^(١) ، ولكن بدر نفسه يذكر أن ديوانه « أزهار ذابلة » طبع في مصر ، وأنه وصل إلى العراق في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٧ ، وان قصيدة « هل كان حباً » المكتوبة على طريقة الشعر الحر قد كتبت قبل طبعه بما لا يقل عن شهرين - إذا كانت المسألة مسألة حساب فقط - وبأكثر من عام كما هي الحقيقة ^(٢) . وقد نشرت قصيدة « هل كان حباً » في مجموعة « أزهار وأساطير » ^(٣) التي طبعت سنة ١٩٦٠ عندما كان بدر يعالج في بيروت ، وقد وضع تحتها التاريخ التالي: ١٩٤٦/١١/٢٩ . وينسجم هذا التاريخ مع ما ذكره بدر أعلاه . ويذكر بدر أيضاً أنه نشر خمس قصائد من « الشعر الحر » في الفترة الواقعة بين ظهور « أزهار ذابلة » و « الكوليرا » . ولكن بدر لا يذكر أسماء هذه القصائد ، ولا أين نشرت . ومن المفروض أن

(١) المصدر السابق .

(٢) الآداب - حزيران ١٩٥٤ ص ٦٩ .

(٣) إصدار دار مكتبة الحياة .

تكون قد نشرت في الفترة الواقعة بين كانون الثاني
١٩٤٧، وكانون الأول من العام ذاته ولا توجد قصائد
« حرة » يعود تاريخها إلى سنة ١٩٤٨ . أما القصائد
المنشورة فيعود تاريخها بالترتيب كما يلي : أساطير
٤٨/٣/٢٤ ، سراب ٤٨/٣/٢٧ اتبعيني ٤٨/٤/٢١ ، نهاية
٤٨/٥/٢٦ ، في القرية الظلماء ٤٨/٦/٢٠ ، سوف أمضي
٤٨/٢/٣٠ ، أغنية قديمة ٤٨/٧/٢٠ ، في ليالي الخريف ،
٤٨/٩/١٧ ، في السوق القديم ٤٨/١١/٣ ، اللقاء الأخير
١٩٤٨ دون تاريخ محدد .

ومن الجدير بالذكر أن بدرأ لم يجد - حين نشر
رده ، وبعد ذلك - من يناقشه في صحة المعلومات
التي أوردها ، والغريب أن نازك الملائكة أصدرت
كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ، وأوردت وجهة
النظر الواردة آنفاً ، والمخالفة لوجهة نظر بدر ،
ولكنها لم تكلف نفسها عناء مناقشة ما أورده بدر ،
مع أنني أستبعد أن تكون غير مطلعة عليه .

هنالك فرق زمني يبلغ عشرة أشهر وثمانية وعشرين
يوماً بين تاريخ قصيدة بدر « هل كان حباً » ، وتاريخ
قصيدة نازك « الكوليرا » . وهذا يعني أن بدرأ كتب

هذه القصيدة قبل صدور ترجمة باكثر لمسرحية
شكسبير^(١) ، وقبل صدور مجموعة الدكتور لويس
عوض، ولكن هذا السبق الزمني لا قيمة له عملياً ذلك
أنه وإن كان يسجل لبدر سبقه في هذا المضمار ، إلا
أنه لا يجعله معلماً رائداً لأبناء جيله .. لنأذك الملائكة
وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وغيرهم .
لقد أعلن بدر إشارة البدء - بعد أن أعلنها الدكتور
لويس عوض ولكنه لم يدخل الميدان - وما كاد يدخل
الميدان حتى وجد عدداً من الشعراء يخوض الشوط
معه . وكان كل شاعر من هؤلاء ذا تجربة خاصة ،
وله من الامكانيات ما لبدر أو بعض ما لبدر، وخلال
الشوط الطويل تكوّن هؤلاء الشعراء ، ونضجت
تجربة « الشعر الحر » كان كل واحد منهم يأخذ من
النهر ، منمياً طاقاته وامكانياته . وإن كان كل منهم
يحتفظ بمصادر طاقته الخاصة . ولكن كل واحد منهم
كان يحاول اللحاق ببدر ، ويتأثر به بشكل أو آخر.

* * *

لنعد إلى قصيدة بدر الأولى « هل كان حبا » ،

(١) كان بدر يعلم ان ترجمة باكثر التي نشرت سنة ١٩٤٧ كانت
مهياة للنشر منذ سنوات .

لنرى ما فيها من التجديد . انها تتكون من أربعة مقاطع من بحر الرمل (فاعلاق مكررة ثلاث مرات بالأصل) . ولقد خرج بدر على قاعدة الخليل بن أحمد التي تقضي بال التزام ثلاث تفعيلات في الشطر الواحد إذا كان البحر تاماً ، وبأثنتين إذا كان مجزوءاً ، فجاءت بعض الأبيات من تفعيلتين وبعضها من ثلاث وبعضها من أربع دون نظام معين . وإن كان يبدو من دراسة القصيدة أن بدرأ حاول الالتزام بنظام معين فيها ، ولكن الزمام أفلت من يده . يدل على ذلك المقطع الأول الذي يتكون من سبعة أبيات^(١) الثلاثة الأولى منها ذات ثلاث تفعيلات ، والبيتان التاليان أربع أما السادس والسابع فمثل الأبيات الثلاثة الأولى . ونلاحظ ان قافية الأبيات الثلاثة الأولى منسجمة مع قافية البيتين الأخيرين . إلا ان المقاطع الأخرى لا تخضع لنفس الترتيب في التفعيلات ، وان كان الثاني يخضع لنفس الترتيب في القافية . اما الثالث فقد كان مقدراً

(١) سميتها أبياتاً مع أن بعضها أشطر حسب الاصطلاح التقليدي .
أما في هذه الدراسة فالبيت والشطر شيء واحد .

له ان يكون مثل سابقه من حيث القافية . ولكن
الأبيات الأربعة الأخيرة التقت في قافية واحدة .
ويخرج المقطع الرابع - من حيث القافية - عن إطار
ما التزم في المقاطع السابقة ، إذ تتوالى القافية الواحدة
في شطرين متتابعين ، ما عدا الشطر الثالث الذي
ظل وحيداً .

ونلاحظ في هذه القصيدة :

١ - استعمال تفعيلات الرمل - كاملاً ومجزؤاً -
دون نظام معين .

٢ - محاولة التخلص من التزام قافية واحدة
التزاماً محددأ .

ويبدو أن التطور الذي حدث في هذه القصيدة
جاء عفويأ ، لأنها ابتدأت بنظام معين - وزناً
وقافية - ولكنها تجاوزت ما بدأت به ، وإن كانت
لم تنته إلى استعمال التفعيلة الواحدة في الشطر الواحد ،
ولا إلى تجاوز أي نظام للقافية . إن ما فعله بدر في
هذه القصيدة هو انه أجاز لنفسه الانتقال من تفعيلتين
إلى ثلاث فأربع انتقالأ غير منتظم .

وقد حقق بدر الانتقال إلى استعمال التفعيلة الواحدة
في قصيدته « سوف أمضي »^(١) لأول مرة ، فيما
نعرفه من قصائده . إلا أن هذه القصيدة تلتزم نظاماً
معيناً في الوزن والقافية ، ما عدا شطراً واحداً في
المقطع الأخير . ولعل قصيدته أساطير^(٢) تحقق
قفزة إلى الأمام في مجال التخلص من عمود الشعر
التقليدي . فالقصيدة من المتقارب (فعولين مكررة
أربع مرات في كل مرة) ولم يعرف الشعر العربي
لهذا البحر مجزوءاً ، ولا مخلوعاً (استعمال ثلاث
تفعيلات)^(٣) . وقد جاء بدر فحرر هذه التفعيلة من
عمود الخليل ، لترد فرادى أو مثنى أو ثلاث أو رباع
دون انتظام :

تعالى فما زال لون السحاب
حزينا يذكرني بالرحيل
رحيل ؟ ... !

(١) أزهار وأساطير ص ٤٧ من هذه المجموعة وتعتمد هذه المجموعة
كمراجع إلا حيث ذكر ذلك .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣ .

(٣) تسمية اصطلاحية ليست له .

تعالى ، تعالى . نذيب الزمان
وساعاته فى عناق طويل
ونصبغ بالأرجوان
شراعاً وراء المدى
وننسى الغدا
على صدرك الدافئ العاطر
فتهوية الشاعر
تعالى فملء الفضاء
صدى هامس باللقاء
يوسوس دون انتهاء

ونستطيع أن نلاحظ هنا أن بدرأً تحرر من
اتباع نظام معين فى تواتر القوافى ، وإن كان يميل
للإتيان بالقوافى المتماثلة فى الأشرطة المتتالية ، وكثيراً ما
تتابع القوافى أو تتوالى .

ولقد تقدم بدر خطوات خلال سنة ١٩٤٨ ، وكانت
« أغنية قديمة » و « السوق القديم » أفضل شعره
« الحر » . أخذت قصيدة بدر تتحرر من مظاهر

القصيدة التقليدية ، وتسير نحو الوحدة والجريان ،
وهي خلال ذلك تبحث عن أساليب التعبير المناسبة ،
مثل التعبير بالصور بدل التعبير المباشر . ومع أن
قصيدة نازك « الكوليرا » أقرب للشعر « الحر » من
قصيدة بدر « هل كان حياً » ، إلا أن قصائد بدر
التي يعود تاريخها لسنة ١٩٤٨ أكثر تفتحاً وانطلاقاً
من قصائد نازك ، وأكثر جدارة باعتبارها لبنات
أساسية في أساس تجربة الشعر « الحر » . وأنه
لضروري أن نسجل لنازك الملائكة قدرتها على إيضاح
أسس التجربة الجديدة في مقدمة « شظايا ورماد »
الذي صدر سنة ١٩٤٩ بينما عجز بدر عن أن يفعل
ذلك في مقدمة مجموعته « أساطير » الصادرة سنة ١٩٥٠ .
وما ذلك في رأيي إلا نتيجة تفوق نازك في ميدان
الدراسة . وهذا ما جعل نازك تتفوق ، فيما بعد في
ميدان الدراسات الأدبية ، بينما تفوق بدر شاعراً .

وهناك ثغرة مازالت تعترض سبيل الذين يدرسون
شعر بدر . فشعره ليس كله منشوراً ، وليس — فيما
قرأنا — أية قصيدة تعود لسنوات (٤٩ — ٥٢) .

وهذه السنوات الأربع هامة لأنها السنوات التي تلت
تخرجه من جهة ، ولأنها سنوات نشاطه الشيوعي من
جهة ثانية . ومع اني ما زلت أحاول أن أسد هذه
الثغرة إلا أنني أتساءل لماذا لم ينشر بدر شيئاً من قصائد
هذه الفترة ؟ (١)

ونستطيع أن نغز أربع مراحل في حياة بدر وفي شعره:
الأولى : الرومانسية ١٩٤٣ - ١٩٤٨ .
الثانية : الواقعية ١٩٤٩ - ١٩٥٥ .
الثالثة : التموزية أو الواقعية الجديدة ١٩٥٦ - ١٩٦٠ .
الرابعة : الذاتية ١٩٦١ - ١٩٦٤ .

١ - نشر اعلان في مجموعته «اساطير» عن قرب صدور ديوانه السياسي
والاجتماعي بعنوان « زئير العاصفة » ولكن هذه المجموعة لم تصدر . ولا
يعرف أين ذهبت موادها .

بدر الرومانسي

بدأت الحرب العالمية الثانية ، وبدر في أول بلوغه .
وهكذا فتح الفتى عينيه على عالم يهتز . وكان الوطن
العربي في هذا الوقت ، يغلي بمختلف مشاعر التمرد
والرفض ، التي لا تتجه نحو الاستعمار فقط ، بل نحو
التقاليد البالية أيضاً . وكانت الحركة الرومانسية في
الوطن العربي ، قد بلغت ذروة مجدها ، ممثلة في مدرسة
أبولو ... وكان بدر في الوقت ذاته ، يعاني مأساة
خاصة . لقد توفيت أمه ، وتزوج أبوه . ويبدو أن
الحادثتين أثرتا كثيراً في نفسه ، لنسمعه يقول من
قصيدة عنوانها « خيالك » :

خيالك من أهلي الأقربين
أبرئ وإن كنت لا يعقل
أبي منه قد جردتني النساء
وأمي طواها الردى المعجل
وما لي من الدهر إلا رضاك
فرحماك فالدهر لا يعدل^(١)..

وكانت جدته قد توفيت أيضاً ، ويبدو أنها حلت
في ذهنه محل والدته ، فصدمة موتها صدمة عنيفة :
وكان ان كتب قصيدة بعنوان « رثاء » جدتي بتاريخ
١٩/٩/٤٢ جاء فيها :

جدتي من أثبت بعدك شكواي طواني الأسى وقل معيني
أنت يا من فتحت قلبك بالأمس لحي أوصدت قبرك دوني
فقليل علي أن أذرف الدمع ويقضي علي طول أنيني
ليتني لم أكن رأيتك من قبل ولم ألق منك عطف حنون
آه لو لم تعوديني على العطف وآه لو لم أكن أو تكوني...^(٢)

(١) اقبال ط ، اولى ، حزيران ١٩٦٥ ، ص ٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٨ .

كانت مأساة بدر تكمن في غربته... غربته الأبدية
عن أمه ، وعن أبيه ، وعن جدته . وكان يعيش في
مرحلة اشتد الصدام فيها بين القيم والواقع ، بين الماضي
والحاضر . وكان هذا كله ، يجعله دائماً يبحث عن
مشكل أعلى ، ليس موجوداً . انه يرفض ان يقبل
الواقعي ، لأنه مؤلم .. لأنه الموت ، لأنه فراق أمه
وأبيه وجدته ... ولأنه خيانة وغدر وبؤس . لقد
أحب « لبيبة » وهي تكبره بسبع سنوات ، كما جاء
في هامش كتبه بخط يده (١) ، ولكنه لا يخاطب
لبيبة كما يخاطب الحبيب حبيبته ، بل كما يخاطب الطفل
أمه ، وهو لا يخاطب لبيبة نفسها ، لأنه لا يريد أن
يجعل من حبه واقعياً ، بل يخاطب خيالها :
خيالك من أهلي الأقربين أبرّ وإن كان لا يعقل
وليس هذا غريباً ، فهو لا يحب انسانية حية ...
إنه يحب خيال انسان . فلا غرو إذا رأيناه بعد هذا
كله ، يرفض أن يتدنس نفسه بحب فتاة « الهوى والثرى » .
أعفرت من كبريائي النداء ؟ ورجعت آمادي القهقري

(١) في دفتر مخطوط بحوزتي .

نسيت التي صورتها مناي وناديت أنثى ككل الورى
وأعرضت عن مسمع في السماء إلى مسمع في تراب القرى
أتصفي فتاة الهوى والخيال وأدعو فتاة الهوى والثرى

في مثل هذه الحالة ، يصبح الحب ضائعاً ، وتصبح
« الحبيبة » سراباً ، تصبح مثل ذلك الطائر الخداع
الذي يسمى « ملاهي الراعي »^(١) . ويبيد بدر في
قصيدته « ضلال الحب »^(٢) نغمته على المرأة ، فلا
يجد أفضل من قصة آدم وحواء ، دليلاً على ما تصنعه
بالرجل ، وكيف تقوده إلى الهاوية .

وزاد من شعور بدر بالغربة هجرته من الريف الى المدينة .
هنا يبدأ الضياع الكبير الذي ترك آثاره العميقة في
مستقبله كله . وعلى الرغم من أن قصيدته « المساء
الأخير »^(٣) التي كتبها ليلة مغادرة الريف ، وكتب
تحت عنوانها « آخر مساء قبل مغادرة الريف » ،
ليست حارة حادة ، فإنها تمثل ارتباطه بالريف ،

(١) قصيدة همسك الهاني - اقبال صفحة ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

وارتباط الريف بالحلب . وهو قبل أن يغادر لا يطمح
بلقاء ، لأن هذا مستحيل بل يطمح إلى نظرة ...
وهو في المدينة غريب ، هذا ما يحس به ، فيحلم
« بالليالي القمرات وبالنخيل » ... يحلم بالرحيل إلى
الريف .

* * *

ليس في شعر هذه المرحلة ما يلفت النظر إلى أن
بدر سيصبح شاعراً كبيراً ، إنه شعر عادي تقليدي
فيما عدا القصائد التي ذكرناها . وقصائد هذه المرحلة
غزلية على الأغلب أو من شعر الحنين . لقد كتبها بدر
وهو في سن تتراوح بين السادسة عشرة والثالثة
والعشرين . وليس في هذه القصائد ما يدل على أنه
تأثر خطي أحد من الشعراء الرومانسيين العرب ،
وذلك لأن رومانسيته من طراز فريد أولاً ، ولأن
الرومانسية العربية رومانسية مترفة ، وكانت قد بلغت
ذروة مجدها ، وأخذت في الأفول عندما بدأ بدر
يتنفس شعراً . فبدر شاعر « مأزوم » ، وقد عانى
الأزمة على صعيد المثل ، وعلى صعيد وجوده الفردي ،

بينما كانت الرومانسية العربية حاملة سابحة في خيالات
حسية ومترفة . لقد وقف هذا الحاجز بين بدر
والرومانسية العربية ، وإن كان على ما يبدو معجباً
بعلي محمود طه ، وقد طلب منه تقديم قصيدته « بين
الروح والجسد » ، ولكن علي محمود طه مات قبل أن
يلبي رغبة بدر . ويبدو هذا التأثير أحياناً باستعمال
الصور الحسية والصفات الحسية المترفة المتتالية مثل :

أمنيات دغدغت حسي باغماء طروب
وانتشاء فاطر الآماد نعسان الطيوب
الأريج الدافئ المغناج منغوم الهبوب
أسكرته الليلة القمرء في سهل رطيب^(١)

غير أن عدم وقوع بدر تحت تأثير الرومانسين
العرب ناتج عن أنه اطلع على الآداب الأجنبية ،
والانجليزية خاصة ، خلال دراسته في دار المعلمين العالية
في بغداد التي تخرج منها سنة ١٩٤٨ . كان بدر يدرس
الأدب الانجليزي ، وقد أتاحت له دراسته التعرف إلى

(١) محيي الدين اسماعيل - ملامح من الشعر العراقي الحديث - مجلة
الآداب - يناير ١٩٥٥ .

الأدب الانجليزي ، فتأثر به كثيراً ، وخاصة بشلي
و كيتس . ويبدو تأثره واضحاً في بعض القصائد .
فهو مثلاً في « ذكرى لقاء » يترجم مقطعاً لجون
كيتس ، مشيراً إلى ذلك في الهامش . وهذا هو المقطع :
وتمتد يمينك نحو الكتاب كمن ينشد السلوة الضائعة
فتبكي مع العبقري المريض وقد خاطب النجمة الساطعة

تمنيت يا كوكب
ثباتاً كهذا - أنام
على صدرها في الظلام
وأفنى كما تغرب

والعبقري المريض - كما يشير الهامش المذكور -
هو « الشاعر الانجليزي جون كيتس » الذي « مات
مسلولاً في الخامسة والعشرين من عمره » ، وآخر ما
كتبه قصيدته التي يخاطب بها كوكباً في السماء » (١) .
ويرى الدكتور لويس عوض أن قصيدة « رئة
تتمزق » (٢) تعتبر تنويعاً على قصيدة كيتس « أنشودة

(١) أزهار وأساطير ص ٨٢ . ط أولى

(٢) أزهار وأساطير ص ٤٢ .

إلى بلبل ، ، كما أن قصيدة « اتبعيني »^(١) تعتبر تنويعاً على قصيدة شلي « اتبعيني .. اتبعيني » من بروميثوس طليقاً^(٢) . ولكن السياب لم يقلد أحداً ، وكما لم يستطع أن يسير تحت راية الرومانسيين العرب ، لم يستطع أن يحمل راية الرومانسيين الانجليز . فالسياب لم يكن يحلم فقط ، ولم يكن قانعاً بالخدر ... إنما كان يحلم بالثورة ... العاصفة الهوجاء التي تمنحه الحرية والحب .

(١) أزهار وأساطير ص ٣٨ .

(٢) ملحق الأهرام الأسبوعي ٥ - ٣ - ١٩٦٥ .

بدر الواقعي

أصبح بدر في أوائل الأربعينات عضواً في الحزب الشيوعي . متى أصبح شيوعياً ؟ ليس معروفاً حتى الآن بالضبط . انه يؤكد أنه أصبح شيوعياً ، هو وعمه الأصغر عبد المجيد عن طريق شخص إيراني ، ولكنه لا يذكر متى . وهو يؤكد انه خلال الحرب العالمية الثانية كان يقوم بالدعاية للشيوعية والنازية^(١) . وقد اتصلت بالأستاذ محمد علي الزرقا أحد زملائه في الجامعة ، فذكر لي أن بدرأ كان عضواً مؤازراً للحزب ، من السنة الأولى لدخوله الجامعة ، وانه ظل كذلك

(١) الحرية، المراقبة العدد ١٤٤١ .

حتى ترك الأستاذ الزرقا بغداد سنة ١٩٤٥ . ويذكر
الأستاذ الزرقا أيضاً أن بدرأ كان من جماعة القاعدة ،
أي حزب فهد ، وأنه كان حتى آن ذاك يخلط بين
الويعي والرفض . وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه بدر
نفسه .

ومما يرويه الأستاذ محمد علي الزرقا أن بدرأ نظم
سنة ١٩٤٤ قصيدة طويلة نشرت في مجلة « واسط » ،
قارن فيها بين ثورة دجلة الذي فاض وثورة الجماهير .
ويؤكد ما يذكره الأستاذ الزرقا ان بدرأ انتسب
للحزب سنة ١٩٤٥ ^(١) ولقد بقي بدر في الحزب
الشيوعي مدة ثماني سنوات .

ولقد كلفت بدرأ هذه التجربة كثيراً ، إذ إنه
اضطهد وشرّد ، ولكنها أفادته كثيراً ، إذ حولت
إحساسه الفردي بالفاجعة إلى إحساس بفاجعة
الجماعة مؤقتاً . كان الموت ، فيما مضى ، موته
موت أمه فقط ، أما الآن فقد أصبح الموت عامة

(١) عباس ، احسان : بدر شاعر السياب ، دراسة في حياته وشعره ،
صفحة ٨٩ . دار الثقافة بيروت .

موت الآخرين . وكان في الماضي يبحث عن خلاصه وحده ، أما الآن فقد أصبح يبحث عن خلاصه بـخلاص الآخرين . أدرك في هذه المرحلة بأن فاجعته ليست فاجعته الخاصة بل فاجعة شعبه . ونستطيع أن نتبين موقفه هذا من خلال قصائده : ١ - فجر السلام ٢ - حفر القبور ٣ - الأسلحة والأطفال ٤ - المومس العمياء .

ونلمس في كل قصيدة ، من هذه القصائد على اختلافها ان مصير الانسان ليس مصيراً فردياً منعزلاً ، انه جزء من المجتمع والتاريخ . وان في المجتمع قوى ظلم واضطهاد ودمار ، ولكن فيه أيضاً قوى خير ومحبة . في « المومس العمياء » تتحرك الأمور ضمن إطارها الموضوعي . الفرد هنا يعيش ضمن هذا الإطار ، وفاجعته ليست خارجة عنه ، إنما هي جزء منه . ما من شيء هنا يحدث اعتباطاً وصدفة . الموت ليس قدراً بلا علة ، كموت الأم انه هنا نتيجة ظرف اجتماعي معين . والدعارة ليست نزوة انها ظاهرة اجتماعية . وقد استطاع السياب ان يحشد في قصيدته هذه مجموعة

من المتناقضات التي تحفل بها الحياة العربية والتي تمثل الفساد والضعف والانحلال . ويقدم السياب حفار القبور مثلاً لذاك الإنسان الأناني ، الذي يتمنى ان يموت الآخرون لكي يحصل على ما يوفر له المتعة : وحفار القبور هذا رمز لكل « طفيلي » لا يفكر الا بنفسه . وبدر عندما يقدم حفار القبور ، لا يقدمه على انه « حالة فردية » بل على انه حالة اجتماعية ففي المجتمع المفكك المنحل ، تولد طبقة تعيش من موت الآخرين : وشأن هذه الطبقة شأن حفار القبور الذي يتمنى ان يموت الآخرون لينعم بملذات الدنيا . اما الأسلحة والأطفال وفجر السلام ، فإنها تؤكّدان الانتصار على تجار الموت وغيلان الدمار .

تجاوز بدر في هذه المرحلة شلي و كيتس إلى ستيفن سبندر وروبرت بروك ووليم هنري دافيس وادغار الن بو ما بين ١٩٤٨ - ١٩٥٠ ، ثم تجاوز هؤلاء إلى ت . س . اليوت وأديث ستويل . وكان في الوقت ذاته يكافح مع الحزب الشيوعي العراقي ضد الطغيان

والمؤامرات الاستعمارية ، وينهل من الثقافة الشيوعية .

تضم هذه المرحلة قصائد متباينة ، لا يمكن أن تخضع لمقياس نقدي واحد ، سواء من حيث تركيبها أو مضمونها . ويكفي أن نذكر في هذا المجال « فجر السلام » و « حفار القبور » و « المومس العمياء » و « الأسلحة والأطفال » و « انشودة المطر » . فمن حيث البناء الفني تقف القصائد الأربع في جهة ، وانشودة المطر في جهة أخرى . « أنشودة المطر » نموذج من نماذج شعرنا « الحر » ، بينما « المومس العمياء » مثلاً يمكن ارجاعها إلى نهاية المرحلة السابقة من حيث تركيبها ... إنها بسيطة جداً تعتمد على تنويع بسيط في استعمال التفاعيل ، ولكنها في الغالب تتكون من أبيات متساوية تتواتر قوافيها أو تتوالى ، وتعتمد أسلوب التعبير المباشر ، وإن كانت في مجموعها تقوم على « رمز » . ولا تختلف عنها « حفار القبور » أو « الأسلحة والأطفال » في شيء . وإن كانت « الأسلحة والأطفال » أكثر تعبيراً عن الواقعية الاشتراكية في مضمونها . أما « فجر السلام » فهي أقرب ما تكون

إلى الشكل التقليدي ، وتذكرنا بالمواكب لجبران خليل جبران ، لأنه يستخدم التنويع عينه (١) .

في هذه المرحلة أصبحت الأسطورة جزءاً من قصيدة بدر . ولعل « المومس العمياء » أكثر قصائده تحمة بالأساطير التي تبدأ بياجوج وماجوج وتنتهي بميدوزا . انك وأنت تقرأ بعض قصائده تشعر انه صرف أياماً وليالي وهو يجمع الأساطير من كل كتاب ، حتى يقدمها لك في قصيدة ، ترابط الهوامش حولها من كل جانب .

وقد أعاد السياب للقصيدة العربية ارتباطها بقضية الجماهير عن طريق كثير من تفاصيل الحياة اليومية ، التي تتحول إلى رموز ذات أبعاد ودلالات . « المومس العمياء » و « حفار القبور » ، والبائع المتجول الذي يشتري الحديد العتيق ، تحول من بعض جزئيات في الحياة اليومية إلى رموز لقوة الحياة وحرمانها ،

(١) استخدم جبران البسيط ومجزوء الرمل ، واستخدم بدر البسيط وبحوراً ومجزوآت بحور أخرى .

وأناية الفرد الذي يتمنى ان يموت الآخرون ليعيش ،
السخ ...

ولكن بدرأ لم يكن واقعياً بالمعنى الحرفي للكلمة ،
ولا واقعياً اشتراكياً بالمعنى الضيق ، ان شعره في هذه
المرحلة ليس كله تصويراً خارجياً لبعض مظاهر الحياة ،
وليس كله هتافات وشعارات ، ولكنه شعر يلتزم
بقضية كبرى ، ويعبر عن اهداف سياسية . إن
انشودة المطر هي خير مثال على ما اقول :

» أكاد اسمع العراق يذخر بالرعود

ويخزن البروق في السهول والجبال

حتى اذا ما فض عنها ختمها الرجال

لم تترك الرياح من ثمود

في الواد من اثر

اكاد اسمع النخيل يشرب المطر

واسمع القرى تشن والمهاجرين

يصارعون بالمجازيف وبالقلوع

عواصف الخليج والرعود منشد،

مطر ...

مطر ...

مطر ...

وفي العراق جوع

وينثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشوان والحجر

رحى تدور في الحقول حولها بشر .

مطر ...

مطر ...

مطر ...

وكم ذرفنا ليلة الرحيل من دموع

ثم اعتللنا - خوف ان نلام - بالمطر

مطر ...

مطر ...

ومنذ أن كنا صغاراً ، كانت السماء

تغم في الشتاء

ويهطل المطر

وكل عام - حين يعشب الثرى - نجوع

ما مر عام ليس في العراق جوع

مطر ...

مطر ... (١)

انه يحس هنا بحركة التاريخ التي سيفض عنها ختمها
الرجال يوماً ، فلا يبقى من ثمود في الوادي من أثر .
وان كانت قصيدته « فجر السلام » و « الأسلحة
والأطفال » أقرب إلى الالتزام الشيوعي التقليدي ،
وهذا ما يعترف به .

(١) انشودة المطر صفحة ١٦٠

بدر التهموزي

كما تجاوز بدر الرومانسية ، تجاوز الواقعية الاشتراكية . وكان تجاوزه لها ناتجاً عن أنه كان أعجز من أن يلتزم بخط سياسي مباشر . وهو في تكوينه لم يكن واقعياً اشتراكياً ، لقد كان مثالياً ... يقوم المثال عنده فوق الواقع ونقيضاً له . وحين أصبح شيوعياً كانت الشيوعية بالنسبة له شكلاً من هذه الثنائية .. انها المثال وهي نقيض الواقع . غير أن الشيوعية قابلة للتحقق، ومثال بدر غير قابل للتحقق .. انه وجه أمه التي « تنام نومة اللحد » . وكان بدر ريفياً يحمل تراث الريف العربي ورواسبه ،

عاطفياً يتأثر سلباً أو إيجاباً بأبسط المثيرات . ولقد
كانت قصيدته « المومس العمياء » الشعرة التي قصمت
ظهر البعير . ففي هذه القصيدة كان بدر « قومياً
عربياً » بالمعنى السلفي فهو يقول :

ما زلت أعرف كل ذاك ، فجربوني يا سكارى
من ضاجع العربية السمراء لا يلقي خساراً
كالقمح لونك يا ابنة العرب
كالفجر بين عرائش العنب
أو كالفرات على ملامحه
دعة الثرى وضراوة الذهب
لا تتركوني .. فالضحى نسبي :
من فاتح ومجاهد ونبي
عربية أنا : امتي دمها
خير الدماء كما يقول أبي

ونجد بجانب كلمة «العرب» إشارة، ونعود للهامش
فنجد التعليق التالي : « ضاع مفهوم القومية عندنا بين
الشعوبيين والشوفنيين . يجب ان تكون القومية شعبية
والشعبية قومية . يجب جعل احفاد محمد وعمر وعلي

وأبي ذر والخوارج والشيعة الأوائل والمعتزلة يعيشون
عيشة تليق بهم كبشر، وكورثة لأبجاد الأمة العربية .
أفليس عاراً علينا نحن العرب ان تكون بناتنا بغايا
يضاجعن الناس من كل جنس ولون؟؟^(١). ولقد أدى
نشر هذه القصيدة إلى انفصاله عن الشيوعيين ،
واستقلاله سياسياً ؛ ولقد كانت القصيدة القشة التي
قصمت ظهر البعير .

قاده انفصاله عن الشيوعيين إلى الاتجاه القومي
سياسياً ، فانتج قصائد قومية عديدة ، بعضها عادي
مثل بور سعيد ، وبعضها الآخر يتدفق حيوية وقوة
مثل في « المغرب العربي » . كما قاده انفصاله عن
الشيوعيين إلى العودة للمطلق . بات المطلق - بمعناه
الفلسفي المجرد - محط نزوع بدر ، فانتقل من العادي
واليومي ، إلى الأسطوري والرمزي ، كان الموت في
المرحلة السابقة - حادثة ، وكان الجوع ظاهرة ،
وكان النضال رجولة ، أما في هذه المرحلة فقد تحول

(١) المومس العمياء - مطبعة دار المعرفة بغداد - صفحة ٣١

الموت إلى اسطورة ... أصبح فداء اسطورياً ، يمثله
تموز أو المسيح . إن تحول الموت إلى اسطورة ، ليس
تصوراً شعرياً فقط ، انه ذو مضمون ايديولوجي
أيضاً.. فالسياب عندما كان يناضل كان يرى الخلاص
في النضال .. في الدم الحقيقي الذي يسيل . ولهذا
كانت « كل قطرة تراق من دم العبيد ، « ابتسام في
انتظار مبسم جديد». أما الآن فالدم ليس دم العبيد ،
انه دم المسيح . الموت الفردي أصبح معجزة . كان
هذا ناتجاً عن أنه لا يشترك في حركة التاريخ ، وانه
يشعر بالعجز عن الاشتراك فيها. انه واقف يشاهدها ،
ويود لو استطاع أن يساهم فيها :

فيدلهم في دمي حنين
إلى رصاصة يشق ثلجها الزوأم
أعماق صدري ، كالبحيم يشعل العظام
أود لو عدوت أعضد المكافحين
أشد قبضتي ثم اصفع القدر
أود لو غرقت في دمي إلى القرار
لأحمل العبء مع البشر

وأبعث الحياة ان موتى انتصار (١) .

هكذا يحل التمني محل النضال ، ويصبح بديلاً
له . وقد اتضح هذا منذ بدء هذه المرحلة حين أصبح
الرجوع الى الماضي معزياً عن نضوب الحاضر ، او
مغنياً لما فيه من امل كما حصل في قصيدة « في المغرب
العربي » . إلا أنه ازداد وضوحاً منذ نهاية سنة ١٩٥٦
ولعل قصيدة « جيکور والمدينة » خير تعبير عن
الفرار وإعلان العجز الكامل :
وجيکور خضراء ،

مس الأصيل

ذرى النخل فيها بشمس حزينه

ودربي اليها كومض البروق

بدا واختفى ثم عاد الضياء فأذكاه حتى أثار المدينة
وعرّى يدي من وراء الضماد كأن الجراحات فيها
حروق

وجيکور من دونها قام سور وبوابة واحتوتها سكينه
فمن يخرق السور ؟ من يفتح الباب ؟ يدمي على
كل قفل يمينه ؟

(١) أنشودة المطر - ط اولى صفحة ١٤١ .

ويعناني لا مخلص للصراع فأسعى بها في دروب المدينة
ولا قبضة لابتعاث الحياة من الطين ... لكنها
محض طينه
وجيكور من دونها قام سور وبوابة .. واحتوتها
سكينه (١)

وكانت جيكور هي حلم هذه المرحلة ، ولكن
بعث جيكور هو مطلق بدر غير القابل للتحقيق ،
وهو يتعلق به على الرغم من أنه يعرف بأنه حلم لن
يتحقق . وكان هذا الحلم .. بعث جيكور يصبح
رمزاً لبعث الأمة وتحرير الوطن. فجيكور في اندثارها
رمز للموات ، وجيكور في اخضرارها رمز للحياة .
وكان بدر يعلن أحياناً عن خيبته بحلمه :

يا شمس أيامي أما من رجوع ؟

.....

جيكور نامي في ظلام السنين (٢)

خلال هذه المرحلة التقى بدر مع مجلة شعر فأصبح

(١) المرجع السابق - صفحة ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق - العودة لجيكور صفحة ١٠٨

شاعراً من شعرائها، حتى أنه غاب عن صفحات الآداب خلال عام ١٩٥٧ كلها . وكان هذا يقوده إلى مزيد من « التغرب » .

هذا الاتجاه الجديد بما فيه من غربة ووحشة وحلم ويأس سماه بـ « الواقعية الجديدة » .
والواقعية الجديدة هذه في نظر بدر هي الواقعية الحديثة التي تحدث عنها الناقد الشاعر الانكليزي الكبير ستيفن سبندر في محاضراته القيمة عن « الواقعية الجديدة والفن » وتتلخص واقعية سبندر الحديثة في ان « الفنان الحديث أصبح انطباعياً وسريالياً وتكعيبياً ورمزياً في محاولته الهادفة إلى إيجاد انسجام بين ذاته وذات المجتمع . ولكنه أبى لنفسه أن يكون من زمرة الطبيعيين الذين ينقلون الواقع نقلاً فوتوغرافياً ولم يلبث الفنان الحديث حتى اهتدى إلى مخرج - كما يقول سبندر - وقد وجد هذا المخرج في الواقعية الحديثة . وهي في رأيه تحليل الفنان للمجتمع الذي يعيش فيه تحليلاً عميقاً فيه أكبر عدد مستطاع من الحقائق التي يدركها بنفاذ بصره ، ولا تهم بعد ذلك « حمة النظر التي ينظر منها ما دام تحليله كذلك .

و حين يطبق بدر الواقعية الحديثة على انتاجنا
الأدبي يقول : « أما انتاجنا الواقعي أو الملتزم فهو في
كثير من الأحيان خلو من الفن أو بعيد عن المعنى
الصحيح للواقعية والالتزام . والمنظومات السياسية
والقصص التي كانت جديرة بان تكون مقالاً افتتاحياً
في جريدة تملأ مجلاتنا ومكتباتنا واذاعاتنا . ويرى
أن انتاج نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد
الملك نوري انتاج واقعي بلغ حد الروعة (١) .

لقد أصبح مقياس سبندر الذاتي مقياساً لبدر .
فالشاعر هو محور العالم ، ونفاذ بصره هو بديل
الايديولوجية العلمية ، ومهمته أن يحلل المجتمع « تحليلًا
عميقاً » مهما كانت أدواته . ان سبندر « مثالي » ولقد
انزلق بدر الى هوته ، كانت النتيجة قصائده الموحشة
التي نشر أكثرها في « مجلة شعر » . ولقد كان تعاونه
مع « مجلة شعر » انطلاقة من هذا المبدأ .
ومع ذلك فقد أنتج بدر في هذه المرحلة قصائده :

(١) مجلة الآداب - « وسائل تعريف العرب بفتاحهم الأدبي الحديث »
اكتوبر ١٩٥٦ - صفحة ٢٢ .

مدينة بلا مطر ، جيكتور والمدينة ، النهر والموت ،
رسالة من مقبرة ، في المغرب العربي ، المسيح بعد
الصلب والمبغى الخ ..

وصدف - خلا هذه المرحلة - ان حدث الصدام
الدموي بين الشيوعيين و « القوميين العرب » في
العراق ، فأدخل بدر قلمه حلبة الصراع ، ووقف ضد
الشيوعيين . وكانت من نتيجة ذلك بعض القصائد
نذكر منها المبغى^(١) و « رؤيا في عام ١٩٥٦ »^(٢)
و « العودة لجيكتور »^(٣) ، هذا بالإضافة الى مقالاته السياسية
التي نشرت في الحرية البغدادية وغيرها. ولم يكن موقفه من
الشيوعية موقفاً سياسياً فحسب ، بل كان موقفاً فكرياً. فبدر
لا يحارب دعوة سياسية ، انه يحارب ايديولوجية .
صحيح أن بدرأ كان قومياً عربياً ، وكان مع الوحدة
ولكن هذا العامل كان العامل الثانوي في صراعه

(١) انشودة المطر - ص ١٣٥ ط اولى. وقد كتب تحتها في الهامش :
« كتبت في العهد المباد » ولكن هذا ليس صحيحاً . فقد كتبت في عهد
عبد الكريم قاسم .

(٢) المصدر السابق - ١١٦ - .

(٣) المصدر السابق - ١٠٨ - .

مع الشيوعيين. العامل الأول والأساسي هو «مثاليته»
فبدر الذي كان شيوعياً حقيقياً . كان «مثالياً» يرفع
شعارات الحزب الشيوعي العراقي، لا رغبة في التضليل
ولأن الشيوعية في مرحلة كانت «مطلقة» . ولقد
دخل هذا الصراع ضعيفاً مهزوزاً ، فكانت النتيجة
ان مات بتأثير منه كما أثبتت تقارير الأطباء النفسيين.
وهذه المرحلة هي عهد بدر الذهبي. لقد بلغ ذروة
مجده ، وأثبت ريادته للشعر الحر بمجدارة ، بعد أن
تراجعت نازك .

ولقد أثبت في هذه المرحلة تمثله لتجربة اليوت
تمثلاً حياً ويبدو ذلك واضحاً في عدد من قصائده .
ومع أن في شعر هذه المرحلة غثاء أحياناً ، فغثها
قليل بالنسبة للمراحل السابقة ، والمرحلة الأخيرة
اللاحقة .

العودة إلى الذات

المرحلة الأخيرة من حياة بدر فقيرة ومحنة .
لقد واجه بدر قدره ، وأصبح يدافع عن « مجرد
بقائه » . الموت لم يعد رجولة ولا حباً ولا فداء ..
بل أصبح عبثاً ... ولكنه عبث لا يرد ولا يعالج ،
ولا يقتنع من الغنيمة بالأياب .

خيّم شبح الموت على بدر ، فأخذ ينظر إلى كل
شيء من خلاله . ان قارىء شعره في هذه المرحلة
(المعبّد الغريق ومنزل الأقنان ، وشناسيل ابنة الجلبي
واقبال) يلمس كيف أصبحت الحياة في نظره موتاً
فقط . لقد تضاعف كل شيء في عينيه ، إلا شبح الموت
الذي أخذ يكبر ويكبر . الموت الذي خطف وفيقه
واخترم بودلير ، وجعل جيكور خرائب . الموت
الحقيقة الوحيدة في الوجود .

وكان - والألم ينهش جسده - يحس بتدبير
الموت في أوصاله ، فيطلق من اعماقه احتجاجاً مخنوقاً
ولكنه عنيف :

« أهكذا السنون تذهب
أهكذا الحياة تتضب
أحسن اقني أذوب .. اتعب
اموت كالشجر » (١) .
ولكنه كان يصرخ أحياناً :
« منطرحاً أصبح .. أنهش الحجار »
أريد أن أموت يا اله
أو :

« رصاصة الرحمة يا إلهي »

إن بدمراً يعانق موته .. ويصارع موته .. الموت
موته الخاص ، لا شريك له فيه ولا نصير . ومن
يستطيع أن يناصره؟ من يستطيع أن يحرره من قدره؟
لا أحد ... ليواجه إذن موته الخاص العاثر الذي

(١) - المعبد الغريق - دار جدي - ١٤٣ - .

لا يحمل أي مضمون اجتماعي . انه يلقاه متدمراً ، ولكنه يود معانقته لأن فيه الخلاص . انه يكرهه لأنه خطف أمه ، ولكنه يريد له لأنه يحرره من الشعور بالفقدان ، وهو يكرهه لأنه يهدده في مجرد بقاءه ، ولكن أي معنى ظل لبقائه بعد أن انهارت عوالمه واحداً بعد الآخر .

مرحلته الأخيرة حرمة من كل شيء حتى القدرة على المشي ، فأصبح الشعر رفيقه الوحيد . كان يتحدث مع الزوار ويصارع الجن أو يكتب شعراً . شعر هذه المرحلة لا جديد فيه . انه شعر ذاتي وانفعالي وغث في أحيان كثيرة ، نستثني من ذلك بعض القصائد ، ومنها « سفر أيوب ^(١) » . لقد أقعد المرض بداراً عن المشي ، وأقعده عن المضي في متابعة تجربته الشعرية . انه توقف قبل أن يستنفد .

(١) منزل الأقنان ص ٢٤٨ .

شعو بدر

أعطى بدر خلال حياته القصيرة عطاء جزيلا ،
يفوق من حيث الكم والكيف ما أعطاه أي من معاصريه
خلال الفترة ذاتها . فلبدر :

- ١ - أزهار ذابلة صدر سنة ١٩٤٧
- ٢ - أساطير صدر سنة ١٩٥٠
- ٣ - المومس العمياء صدر سنة ١٩٥٤
- ٤ - الأسلحة والأطفال صدر سنة ١٩٥٥
- ٥ - حفار القبور .
- ٦ - انشودة المطر صدر سنة ١٩٦٠ عن دار مجلة شعر .
- ٧ - المعبد الغريق صدر سنة ١٩٦٢ عن دار العلم للملايين .
- ٨ - منزل الاقنان صدر سنة ١٩٦٣ عن دار العلم للملايين .

٩ - شناسيل ابنة الجلبى صدر سنة ١٩٦٤ عن دار الطليعة .

١٠ - اقبال صدر سنة ١٩٦٥ عن دار الطليعة وقد جمعت الآن في هذا الديوان بالإضافة إلى قصائد لم تنشر بعد ، وسوف تصدر في جزء آخر .
ولبدر أيضاً شعر كثير غير منشور ، يعود قسم منه إلى سنوات ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ولدي شيء منه .
وهناك قصيدته الطويلة « بين الروح والجسد » التي أرسلها للشاعر علي محمود طه ، ولكنه مات قبل أن يكتب لها مقدمة . وتناهز هذه القصيدة الألف بيت .
ثم هناك مجموعة من قصائده مع السيد محمد علي اسماعيل ، لم نستطع الحصول عليها حتى الآن . وله قصائد نشرت في جرائد عراقية قبل سنة ١٩٥٣ ، ولكنها لم تنشر بعد .

والآن ما هي أبعاد تجربة بدر الشعرية ؟
ان تجربة بدر الشعرية فذة ومعقدة . وهي تجمع ثنائيات متناقضة . ويمكن أن نحدد أبعاد هذه التجربة بما يلي

أولاً : معاناة بدر ذهنية ، وتقوم المعاناة فيها بناء على

تصور الأمور تصورا ذهنياً . ففي العالم طرفان ،
المطلق والواقع ، الحب والموت ، الحادثة والاسطورة ،
والحياة صراع بين قطبين دائماً . هذا ما يبدو في
شعره ، وما عبر عنه في إحدى مقالاته . قال : وقد
كانت وظيفة الأدب ، أو بالحري وظيفة الرائع منه
تصوير هذا الصراع القائم بين الشر وبين الانسان ، وما
زالت وظيفته حتى يومنا هذا ،^(١) . ويبدو هذا
أيضاً من الشعراء الذين أعجب بهم ، وعكف على
انتاجهم يتعلاه ويتمثله . ومن هؤلاء المتنبي والجاحظ
وأبو العلاء المعري^(٢) الذين يسميهم العمالة الثلاثة ،
و ت . س . البيوت واديث ستويل . ولكن انفعالية
بدر ، وعدم توفر موقف علمي لديه ، كان يجعل هذه
الثنائية مهزوزة ، فلم تنعكس في موقف دياكتيكي من
التاريخ والكون ، ولم تعبر عن نفسها بموقف « أخلاقي » .
وكان من نتيجة هذا أن تحولت هذه « الثنائية » إلى
امتدادات نحو الخارج ، وانكاشات نحو الذات ،

(١) مجلة الاداب - أكتوبر ١٩٥٦ - ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق .

ولكنها لم تجد غناها في الخارج كما لم تجده في الذات .
معاناة بدر هذه قادتة إلى قضايا كبيرة كالخرب
والسلم ، الكفاح ضد الاستغلال والاستعمار ، والانحلال
الاجتماعي الخ وقصائده من بداية المرحلة الثانية حتى
منتصف الثالثة تعبير عن مثل هذه القضايا . وقد
تحول في المرحلة الثالثة إلى قضايا كبرى أخرى كالحب
والموت ، الحب والفداء ، الحياة والموت الخ وقصائده
من منتصف المرحلة الثالثة حتى موته تدور حول مثل
هذه القضايا .

ولقد كانت موهبة بدر قادرة على تحويل مثل هذه
القضايا الكبيرة إلى شعر خالد ، إلا أن انفعالية بدر
وعدم انطلاقه من موقف « عقائدي » ثابت مهما كان ،
جعل معاناته الذهنية محدودة وضحة أحياناً ..
فكرياً وشعرياً ، لم يكن بدر يقل عن البوت في
موهبتة ، ولكنه كان يقل عنه في « عمقه » .

ويحذر بنا هنا أن نشير إلى أسباب هذا «الامتزاز»
الذي أشرنا إليه . وهو يعود في رأيي إلى عاملين
أساسيين :

ظ ظ

الأول : نمو نفسي غير متوازن ، وضعف جسمي .
الثاني : التعرض لصراعات الثقافات المتحاربة
دون وجود خلفية مناسبة ، ودون وجود قدرة على
الوقوف في العاصفة .

فلم يكن غريباً والحالة هذه أن ينتقل بدر من
جهة إلى أخرى وأن يعاني رحلة الذات والموضوع ،
ولكن معاناة رد الفعل .

قال انسي الحاج عن بدر انه : « جاهلي بدوي
فولكلوري خرافي انكلوسكسوني على واقعي هجاء
ورثاء مداح بكاء ، يسيل به الشعر سيل قريحة فارطة ،
ويسيل معه الشعر حتى الموت »^(١) وهذا في رأيي
أروع تصوير كاريكاتوري لبدر .

ثانياً : تعدد الثقافات ، نهل بدر من ثقافات
مختلفة ، فقرأ الأدب العربي والأدب الروسي وأدب
اللغة الانكليزية . ولقد توفر على دراسة الأول والأخير
منها ، وتمثل آراء أكبر الشعراء العرب والانكليز

(١) ملحق النهار - العدد ٨٩٥٠ - الأحد ٧ شباط ١٩٦٥ :

والأميركيين . ولقد درس القرآن كما درس الانجيل والتوراة ، وقرأ شيئاً من التراث الفكري الماركسي ، كما قرأ بعض التراث الفكري الغربي ، وكان كل هذا يبدو في شعره ، بأشكال مختلفة ، وبمقايير متفاوتة .

ثالثاً : تعدد الأوضاع الاجتماعية . نشأ بدر في بيئة ريفية فلاحية فتربى على قيمها وتقاليدها ، وقد انتقل إلى المدينة طالباً فقيراً وهو في السابعة عشرة من عمره . عاش من هذا التاريخ في المدينة . كان في المرحلة الأولى طالباً شيوعياً ، ثم أصبح موظفاً شيوعياً . طورد فهرب من العراق ثم عاد إلى العراق موظفاً . أصبح بورجوازيًا صغيراً . اختلف مع الشيوعيين - كما ذكرنا - فصف مع القوميين العرب وظل مضطهداً حتى سنة ١٩٥٨ ، ولكنه تعرض لاضطهاد أشد بعد ثورة الرابع عشر من تموز ، وفصل من عمله مدة . كان مرتبطاً بالريف وقيمه وتقاليده ، وكان معجباً بالتراث العربي الكلاسيكي ، ومعجباً بالأدب الانكليزي في الوقت ذاته .

لهذا كله جمع شعر بدر بعض ما في الشعر الحديث

وبعض ما في الشعر التقليدي ، وظهرت فيه الروح الشعبية الريفية ، كما ظهرت فيه روح مثقف مشبع بالمثل الليبرالية من مثقفي البلدان المتخلفة . ونتيجة لكل ذلك تفرد شعر بدر بلامح وميزات فوجزها فيما يلي :

١ - بروز روح الشعر العربي التقليدي . وقد تجلى هذا في الاهتمام بجزالة اللفظ ، وحسن السبك ، وبالعروض اهتماماً خاصاً . ان بدر تفوق على زملائه من الشعراء المحدثين بهذا كله . لقد كانت عرييته - عموماً - أسلم وأقوى ، وعروضه - لا سيما الحديث منه - أصح وأغنى . وبينما كان الشعر الحديث يميل إلى الهمس - في الأغلب - كان شعر بدر يميل إلى الجرس الحاد . ليس هذا فحسب ، إذ ان بدرأ ظل يستعمل التعبير المباشر ، ويلجأ للتشبيه العادي كثيراً . الكاف تدخل بين كلمتين أو صورتين حتى لو كانت الاستغناء عنها ممكناً . وبالإضافة إلى ذلك فقد ظل حتى أواخر أيامه ينظم قصائد عمودية ، وكانت بعض قصائده تزخر بالإسهاب أحياناً ، بينما كانت قصائد

أخرى لا تتمتع بوحدة القصيدة الحديثة . ويعود هذا إلى أن بدرأ كان منفعلاً أكثر مما كان متأملاً ، وإلى أنه كان ينساح بدلاً من أن يضرب في الأعماق .

٢ - استعمال الأسطورة والرمز . لم يستعمل شاعر عربي الأسطورة والرمز كما استعملها بدر . ولقد أكثر منها حتى أصبح من النادر أن تخلو قصيدة من قصائده من رمز أو أسطورة ، وكانت الأسطورة أحياناً تصبح جزءاً من القصيدة كما حدث في قصيدة « مدينة بلا مطر » بينما تظل في أحيان أخرى مجرد كلمة من كلماتها ، غريبة ومعزولة لا يبررها إلا الهامش الذي يوضع لتفسيرها . في الحالة الأولى كانت الأسطورة تزيد القصيدة غنى ، أما في الحالة الثانية فكانت تفقد القصيدة « شعريتها » أو بعض شعريتها كما حدث في « المومس العمياء »^(١) مثلاً أو « سربروس في بابل »^(٢) .

ان وظيفة الأسطورة في شعر بدر غير واضحة تماماً . ولقد حاول هو أن يفسر لجوءه للأسطورة فما

(١) انشودة المطر ، ص ٥٠٩ . (٢) انشودة المطر ، ص ٤٨٢ .

وجد مبرراً مقنعاً : قال بدر : « هناك مظهر مهم من مظاهر الشعر الحديث : هو اللجوء إلى الخرافة والأسطورة ، إلى الرموز . ولم تكن الحاجة إلى الرمز ، إلى الأسطورة أمس مما هي اليوم . فنحن نعيش في عالم لا شعر فيه ، أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية ، والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح . وراحت الأشياء التي كان في وسع الشاعر أن يقولها ، أن يحوّلها إلى جزء من نفسه ، تتحطم واحداً فواحداً ، أو تنسحب إلى هامش الحياة . إذن فالتعبير المباشر ، عن اللا شعور لن يكون شعراً فماذا يفعل الشاعر إذن ؟ . عاد إلى الأساطير ، إلى الخرافات التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءاً من هذا العالم . عاد إليها ليستعملها رموزاً ، وليبني منها عوالم يتحدى بها منطق الذهب والحديد . كما أنه راح من جهة أخرى ، يخلق أساطير جديدة ، وإن كانت محاولاته في خلق هذا النوع من الأساطير قليلة حتى الآن (١) .

(١) مجلة شعر : العدد الثالث - السنة الأولى ، أخبار وقضايا -

ص ١١١ - ١١٣ :

عالم الأسطورة أغنى من الواقع : هذا ما يذهب إليه بدر، بعد أن لاذ بالفرار يائساً مهزوماً. الأسطورة إذن هي نقيض الواقع ، هي الحب والحياة والحرية والغنى . أما الواقع فهو الكره والموت والاضطهاد والموت .

والحقيقة أن عدم تحديده لوظيفتها بوعي من جهة واعتبارها نقيضاً للواقع من جهة ثانية ، جعله غير قادر على الاستفادة منها دائماً. ان الأسطورة التي تغني الشعر هي الأسطورة التي تندمج بالتجربة الشعرية ، لا التي تكون واجهة قصيدة . والاسطورة لكي تغني الشعر يجب أن تكون قادرة على استثارة المتلقي ، بينما حشد السياب من أساطير الهند والصين واليونان وأوروبا ما لا يثير في القارئ العربي أي احساس .

وإذا كان اليوت يستخدم مثل هذه الأساطير فهو يستخدمها لقارئه هي جزء من حضارته وتاريخه ، وتثير فيه أحلاماً بالبطولة والبراءة ، في عالم « الذهب والحديد » الذي ذكره بدر. ان هذا العالم ليس عالمنا ، وإن هذه الأساطير ليست أساطيرنا . وما زال في

واقعنا غنى يغنيننا عن غنى الأسطورة .. فنحن الآن
نخلق عالماً ، سيكون أساطير ورموزاً في المستقبل .
ولكن بدرأ الذي قال مرة : « إن الهنا فينا » اضاع
« إلهه » هذا فبحث عنه في اللات والعزى وزيوس
وعشتار .

٣ - الموسيقى الحادة والاستفادة من الأوزان .
موسيقى شعر بدر حادة .. حتى عندما تكون هامة
أو رثائية ، وتعود حديثها إلى أن بدرأ كان حريصاً
على الموسيقى الخارجية . انها بعض مظاهر الشعر
التقليدي من جهة ، وتعويض عن الخواء الداخلي
والخارجي الذي يحسه بدر من جهة ثانية . الموسيقى
هنا « مارش » عسكري أو لحن جنائزي ، كان بدر
يسير في خط مخالف للاتجاه العام للشعر الحديث الأكثر
نضجاً وتقدماً ، ولكنه في الواقع كان يقدم للشعر
الحديث نموذجاً جيداً يزخر بالنغم الخارجي والنغم
الداخلي أحياناً ، فيزيد التجربة الشعرية غنى وحرارة .
ولقد استفاد بدر من بحور الشعر العربي ، فاستعمل
الرجز ، حمار الشعراء القدامى والمحدثين فجعل منه

حصاناً كما حدث في « أنشودة المطر » ، واستخدم
صيفة من صيغ السريع الحديثة فأحسن استخدامها
كما حدث في « رسالة من مقبرة » ، واستخدم
تفعيلة المتدارك المهمة « فاعلن » فاذا نحن أمام
قصيدة حية زاخرة كما حدث في « المسيح بعد الصلب »
وبينما نجد أكثر الشعراء المحدثين يكثرون من استخدام
الرجز حتى أصبح بحرم المألوف ، نوع بدر في شعره ،
فاستفاد من الكامل والوافر والرمل والسريع والمتقارب
والمتدارك .

وكان بدر يلجأ أحياناً إلى الانتقال من بحر إلى
بحر ، ليستفيد من تنوع النغم كما حدث في « المغرب
العربي » وفي « جيكور والمدينة » . وكان ينوع أحياناً
في استعمال التفاعيل كما حدث في « المسيح بعد الصلب »
إذ إنه أدخل في القصيدة مقطعاً من مشتقات التفعيلة
الأساسية « فاعلن » التي التزمها في القصيدة كلها .

٤ - الانسياح بدل التعرّكز . قصيدة بدر مثل
« الدوائر المائية » ... أنها تنساح وتنساح حتى
تتلاشى . وهي تتسع بدل أن تتعمق ، أنها بلا بؤرة

ثابتة ، لأن بؤرتها تصبح دائرة . وقد نتج هذا عن توفر شاعرية متدفقة من جهة ، وعدم الانطلاق من مركز ثابت . قصيدة بدر كالعاصفة حتى مركزها يتحرك ، ولكنها على الرغم من ذلك لا تتبعثر شظايا ، ولا تقبل التفريق أبياتا ، فهي وحدة فنية يشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص . مع أن هذا لا يشمل القصائد الهزيلة والمنظومة والتقليدية من شعره ، فذلك مستثناة .

إلا أن هذا الانسياح ما كان يفقدها في كثير من الأحيان « التركيز » الشعري . الانسياح هنا لم يكن على حساب التركيز ، ولم يفقد القصيدة « كثافتها » بل أغنى رؤيتها الشعرية .

هـ - العفوية . قصيدة بدر مكتوبة بوعي ، ولكن الصناعة فيها لا تكشف عن نفسها بخلاف أكثر قصائد الشعر الحديث التي - مهما كانت أصالتها - تكشف عن الصناعة فيها بشكل أو آخر . إن صلاح عبد الصبور شاعر أصيل ، ولكنك لا تقرأ قصيدة له إلا وتشعر بالفكر المصمم وراء كل بيت من أبياتها . هذا لا ينطبق على بدر ، لأن قصيدته - على الرغم من أنها

ثمرة نوع من المعاناة الذهنية - تطل من ورائها شخصية شاعر كبير ليس الا .

وهذا لا يعني أن شعره « خام » ، وأن قليلاً من الصقل أو إعادة النظر كان سيزيده قوة ، فليست هذه هي المسألة المطروحة ، إن ما هو مطروح هو أن كلمة بدر انبثقت من نفس شاعر معطاء ، كان يسعى أن يكون شاعراً فقط ، ولم يكن يستطيع أن يكون ناقداً مفكراً وشاعراً في الوقت ذاته .

ومع هذا فقد كان بدر مدركاً لأسرار صناعته الشعرية ، كما لم يدركها أكثر زملائه من المحدثين . غير أن بعض القصائد كان أثر الصناعة فيها بادياً مثل قصيدته « مرثية الآلهة » و « من رؤيا فوكاي » و « مرثية جيکور »^(١).

وكانت ثقة بدر بقدرته تدفعه الى النظم ، أحياناً كما حدث في « قافلة الضياع » أو « المخبر »^(٢) وقصائد غيرها .

(١) انشودة المطر ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٤٠٣ .

(٢) انشودة المطر ص ٣٦٨ ، ٣٣٨ .

٦ - الاسهاب بدل التركيز . يميل الشعر الحديث الى التركيز . القصيدة الحديثة قصيدة مركزة تفيض بالإيماءات والإيماءات ، وتتفجر بالدلالات ، ولكنها تقتصد كثيراً في الكلمات . قصيدة بدر ليست كذلك انها « فيض » . ولعل من أهم أسباب ذلك عاملان : أولهما أن بدرأ لم يكن يميل الى القصيدة « المركزة » ، وثانيها أن شاعريته المفرطة كانت تعطي بغزارة . وكانت الغزارة عند بدر تقوم مقام التركيز ، كما قام الانفعال مقام التأمل .

كتب بدر مرة يقول : ومها يكن ، فان كوني ، أنا وناذك أو باكثير أول من كتب الشعر أو آخر من كتبه ليس بالأمر المهم . وإنما الأمر المهم هو أن يكتب الشاعر فيجيد فيما كتبه ، ولن يشفع له - ان لم يجد - انه كان أول من كتب على هذا الوزن ، أو تلك القافية « ... » ولنكن متواضعين ونعترف بأننا ما نزال جميعاً في دور التجربة ، يحالفنا النجاح حيناً ، ويصيبنا الفشل أحياناً كثيرة . ولا بد للشاعر الذي قدر له ، أن يكون شاعر هذا الجيل العربي ، أن يولد

ذات يوم مكبراً جهود الذين سبقوه ، أو لعله ما زال
يمسك القلم بيده حتى الآن (١) .

لقد كان بدر يعرف انها تجربة .

وكان يعرف أن هناك من الآتين من سوف
يتجاوزونه ، ولكنه حاول أن يعطي هذه التجربة
كل ما يستطيع .

ناجي علوش

(١) مجلة الآداب - حزيران ١٩٥٤ ، مناقشات ص - ٦٩ -

أزهار وأساطير

زَهَّارُ وَأَسَاطِيرُ

اقطاع واحلام

أنا ما أزال وفي يدي قدحي
يا ليل ، أين تفرق الشرب ؟
ما زلت أشربها وأشربها
حتى ترّنج أفقك الرّحب
الشرق عُفّر بالضباب فما
يبدو ، فأين سناك يا غرب ؟
ما للنجوم غرقن ، من سام ،
في ضوءهن ، كادت الشهب ؟
أنا ما أزال وفي يدي قدحي
يا ليل ، أين تفرق الشرب ؟

* * *

الحان بالشهوات مصطخب
 حتى يكاد يهن ينهار
 وكان مصباحيه من ضرج
 كفان مدتها لي العار
 كفان؟! بل ثغران قد صبغا
 بدم تدفق منه تيار
 كأسان ملوئهما طلي عصرت
 من مهجتين رماهما الحب
 أو غلبان عليها مزق
 حمراء تزعم أنها قلب

يا ليل ، أين تطوف بي قدمي ؟
 في أي منعطف من الظلم ؟
 تلك الطريق أكاد أعرفها ،
 بالأمس عتتم طيفها حلومي
 هي غمد خنجرك الرهيب ، وقد
 جرّدتته ومسحت عنه دمي

تلك الطريق على جوانبها
تتمزق الخطوات أو تكبو
تتشاب الأجسادُ جائعةً
فيها ، كما يتشاب الذئب

حسناً يُلهب عُريُّها ظمأى
فأكاد أشرب ذلك العُرياً
وأكاد أحطمه ، فتحطمني
عينان جائعتان ، كالدينيا ؛
غرست يدُ الحمى على فمها
زَهراً بلا شجر - فلا سقيا !
إن فتحت بحرهما شفةً
ظمأى يُعريد فوقها ندبُ
رقصٍ اللهبِ على كائنه
ومشى الطلاءُ يهزه الوثبُ

عَيْنٌ يَرْنَحُ هُدْبَهَا نَفْسِي
وَفَمٌ يَقْطَعُ هَمْسَهُ الدَّاءُ
وَيَدٌ عَلَى كَتْفِي مُلْجَلِجَةٌ
وَإِخْجَلَتَاهُ ! أَتْلُكَ حَوَّاءُ ؟ !
لَا كُنْتُ آدَمَهَا وَلَا لَفَحْتُ
فِرْدَوْسِي الْحَمْرِيَّ صَحْرَاءُ !
صَوْتُ النُّعَاسِ يَرِنُ فِي أَفْقِي
فَتَذُوبٌ ، نَاعِسَةٌ ، لَهُ الشُّحْبُ
وَإِنثَالٌ ، مِنْ سَهْرِي عَلَى سَهْرِي ،
يُنْبِوَعُهُ الْمُتَثَائِبُ الرُّطْبُ .

يَا نَوْمُ ، بَيْنَ جَوَانِحِي أَمَلٌ
لَمْ أَذَرِ ، قَبْلَكَ ، أَنَّهُ أَمَلٌ
مِثْلُ الْفَرَاشَةِ بَاتَ يَحْبِسُهَا
دَوْنُحٌ بِذَائِبِ طَلِّهِ خَضِيلٌ
لَوْلَا خَفُوقُ جَنَاحِهَا ، غَفَلْتُ
بَيِضُ الْأَزَاهِرِ عَنْهُ وَالْمَقْلُ

أنا من ظلالك بين أودية
عذراء ، كل مهادهما عُشب
هام الضباب على رفارفها
طلّ الوشاح .. كنجمة تحبو

* * *

ماذا أراه ؟ ! أطيّفها مسحت
عنه التراب أناملُ الفسق ؟
هو يا فؤادي غيرُها ، رفة ،
هو من دمائك أنت ، من حُرقي !
هو ما نحنُ إليه ، بادلني
حبّي وفتح بالسّنا أفقي
فاذا لثمتُ فغيرَ خادعة
باتت لكلّ مخادع تصبو
أفكان سوراً قامَ بينها
- بين الخيانة والهوى - هُدب ؟

* * *

خفقت ذوائبها على شفّتي
وسنى ، فأسكر عطرها نفسي

نَهَرٌ من الأَطْيَابِ أَرشَفني
رِيحاً تُرِيبُ مِجَامِرَ الْغَلَسِ
فَكَانَ نَائِياً ضَمَخَتْهُ يَدَا
آذَارَ ، غَرَدَ لَيْلَةَ الْعُرُسِ
فَفَنَّا ، وَمَا زَالَتْ مَلَاخِنُهُ
مِلْءَ الْفَضَاءِ ، يُعِيدُهَا الْحُبُّ
أَوْ أَنْ سَوَّسَنَهُ يُرَاقِصُهَا
رَجْعُ الْغَنَاءِ ، بِشَعْرَهَا تَرَبُّو

* * *

يَا جِسْمَ طَيْفِكَ ، أَنْتِ ، يَا شَبَحاً
من ذَكْرِيَاتِي ، يَا هَوًى خَدَعَا
لِعَنَاتِي الْحَنِقَاتُ مَا بَرَحْتُ
تَعْتَادُ خَدْرَكَ وَالظُّلَامَ مَعَا
خَفَقْتُ بِأَجْنَحَةِ الْغُرَابِ عَلَى
عَيْنَيْكَ تَنْشُرُ حَوْلَكَ الْفَزَعَا
الصُّبْحُ ، صُبْحُكَ ، ضِحْكُكَ شَامَتُهُ
وَاللَّيْلُ ، لَيْلُكَ ، مُضْجَعُهُ يَنْبُو

وإذا هلكَ غداً ، فلا تجدي
قبراً ، ومزقَ صدرك الذئبُ ؟

* * *

والبومُ يملأُ عُشه نُتفاً
من شعرك المتهمةً ننخير
ويعود ثغرك للذباب
ويداك بالحجر ،
لا تدفعان شئاً من شفة
أخرس لغوها وتري
وليُسقَ من دمك الحبيث غداً
دَوْحٌ تعشش فوقه الغربُ
تأوي الصلال إلى جوانبه
غرثى ، ويعوي تحته الكلبُ !

١٩٤٦/١٢/١٤

أهوا.

« إلى المنتظرة .. »

أطلّني على طرفيّ الدامع خيالاً من الكوكب السّاطع
ظلاً من الأغصن الحالمات على ضفّة الجدول الوادع
وطوفي أناشيد في خاطري يناغين من حُبّي الضائع
يفجّرُنْ من قلبي المستفيض ويقطرُنْ في قلبي السامع

* * *

لعينيك ، للكوكبين اللذين يصبان في ناظريّ الضياء
لنبعين ، كالدهر ، لا ينضبان ولا يستيان الحيارى الظماء
لعينيك ينثال بالأغنيات فؤاد أطال انثيال الدماء
يودُّ ، إذا ما دعاك اللسانُ على البُعدِ ، لو ذاب فيه النداء

* * *

يطول انتظاري ، لعلني أراك لعلني ، ألاقيك بين البشر
سألقاك . لا بد لي أن أراك وإن كان بالناظر المحتضر
فدئت التي صورتها مناي وظل الكرى في هجير السهر
أطلي على من حباك الحياة فأصبحت حسناء ملء النظر !

* * *

أطلي فتاة الهوى والخيال على ناظر بالروى عالق ،
بعشرين من ريثقات السنين عبّرن المدرات في خافقي
بعشرين كلاً وهبت الربيع وما فيه ، من عمري العاشق
فما ظل إلا ربيع صغير أخبئه للموعد الرائق

* * *

سأروي على مسمعك الغداة أحاديث سميتهن الهوى
وأنباء قلب غريق السراب شقي التداني ، كئيب النوى
أصيحخي .. فهذي فتاة الحقول وهذا غرام هناك انطوى
أتدري عن ربة الراعيات ؟ عن الريف ؟ عما يكون الجوى ؟

* * *

هو الريف ، هل تبصرين النخيل ؟
وهذي أغانيه ، هل تسمعين ؟

وذاك الفقى شاعرٌ فى صباه وتلك التى علّمته الحنين
هى الفنُّ من نبعه المستطاب ، هى الحبُّ من مُستقاه الحزين ،
وأها تغنى وراء القطيع ك (بَنالوب) تستمهل العاشقين

فما كان غيرُ التّقاء الفؤادينِ فى خفقةٍ منها عاتيه
وما كان غيرُ افتدّار الشّفاء بما يُشبه البسمةَ الحانيه
وكان الهوى ، ثم كان اللقاء لقاء الحبيبين فى ناحيه
فما قال: أهواك ، حتى ترمى عياءً على ضفة السّاقيه

وأوفى على العاشقين الشتاء ويومٌ دجا فى ضحاه السحاب
خلا الغابُ ما فيه الا النّخيل وإلا العصافير ، فهو ارتقاب
وبين الحبيين فى جانبيه من السّعف فى كل ممشى ، حجاب
فما كانت إلا وميضٌ أضاء ذرى النخل ، والنخل غيمٌ وذاب

وياسدرة الغاب كيف استجارا بأفنانكِ النّاطفاتِ المياه
وأها وقد بلّ من ثوبها حياء زخّ ، فاستقبلتها يداه

على الجذع يستدفئان الصدور على موعدي ، كل آهٍ بآه
سلي الجذع كيف التصاق الصدور بهزاتها ، وابتعاد الشفاه ؟

أشاهدت يا غاب رقص الضياء على قطرة بين أهداياها ؟
تُرى أهي تبكي بدمع السماء أساها وأحزان أترابها ؟
ولكنها كل نور الحقول ودفع الشذى بين أعشائها
وأفراح كل العصافير فيها وكل الفراشات في غايبها

وذاك الخصام الذي لو يُفدى لفديت ساعاته بالوئام
أفديه من أجل يوم ترف يد فيه أو لفته ، بالسلام
ومن أجل عينين لا تستطيعان أن تنظرا دون ظل ابتسام
تذوب له قسوة في الأسارير ، كالصحو ينحل عنه الغمام

خصاماً ولمّا نعل الكؤوس ؟ أخطمتها قبل أن نسكرا ؟
خصاماً ، وما زال بعض الربيع ندياً على الصيف مخضوضراً ؟
خصاماً ؟ فهل تمنعين العيون إذا لألّ النشور ، أن تنظرا ؟
وهل توقفين انعكاس الخيال من النهر ، أن يملك المعبرا ؟

أغانيُّ شَبَّابتي تَسْتَبِيكِ وتَدْنِيكِ مِنِّي، ففيمَ الجَفَاءِ ؟
كَأَنَّ قوَى سَاحِرٍ تَسْتَبِدُّ بِأَقْدَامِكَ البِيضِ ،عندَ المَسَاءِ
وَيُفْضِي بِكَ الدَّرْبَ حَيْثُ اسْتَدَارَ ،

إِلَى مَوْعِدِي بَيْنَ ظِلٍّ وَمَاءِ
عَلَى الشَّطِّ ، بَيْنَ ارْتِجَافِ القُلُوعِ وَهَمْسِ النِّخِيلِ ، وصَمْتِ السَّمَاءِ

وَحَجَبَتْ خَدَّيْكَ عَنِ نَاضِرِيَّ
سَاشِدُوْا ، وَأَشِدُوْا ، فَمَا تَصْنَعِينَ
وَأَرَخَيْتِ كَفِيكَ مَبْهُورَتَيْنِ
إِلَى أَنْ يَمُوتَ الشَّعَاعُ الْآخِرُ
بِكَفِّيكَ حِينًا ، وَبِالْمُرُوحَاتِ
إِذَا احْمَرَّ خَدَّاكَ لِلْأَغْنِيَاتِ ؟
وَأَصْغَيْتِ ، وَاخْضَلْ حَتَّى الْمَوَاتِ
عَلَى الشَّرْقِ ، وَالْحَبِّ ، وَالْأَمْنِيَّاتِ

وَهِيَّاتُ ، إِنَّ الْهُوَى لَنْ يَمُوتَ
كَأَنَّ تَأْفَلَ الْأَنْجَمُ السَّاهِرَاتِ ،
كَأَنَّ تَسْتَجِمُّ الْبَحَارُ الْفَسَاحِ
كَأَنَّ نَوْمَ اللَّطْفِ ، كَانِطَوَاءَ الْجَنَاحِ
وَلَكِنْ بَعْضُ الْهُوَى يَأْفَلُ
كَأَنَّ يَغْرُبُ النَّاضِرُ الْمُسْبَلُ ،
مَلِيًّا ، كَأَنَّ يَرْقُدُ الْجَدُولُ
كَأَنَّ يَصْمَتُ النَّايُ وَالشَّمَالُ !

أَعَامٌ مَضَى وَالْهُوَى مَا يَزَالُ كَمَا كَانَ ، لَا يَعْتَرِيهِ الْفَتُورُ ؟
أَهَذَا هُوَ الصَّيْفُ يُوفِي عَلَيْنَا فَنَلْقَاهُ ، ثَانِيَةً ، كَالزَّهْوَرِ ؟
وَلَكِنَّهُنَّ زَهْوَرُ الْخُلُودِ فَلَا أَظْمَأْتُ رِيْتَهُنَّ الْحُرُورِ
وَلَا نَالَ مِنْ لَوْنِهِنَّ الشِّتَاءُ وَلَا اسْتَنْزَفَتْ عِطْرَهُنَّ الدَّهْوَرُ
أَغَانِيٌّ ، وَالْغَابُ قَسْفَرُ الْوَكُونِ حَبِيسُ النِّسَائِمِ تَحْتَ الدَّوَالِي
تَرَى مَادَهُ ، لَا تَقَادُ الْهَجِيرُ ، حَرِيقًا بِمَا فَوْقَهُ مِنْ ظِلَالِ
وَفَوْقَ التَّعَاشِيْبِ ، حَيْثُ الْغُصُونِ يَنْثُونُ بِأَفْيَائِهِنَّ الثَّقَالِ ،
لَهَا مُضْجَعٌ هَدَّ هَدَّتَهُ الْعُطُورُ ؛ أَبْصَرْتُ كَيْفَ اضْطَجَاعِ الْجَمَالِ ؟

* * *

أُمْسِيْتُ أَسْتَحْضِرُ الذِّكْرِيَّاتِ وَمَا كَانَ بِالْأَمْسِ كُلِّ الْحَيَاةِ ؟
أَضَاعَتْ حَيَاتِي ؟ أَغَابَ الْغَرَامُ ؟
أَمَاتَتْ ، عَلَى الْأَغْنِيَّاتِ ، الشِّفَاهُ ؟
أُنْسِي ، وَمَا زَالَ غَابُ النِّخِيلِ خَضِيلاً وَمَا زَالَ فِيهِ الرِّعَاةُ ،
حَدِيثًا عَلَى مَوْقَدِ السَّامِرِينَ : أَحِبَّاءَ ، وَخَابَاءَ ، فَوَا حَسْرَتَاهُ ؟ !

* * *

أُنَادِيكَ ، لو تسمعين النداء

وأدعوكِ - أدعوكِ؟ يا للجنون !

إذا رنّ في مسمعيك الغداة
ونادى بك الزوج أن ترضعيه
فما نفعلها صرخةً من لهيبٍ
من المهد صوت الرضيع الحنون
ونادى صدى أخففته السنون
أدوي بها؟ من عساني أكون؟!

أعفرتُ من كبرياءِ النداء ؟
نسيتُ التي صورتها مُناني
وأعرضتُ عن مسمَعٍ في السماء
أتُصغي فتاةُ الهوى والخيالِ
وأرجعتُ آمادي القهقري ؟
وناديتُ أنثى ككل الوري ؟!
إلى مسمَعٍ في تراب القرى !
وأدعو فتاة الهوى والثرى ؟!

.. ووددتُ سجواءَ بين الحقول
وخلفتُ ، في كلِّ ركن خضيلٍ
قصاصاتٍ أوراقي الهامساتِ
وجذعاً كتبتُ اسمها الحلو فيه
ودنيا عن الشرِّ في معزلٍ
من الريف ، ذكرى هوّى أوّلٍ
بشعري ، على ضفّة الجدول
ونايًا يغني مع الشمالِ .

فمن هذه المسترقُّ القلوبَ صبيّ ملؤها رَوْحُ الطافره

أما كنتُ ودّعتُ تلكَ العيونَ الظليلاتِ والخصلة النافرة ؟
كأنّي ترشّفتُ قبل الغداة سنى هذه النظرة الآسرة !
أما كان في الريف شيءٌ كهذا ؟ أما تُشبهه الربة الغابرة ؟ !

مشى العمرُ ما بيننا فاصلاً فمن لي بأن أسبق الموعدا ؟
ولكنه الحبُّ منه الزمانُ ثوان ، ومما احتواه المدى
أراها فأنفض عنها السنين كما تنفضُ الريحُ بردَ الندى
فتغدو وعمري أخو عمرها ويستوقفُ المولدُ المولدا

وهل تسمع الشعرَ إن قُلتَه وفي مسمعها ضجيجُ السنين
أطلت على السبعِ من قبل عشرين عاماً ، وما كنت إلا جنين ؟
وأمسى - ولم تدرِ انت الغرام -

هواها حديث الورى أجمعين

لقد نبأوها بهذا الهوى فقالت : وما أكثر العاشقين ؟ !
أمن قلبه انثال هذا النشيدُ إليها ، إلى الذئبة الضارية ؟
ولو لم يكن فيه طعمُ الدماءِ ما استشعرت رنة القافيه
وما زالت تسببه غمازتان تبوحان بالبسمة الخافيه
وما زالتا تذكران الخيال بما كان في الأعصر الخاليه :

وبالحُبِّ والغادةِ المستبدِّ صباها به ، يلعبان الورقُ
وكيف استكان الاله الصغير فألقى سهامَ الهوى والحنقُ
رهانٌ ، رمى فيه غمازتيه وَوَرَدَ الحدودُ، ونور الحدق؛
لكِ اللهُ ، كيف اقتحمت القرونَ

ولم يخب في وجنتيكِ الألق ؟

كأن ابتسامتها والربيعَ شقيقان ، لولا ذبولُ الزهرِ
أآذارُ ينثر تلك الورودَ على ثغرها؟ أم شعاع القمر ؟
ففي ثغرها افترَّ كلُّ الزمانِ وما 'عمر' آذار إلا شهر
وبالروح فدّيت تلك الشفاه وان أذكرتني بكاس القدر ا

أطلي على طرفيَ الدامع خيالاً من الكوكب الساطع
وظلاً من الأغصن الحالمات على ضفة الجدول الوادع
وطوفي أناشيد في خاطري يناغين من حيِّ الضائع
يفجّرُن من قلبي المستفيض ويقطرن في قلبي السامع

١٩٤٧/٢/١

في السوق القديم

- ١ -

الليل ، والسوق القديم
خفتت به الأصوات إلا غمغات العابرين
وخطى الغريب وما تبتث الریح من نغم حزين
في ذلك الليل البهيم .
الليل ، والسوق القديم ، وغمغات العابرين ؛
والنور تعصره المصابيح الحزاني في شحوب ،
- مثل الضباب على الطريق -
من كل حانوت عتيق ،
بين الوجوه الشاحبات ، كأنه نغم يذوب
في ذلك السوق القديم .

- ٢ -

كم طاف قبلي من غريب ،
في ذلك السوق الكثيب .
فرأى ، وأغمض مقلتيه ، وغاب في الليل البهيم .
وارتجّ في حلق الدخان خيال نافذة تضاء ،
والرياح تعبت بالدخان ...
الرياح تعبت ، في فتور واكتئاب ، بالدخان ،
وصدى غناء ..
نأء يذكر بالليالي المقمرات وبالنخيل ؛
وأنا الغريب ... أظلّ أسمع وأحلم بالرحيل
في ذلك السوق القديم .

- ٣ -

وتناثر الضوء الضئيل على البضائع كالغبار ؛
يرمي الظلال على الظلال ؛ كأنها اللحن الرتيب ،
ويُريق ألوان المغيب الباردات . على الجدار
بين الرفوف الرازحات كأنها سحب المغيب

الكوب يحلم بالشراب وبالشفاه
ويدّ تلوّنها الظهيرة والسراج أو النجوم .
ولربما بردتْ عليه وحشرجت فيه الحياة ،
في ليلة ظلماء باردة الكواكب والرياح ؛
في مخدع سهر السراج به ، وأطفأه الصباح

- ٤ -

ورأيت ، من خلل الدُخان ، مشاهد الغد كالظلال .
تلك المناديل الحيارى وهي تومئ بالوداع
أو تشرب الدمع الثقيل ، وما تزال
تطفو وترسب في خيالي - هوّم العطر المضاع
فيها ، وخضّبها الدم الجاري !
لون الدجى وتوقّد النار
يحلو الأريكة ثم تخفيها الظلال الراعشات -
وجه أضاء شحوبه اللهب
يخبو ، ويسطع ، ثم يحتجب
ودم يغمغم وهو يقطر ثم يقطر : مات ... مات !

- ٥ -

الليل ، والسوق القديم ، وغمغات العابرين ،
وخطى الغريب .

وأنت أيتها الشموع ستوقدين
في المخدع المجهول ، في الليل الذي لن تعرفيه ،
تلقين ضوءك في ارتخاء مثل امساء الخريف
- حقل تموج به السنابل تحت أضواء الغروب
تتجمع الغربان فيه -

تلقين ضوءك في ارتخاء مثل أوراق الخريف
في ليلة قمرء سكرى بالأغاني ، في الجنوب :
نقر [الدرايك] من بعيد
يتهامس السعف الثقيل ، به ، ويصمت من جديد !

- ٦ -

قد كان قلبي مثلكن ، وكان يحلم باللهيب ،
حتى أتاح له الزمان يداً ووجهاً في الظلام
نار الهوى ويد الحبيب -

ما زال يحترق الحياة ، وكان عام بعد عام
يمضي ، ووجه بعد وجه مثلما غاب الشراع
بعد الشراع - وكان يحلم في سكون ، في سكون :
بالصدر ، والفم ، والعيون ؛
والحب ظلله الخلود .. فلا لقاء ولا وداع
لكنه الحلم الطويل
بين التمطي والتشاؤب تحت افياء النخيل .

- ٧ -

بالأمس كان وكان - ثم خبا ، وأنساه الملال
والياس ؛ حتى كيف يحلم بالضياء - فلا حنين
يغشى دجاء ، ولا اكتئاب ، ولا بكاء ، ولا انين
الصيف يحتضن الشتاء ، ويذهبان .. وما يزال
كالمنزل المهجور تعوي في جوانبه الرياح ،
كالسلم المنهار ، لا ترقاه في الليل الكئيب
قدم ، ولا قدم ستهبطه اذا التمع الصباح .
ما زال قلبي في المغيب

ما زال قلبي في المغيب فلا اصيل ولا مساء ،
حتى أتت هي والضياء !

- ٨ -

ما كان لي منها سوى أنا التقينا منذ عام
عند المساء ، وطوقتني تحت أضواء الطريق
ثم ارتخت عني يداها وهي تهمس - والظلام
يجبو ، وتنطفئ المصابيح الحزاني والطريق - :
« أتسير وحدك في الظلام ؟
أتسير ؛ والأشباح تعترض السبيل ، بلا رفيق ؟ »
فأجبتها والذئب يعوي من بعيد ، من بعيد
أنا سوف أمضي باحثاً عنها ، سألقاها هناك
عند السراب وسوف أبني مخدعين لنا هناك .
قالت - ورّجع ما تبوح به الصدى « أنا من تريد ! »

- ٩ -

« أنا من تريد ، فأين تمضي ؟ فيم تضرب في القفار
مثل الشريد ؟ أنا الحبيبة كنت منك على انتظار .

أنا من تريد .. « وقبلتني ثم قالت - والدموع
في مقلتيها - « غير أنك لن ترى حلم الشباب :
بيتاً على التل البعيد يكاد يخفيه الضباب
لولا الأغاني ، وهي تعلو نصف وسنى ، والشموع
تلقى الضياء من النوافذ في ارتخاء ؛ في ارتخاء !
أنا من تريد وسوف تبقى لا ثواء ولا رحيل :
حب إذا أعطى الكثير فسوف يبخل بالقليل ،
لا يأس فيه ولا رجاء .

- ١٠ -

أنا أيها النائي القريب ،
لك أنت وحدك ؛ غير أنني لن أكون
لك أنت - أسمعها ؛ وأسمعهم ورائي يلعنون
هذا الغرام . أكاد أسمع أيها الحلم الحبيب
لعنات أمي وهي تبكي . أيها الرجل الغريب
إني لغيرك .. بيد أنك سوف تبقى ، لن تسير !
قدماءك سمرنا فما تتحركان ؛ ومقلتناك

لا تبصران سوى طريقتي ، أيها العبد الأسير ! ؟

« - أنا سوف أمضي فاطر كيني : سوف القاهها هناك
عند السراب »

فطوقتني وهي تهمس : « لن تسير ! »

- ١١ -

« أنا من تريد ؛ فأين تمضي بين احداق الذئاب
تتلمس الدرب البعيد ؟ »

فصرختُ : سوف اسير ، ما دام الحنين إلى السراب
في قلبي الظامي ! دعيني أسلك الدرب البعيد
حتى أراها في انتظاري : ليس أحداق الذئاب
أقصى عليّ من الشموع

في ليلة العرس التي تترقبين ، ولا الظلام
والريح والأشباح ، أقصى منك أنتِ أو الأنام !
أنا سوف أمضي ! فارتخت عني يداها ، والظلام
يطغى ...

ولكنني وقفت وملء عينيّ الدموع !

١٩٤٨/١١/٣

اللقاء الأخير

والتف حولك ساعداي ، ومال جيدك في اشتها ،
كالزهرة الوسنى - فما أحسستُ إلا والشفاه
فوق الشفاه . وللمساء

عطر ، يضوع فتسكرين به ، وأسكر من شذاه
في الجيد والفم والذراع ،
فأغيب في أفق بعيد ، مثلما ذاب الشراع
في أرجوان الشاطئء النائي وأوغل في مداه !

شفتاك في شفتي عالقان - والنجم الضئيل
يُلقي سناه على بقايا راعشات من عناق -
ثم ارتخت عني يداك ، وأطبق الصمت الثقيل .

يا نشوةً عبرى ؛ وإغفاءً على ظل الفراق
حلواً ؛ كإغماء الفراشة من زهول وانتشاء ...
دوماً إلى غير انتهاء !

يا همسةً فوق الشفاه
ذابت فكانت شبه آه ،
يا سكرةً مثل ارتجافات الغروب الهائمات
رانت كما سكن الجناح وقد تناءى في الفضاء
غرقى إلى غير انتهاء
مثل النجوم الآفلات .

— « لا .. لن تراني . لن أعود
« هيهات . لكنّ الوعود
« تبقى تلح .. فخفّ أنت ، وسوف آتي في الخيال
« يوماً ، إذا ما جئت أنت . وربما سال الضياء
« فوق الوجوه الضاحكات — وقد نسيت ؛ وما يزال

« بين الأرائك موضعٌ خال يحدق في غباء !
« هذا الفراغ ! أما تحس به يحدق في وجوم ؟
« هذا الفراغ .. أنا الفراغ ، فخفّ أنت لكي يدوم ! »

هذا هو اليوم الأخير ؟ !
واحسرتاه ! أتصدقين ؟ ألن تخفّ إلى لقاء ؟ !
هذا هو اليوم الأخير . فليته دون انتهاء !
ليت الكواكب لا تسير ؛
والساعة العجلى تنام على الزمان فلا تُتفيق !
خلفتني وحدي - أسير إلى السراب بلا رفيق .

يا للعذاب ! أما بوسعك أن تقولي : « يعجزون
عنا . فماذا يصنعون ؟
لو أنني - حان اللقاء
فاقتادني نجم المساء ،
في غمرة لا أستفيق

ألا وأنت تلف خصري تحت أضواء الطريق ؟ ! »

ليل ، ونافذة تضاء .. تقول إنك تسهرين .

اني أحسك تهمسين

في ذلك الصمت المميت : « ألن تخفّ إلى لقاء ؟ »

ليل ، ونافذة تضاء

تغشى رؤاي ، وأنتِ فيها ... ثم ينحل الشعاع

في ظلمة الليل العميق

ويلوح ظلك من بعيد وهو يوميء بالوداع ،

وأظل وحدي في الطريق !

أساطير

وقف اختلافهما في المذهب حائلا بينهما وبين
السعادة ... فألى هو أن يلعن الأوثان !
[قصة حب في اليونان الوثنية]

أساطيرُ من حشرجات الزمان
نسيجُ اليد البالية ،
رواها ظلام من الهاوية
وغنّى بها ميثان .
أساطير كالبيد ، ماجّ السراب
عليها ، وشقّت بقايا شهاب ،
وأبصرتُ فيها بريق النضار
يلاقي سدىً من ظلال الرغبة ،

وأبصرُتني ؛ والستار الكثيف
يواريك عني فضاء انتظار
وخابت مني ؛ وانتهى عاشقان .

أساطير ، مثل المِدى القاسيات
تلاوينها من دم البائسين ،
فكم أومضت في عيون الطغاة .
بما 'حملت' من غبار السنين
يقولون : وحي 'السماء' ،
فلو يسمع 'الأنبياء'
لما قهقهت 'ظلمة الهاوية'
بأسطورة بالية
تجرُّ القرون
بمركبة من لظى ، في جنون
لظى كالجنون !

وهذا الغرامُ اللجوج
أيرتدُّ من لمسةٍ باردة ..
على إصبع من خيال الثلوج ،
وأسطورة بائدة ؟
وعرّافةٍ أطلقت في الرمال
بقايا سؤال
وعينين تستطلعان الغُيوب
وتستشرفان الدروب ،
فكان ابتهاجٌ .. وكانت صلاة
تُغفر وجهَ الآله
وتحشو عليه انطباق الشفاء

تعالى فما زال نجم المساء
يذيب السنا في النهار الغريق
ويغشى سكونَ الطريق
بلونين من ومضة وانطفاء .
وهمسُ الهواء الثقيل

بدفء الشذى واكتئاب الغروب ،
يذكرني بالرحيل :
شراع خلال التحايا يذوب
وكف ! تلوح . يا للعذاب !



تعالى فما زال لون السحاب
حزيناً .. يذكرني بالرحيل
رحيل ؟ !
تعالى ، تعالى .. نذيب الزمان .
وساعاته ؛ في عناق طويل ،
ونصبغ بالأرجوان
شراعاً وراء المدى ،
وننسى الغدا
على صدرك الدافئ العاطر
كتهوية الشاعر .
تعالى ؛ فملء الفضاء

صدي هامس باللقاء
يوسوس دون انتهاء .



على مقلتيك انتظار بعيد

وشيء يريد :

ظلال

ينغمم في جانبيها سؤال ،

وشوق حزين

يريد اعتصار السراب

وتمزيق أسطورة الأولين

فيا للعذاب !!

جناحان خلف الحجاب .

شراع . .

وغممة بالوداع !!!

١٩٤٨/٣/٢٤

اتبعيني

اتبعيني

فالضحى رانت به الذكرى على شطّ بعيدٍ

حالمٍ الأغوارِ بالنجم الوحيدِ

وشراع يتوارى ، و « اتبعيني »

همسة في الزرقة الوسنى .. وظلّ

من جناح يضمحلّ

في بقايا ناعسات من سكونٍ

في بقايا من سكونٍ

في سكون !



هذه الاغوارُ يغشاها خيالُ ؛
هذه الاغوارُ لا يسبرها إلا ملالُ
تعكس الأمواج ، في شبه انطفاءِ ،
لونهُ المهجور في الشطِّ الكئيبِ ،
في صباح ومساء ،
وأساطيرُ سكارى .. في دروبِ ،
في دروبِ أطفأ الماضي مداها .
وطواها .
فاتبعيني ... إتبعيني .



اتبعيني .. ها هي الشيطانُ يعلوها ذهولُ
فاصلُ الألوانِ ، كالحمِ القديمِ
عادت الذكرى به - ساج كأشباحِ نجومِ
نسيَ الصبحُ سناها والأفولُ
في سهادٍ ناعس .. ، بين جفونٍ !
في وجوم الشاطئ الخالي ، كعينيك ، انتظارُ

وظلال تصبغ الريح ... وليل ونهار .
صفحة زرقاء تجلو ، في برود
وابتسام غامض ، ظل الزمان
للفراغ المتعب البالي على الشط الوحيد .
إتبعيني .. في غدٍ يأتي سوانا عاشقان ،
في غد ، حق وان لم تتبعيني ،
يعكس الموج ؛ على الشط الحزين
والفراغ المتعب المخنوق ؛ أشباح السنين .



أمس جاء الموعد الخاوي .. وراحا ،
يطرق الباب على الماضي .. على اليأس .. عليتا !
كنت وحدي .. أرقب الساعة تقتات الصباحا
وهي ترنو مثل عين القاتل القاسي إلينا -
أمس ... في الأمس الذي لا تذكرينه
ضوءاً الشيطان مصباح كئيب .. في سقينة

واختفى في ظلمة الليل قليلا قليلا ،
وتنأى ، في ارتخاء وتوانٍ
غمغمت مجهدات ، وأغاني
وتلاشت ، تتبع الضوء الضئيل .
أقبلني الآن ... ففي الأمس الذي لا تذكرينه
ضوءاً الشيطان مصباح كئيب في سفينه
واختفى في ظلمة الليل قليلا قليلا .

١٩٤٨/٤/٢١

رلة تتمزق

الداءُ يثلج راحتي ، ويطفئ الغد .. في خيالي
ويشل أنفاسي ، ويطلقها كأنفاس الذبال
تهتز في رتتين يرقص فيها شبح الزوال
مشدودتين إلى ظلام القبر بالدم والسعال ..



واحسرتا !؟ كذا أموت ؟ كما يحف ندى الصباح؟
ما كاد يلمع بين أفواف الزنايق والأقاحي ،
فتضوع أنفاسُ الربيع تهزُ أفياء الدوالي ،
حتى تلاشى في الهواء .. كأنه خفق الجناح !



كم ليلة ناديت باسمك أيها الموت الرهيب
وودت لا طلع الشروق علي إن مال الغروب
بالأمس كنت أرى دجاءك أحب من خفقات آل
راقصن آمال الظماء .. قبلها الدم واللهيب !



بالأمس كنت أصبح : خذني في الظلام إلى ذراعك
واعبر بي الأحقاب يطويهن ظل من شراعك
خذني إلى كهف تهوم حوله ريح الشمال ..
نام الزمان على الزمان ، به ، وذابا في شعاعك .



كان الهوى وهماً يعذبني الحنين إلى لقائه
ساءلت عنه الأمنيات ؛ وبت أحلم بارتئاته
زهراً ونوراً في فراغ من شكاة وابتهاال ..
في ظلمة بين الأضالع تشرئب إلى ضيائه



واليوم حببت الحياة إلي ، وابتسم الزمان

في ثغرها ، وطفا على أهدابها الغد والحنان –
سمراء .. تلتفت النخيل الساهمات إلى الرمال
في لونها .. وتفر ورقاء .. ويأرج اقحوان ..



شع الهوى في ناظريها .. فاحتواني واحتواها
وارتاح صدري ، وهو يتحقق باللحون ، على شذاها
فغفوت استرق الرؤى والشاعرية من رؤاها
وأغيب في الدفء المعطر ... كالغمامة في نداها



عينان سوداوان أصفى من أماسي اللقاء ،
وأحب من نجم الصباح إلى المراعي والرعاء ،
تتلاأن عن الرجاء كلية تخفي دجاها
فجراً يلون بالندى ؛ درب الربيع ، وبالضياء



سمراء يا نجماً تألق في مسائي .. أبغضيني
واقسي عليّ .. ولا ترقى للشكاة وعذبيني

خلي احتقاراً في العيون ، وقطي تلك الشفاها
فالداء في صدري تحفز لافتراسك في عيوني !

يا موت .. يا رب المخاوف ، والدياميس الضريرة
اليوم تأتي ؟ ! من دعاك ؟ ومن أرادك أن تزوره ؟
أنا ما دعوتك أيها القاسي فتحرمني هواها
دعني أعيش على ابتسامتها وإن كانت قصيرة

لا ! سوف أحيى ، سوف أشقى ؛ سوف تمهلي طويلا
لن تطفئ المصباح .. لكن سوف تحرقه فتبلا
في ليلة .. في ليلتين .. سيلتقي آها فآها
حتى يفيض سنى النهار فيغرق النور الضئلا !!

يا للنهاية حين تسدل هذه الرثة الأكيل
بين السعال ، على الدماء ، فيختم الفصل الطويل
والحفرة السوداء تفغر ، بانطفاء النور ، فاها -

إني أخاف .. أخاف من شبح تخبئه الفصول !!
وغداً إذا ارتجف الشتاء على ابتسامات الربيع
وانحل كالظل الهزيل وذاب كاللحن السريع ،
وتفتحت بين السنابل - وهي تحلم بالقطيع
والناي - زنبقة ، مددت يدي إليها في خشوع



وهويت أنشقها فتصعد كلما صعد العبير ،
من صدري المهدوم حشرة فتحترق العطور
تحت الشفاه الراءشات ويطفأ الحقل النضير
شيئاً فشيئاً .. في عيوني ثم ينفلت الأسير !!

سوف أمضي

سوف أمضي . أسمعُ الرِّيحُ 'تناديني بعيداً
في ظلام الغابةِ اللّقاء .. والدَّربُ الطويل
يتمطى ضَجَرًا ، والذئبُ يعوي ؛ والأفول
يسرقُ النّجمَ كما تسرقُ رُوحِي 'مقلتك
فاتركيني أقطع الليل وحيداً
سوف أمضي ، فهي ما زالت 'هناك .
في انتظاري .



سوف أمضي . لا هديرُ السيلِ صخباً رهيباً
'يغرق الوادي' ، ولا الأشباحُ 'تلقِيها القبورُ'

في طريقي تسأل الليلَ إلى أين أسير -
كلُّ هذا ليس يثنيني ، فعودي واطرِّكيني ،
ودعيني أقطع الليل غريباً .
إنَّها ترنو إلى الأفق الحزينِ
في انتظاري .



سوف أمضي . حوَّلي عينيك لا ترني إلينا !!
إن سحراً فيها يأبى على رجلي مسيراً ،
إن سراً فيها يستوقف القلب الكسيراً ،
وارفعني عني ذراعيك .. فما جدوى العناق
إن يكن لا يبعث الأشواق فينا ؟
اطرِّكيني . ها هو الفجر تبدَّى ، ورفاقي
في انتظاري

١٩٤٨/٢/٣٠

هو واحد

على مقلتيك ارتشفت النجوم وعانقت آمالي الآيبه ...
وسابقت حتى جناح الخيال بروحي ، إلى روحك الواثبه
أطلت فكانت سناً ذائباً بعينيك ، في بسمة ذائبه

* * *

أنت التي رددتها مناي أناشيد تحت ضياء القمر
تغني بها في ليالي الربيع فتحلم أزهاره بالمطر
ويمضي صداها يهزّ الضياء ويفغو على الزورق المنتظر

* * *

خذي الكأس بلي صداك العميق بما ارتج في قاعها من شراب
خذي الكأس لا ؛ جف ذاك الرحيق
ولم يبق إلا جنون السراب

وإلا صدى هامس في القرار: ألا ليتني ما سقيت التراب

* * *

خذي الكأس ، اني زرعت الكروم
على قبر ذاك الهوى الخاسر
فأعراقها تستعيد الشراب وتشتفه من يد العاصر
خذي الكأس اني نسيت الزمان فما في حياتي سوى حاضر

* * *

وكان انتظاراً لهذا الهوى جلوسي على الشاطئ المقفر
وإرسال طرفي يحوب العباب ويرتد عن افقه الأسمر
إلى أن أهل الشراع الضحوك وقالت لك الامنيات: انظري

* * *

أنكرت حتى هواك اللجوج وقلبي ، وأشواقك العارمه ؟
وضلت في وهدة الكبرياء صداها .. فيا لك من ظالمه
تجنيت حتى حسبت النعاس ذبولاً على الزهرة النائمه

* * *

أتدسين تحت السماع النجوم خطانا وأنفاسنا الواجفة

وكيف احتضنا صدى في القلوب تغني به القبة الراجفة
صدى لج قبل احتراق الشفاه وما زال في غيب العاطفة

* * *

ورانت على الأعين الوامقات ظلال من القبة النائبة
تُنادي بها رغبة في الشفاه ويمعها الشك .. والواشية
فترتج عن ضغطة في اليدين جمعنا بها الدهر في ثانية

* * *

«شقيقة روحي ألا تذكرين» نداء سيبقي يحوب السنين
وهمس من الأنجم الحالمات يهز التماعاتها بالرنين
تسلل من فجوة في الستار إليك وقال : ألا تذكرين

* * *

تعالى ، فما زال في مقلتي سناً ماج فيه اتقاد الفؤاد
كما لاح في الجدول المطمئن خيال اللظى والنجوم البعاد
فلا تزعمى أن هذا جليد ولا تزعمى أن هذا رماد ؟

١٩٤٨/٢/١٦

لن نفترق

هبت تغنم : «سوف نفترق»
صوت كأن ضرام صاعقة
ضاق الفضاء، وغام في بصري
فعلى جفوني الشاحبات ، وفي
فيم الفراق ؟ أليس يجمعنا
حب ترقرق في الوعود سنا
أختاه ، صمتك ملؤه الريب
الحزن في عينيك مرتجف ؛
ويداك باردتان .. مثل غدي
ما زال سرك لا تجنحه

روح على شفتيك تحترق
ينداح فيه .. وقلبي الأفق
ضوء النجوم ، وحطم الألق
دمعي ، شظايا منه أو مزق
حب نطل عليه نعتق ؟
منه ورف على الخطى عبق
فيم الفراق ؟ أما له سبب ؟
والياس في شفتيك يضطرب
وعلى جبينك خاطر شحب
آه مؤججة .. ولا يشب

حتى ضجرت به ، وأسأله
«اني أخاف عليك»، واختلجت
طول الثواء ، وآده التعب :
شفة إلى القبلات تلتهب

* * *

ثم انثنت مهيضة الجلد
وترددت وأنت ذاهلة ،
فتكاد تنتثر النجوم أسمى
لا تتركي ، لا تتركي لغدي
وإذا ابتسمت اليوم من فرح
ما كان عمري قبل موعدا
تتهدين وتعصرين يدي
«اني أخاف عليك حزن غد»
في جوّهن .. كذائب البرد
تعكيريومي ، ما يكون غدي؟
فلتعيسن ملامح الأبد
إلا السنين تدبّ في جسد

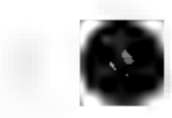
* * *

أختاه لذّ على الهوى ألمي
هاتي اللهب فليست أربهه ،
ما زلت محترقاً تلقفني
سوداء لا نور يضيء بها
هي ومضة ألقى الوجود بها
هاتي لهيبك إن فيه سناً
فاستمتعي بهواك وابتسمي
ما كان حبك أول اللحم
نار من الأوهام كالظلم
كرقاد حمى دونما حلم
جدلان يرقص عاري القدم
يهدي خطاي..ولو إلى العدم

١٩٤٨/٢/٢١

سراب

بقايا من القافلة
تتير لها نجمة آفلة
طريقَ الفناء ،
وتؤنسها بالغناء
شفاه ظماء —
تهاويلَ مرسومة في السراب
تمزّق عنها النقاب
على نظرة ذاهلة
وشوق يُذيب الحدود .



ظلال على صفحة باردة

تحركها قبضة ماردة
وقدفعها غنوة باكية ،
إلى الهاوية .

ظلال على سلم من هيب
رمى في الفراغ الرهيب
مراتبه البالية
وأرخصى على الهاوية
قناع الوجود .

سنمضي .. ويبقى السراب
وظلّ الشفاء الظباء
يوم خلف النقاب ،
وتمشي الظلال البطاء
على وقع أقدامك العارية
إلى ظلمة الهاوية ،
وننسى على قمة السلم
هوانا .. فلا تحمي
بأنّا نعود !

١٩٤٨/٣/٢٧

وداع

أريقي على ساعديّ الدموع وشدي على صدري المتعب
فهيّات ألا أجوب الظلام بعيداً . إلى ذلك الغيب
فلا تهمني : غاب نجم المساء ففي الليل أكثر من كوكب

* * *

وهل كان حلم بغير انتهاء وهل كان لحن بلا آخر ؟
لكي تحسبي أن هذا الغرام أبعد الرؤى .. خالد الحاضر
وأنا سنبقى نعد السنين مواعيد في ظله الدائر ؟

* * *

على مقلتيك ارتقاء عميق وذكرى مساء تقول ارجع !
فداء بعيد الصدى كالنجوم يراها حبيبان في نخدع !

يكاد اشتياقي يهزّ الحجاب وتومي ذراعي : هيا معي !!

* * *

سأمضي .. فلا تحلمي بالإياب على وقع أقدامي النائية
ولا تتبعيني ، إذا ما التفت ورائي إلى الشمعة الخابية
يرنحها في يديك النحيب فتتهزّ من خلفك الرابيه

* * *

ستنسين هذا الجبين الحزين كما انحلت الغيمة الشارده
وغابت ، كحلم ؛ وراء التلال بعيداً .. سوى قطرة جامدة
ستنثرها الريح عما قليل وتشرّبها التربة الباردة

* * *

ورب اكتئاب يسيل الغروب على صمته الشاحب الساهم
واغنية في سكون الطريق تلاشت على هداة العالم
أثارا صدى تهمس الذكريات ، إذا ما انتهى ، همسة الحالم

* * *

غداً .. حين يبلى وراء الزجاج كتاب عليه اسمي الذابل
وتنفض كفاك عنه الغبار ويخلو بك الخدع القاحل

سيلقاك وجهي خلال السطور كما يسطع الكوكب الآفل

إذا ما قرأن « اللقاء الأخير » تمنيت ، في غفلة هاربة ،
لو استرجعت قبضتاك السنين ، لو استرجعت ليلة ذاهبه !
... ولكن شيئاً حواه الجدار تحدى أمانيك الكاذبة .

تلقت ، عن غير قصد ، هناك فأبصرت .. بالانتحار الخيال !
حروفاً من النار .. ماذا تقول ؟ - لقد مر ركب السنين الثقيل
وقد باح تقوين الحزين بأن اللقاء المرجى .. محال !!

١٩٤٨/٤/٥

لا تزيديه لوعة

لا تزيديه لوعة فهو يلقاك لينسى لديك بعض اكتسابه
قربي مقلتيك من وجهه الداوي توي في الشحوب سر انتحابه
وانظري في غضونه صرخة اليأس
وأشباح غابر من شبابه :
لهفة تسرق الخطى بين جفنيه وحلم يموت في اهـدابه

* * *

واسمعيه اذا اشتكى ساعة البين ،
وخاف الرحيل - يوم اللقاء
واحجبي ناظريه في صدرك المعطار
وعن ذلك الرصيف المضاء

عن شراع يراه في الوهم ينساب وموج يحسه في المساء :
الوداع الحزين ! الشدي ذراعيك عليه .. على الأسى والشقاء

* * *

حدثني .. حديثه عن ذلك الكوخ
.. وراء النخيل .. بين الروابي
حلم أيامه الطوال الكئيبات .. فلا تحرميه حلم الشباب ..
أوهمه بأنه سوف يلقاك على النهر .. تحت ستر الضباب
وأضيئي الشموع في ذلك الكوخ ..
وان كان كله من سراب ..

* * *

كلما ضج شاكياً، في ذراعيك، انتهاء الهوى صرخت انتهاراً ..
فارتني .. أين يرتقي صدره الجياش حزناً وحيرة وانتظاراً ؟
اغضبي .. وادفعيه عن صدرك القاسي .. وأرخي على هواه الستار
او صدي الباب خلفه .. واتركيه

مثلاً كان .. للدجى والصحارى !

١٩٤٨/٤/٨

عبير

عطرت أحلامي بهذا الشذى من شعرك المسترسل الأسود
الجو من حولي ، ربيع حبا من خدره النائي إلى الموعد
هذا عبير الحب فجسرتة يبحث عن مجرى له في غد
نبع أثري الخطى ، حالم بالظلة الخضراء والمسند
والعاشق السكران يحصي على تغرك ما في الليل من فرقد
أوقدت مصباح الهوى بعدما خبا ؛ ولولا أنت لم يوقد
هبت عليه الريح مجنونة محاولة الشعر ؛ خضيب اليد
الزيت من هذا الشذى واللظى من قبلة في الغيب لم تولد
تطفو على العطر خيالاً فلا ترسب الا في الفؤاد الصدي

أهم أن اهتف : أنت التي
وانت من تحلم روعي بها
تسائل الموج وتومي إلى
أهم أن اهتف لولا خطي
أطياف حسناواتي استيقظت
ما قال منا غير أسمائنا
مكتوبة بالنار ، في شعره
مثلتها في أمسي الأبعد
على ضفاف الزمن المزيبد
كل شراع عليها تهدي
عابرة في الخاطر المجهد
هاتفة : يا ذكريات اشهدي
تسخر من آماله الشرذ
كالصورة الخرساء في معبد

١٩٤٧/٢١/١٠

عينان زرقاوان

عينان زرقاوان .. ينعس فيها لون الغدير
أرنو .. فينسب الخيال وينصت القلب الكسير
وأغيب في نغم يذوب .. وفي غمام من عبير
بيضاء مكسال التلوي تستفيق على خير
نأ .. يموت وقد تشاءب كوكب الليل الأخير
يمضي على مهل ، وأسمع همستين .. وأستدير
فأذوب في عينين ينعس فيها لون الغدير



حسنا .. يا ظلّ الربيع ، ملئت أشباح الشتاء
سوداً تطلّ من النوافذ كلما عبس المساء

حسناء .. ما جدوى شبابي إن تقضى بالشقاء
عيناك .. يا للكو كبين الحالمين بلا انتهاء ...
لولاها ما كنتُ أعلم أن أضواء الرجاء
زرقاء ساجية .. وأن النور من صنع النساء
هي نظرة من مقلتيك ؛ وبسمة تعد اللقاء
ويضيء يومي عن غدي ؛ وتفر أشباح الشتاء



عيناك .. أم غاب ينام على وسائد من ظلال؟
ساجٍ تلم بالسكون فلا حفيف ولا انثيال
إلا صدى واه يسيل على قياثر في الخيال .
إني أحس الذكريات يلفها ظل ابتهاج ...
في مقلتيك مدى تذوب عليه أحلام طوال ،
وغفا الزمان .. فلا صباح ، ولا مساء ، ولا زوال !
إني أضيع مع الضباب .. سوى بقايا من سؤال :
عيناك .. أم غاب ينام على وسائد من ظلال !

١٩٤٨/١/٦

في ليالي الخريف

في ليالي الخريف الحزين ،
حين يطفى علي الحنين
كالضباب الثقيل
في زوايا الطريق
في زوايا الطريق الطويل ؛
حين أخلو وهذا السكون العميق –
توقد الذكريات ،
بابتساماتك الشاحبات ،
كل أضواء ذاك الطريق البعيد
حيث كان اللقاء

في سكون المساء
هل يعود الهوى من جديد ؟
عاهديني إذا عاد .. يا للعذاب !
عاهديني .. ومرت بقايا رياح
بالوريقات ؛ في حيرة واكتئاب
ثم تهوي حيال السراج الحزين .
انتهينا .. أما تذكرين ؟
انتهينا .. وجاء الصباح
يسكب النور فوق ارتخاء الشفاه
وانحلال العناق الطويل ،
أين آلام يوم الرحيل ؟
أين لا « لست انساك » واحسرتاه ؟



في ليالي الخريف
حين أصغي ، ولا شيء غير الحفيف

ناحلاً كانتحباب السجين
خاف أن يوقظ النائمين
فانتحى في الظلام
يرقب الأنجم النائيات
حجبتها بقايا غمام
فاستبدت به الذكريات
الغناء البعيد البعيد
في ليالي الحصاد ،
أوجه النسوة الجائعات ..
ثم يعلو رنين الحديد
يسلب البائس الرقاد !
في ليالي الخريف
حين اصغى وقد مات حتى الحفيف
والهواء —

تعزف الامسيات البعاد
في اكتئاب يثير البكاء ،

شهرزاد (١)

في خيالي فيطغى عليّ الحنين ؛
أين كنا ؟! أما تذكرين ؟
أين كنا ؟! أما تذكرين المساء ؟!



في ليالي الخريف الطوال ؛
آه لو تعلمين
كيف يطغى عليّ الاسى والملال ؟!
في ضلوعي ظلام القبور السجين ،
في ضلوعي يصبح الردى
بالتراب الذي كان أمي : « غدا
سوف يأتي . فلا تقلقي بالنحيب
عالم الموت حيث السكون الرهيب ! »
سوف امضي كما جئت واحسرتاه !
سوف امضي .. وما زال تحت السماء

(١) قطعة موسيقية ، للموسيقار الروسي ريمسكي كورساكوف .

مستبدون يستنزفون الدماء ،
سوف أمضي وتبقى عيون الطغاة
تستمد البريق
من جذى كل بيت حريق
والتماع الحراب
في الصحارى ، ومن أعين الجائعين ،
سوف أمضي .. وتبقى فيا للعذاب !
سوف تحيين بعدي ، وتستمتعين
بأهوى من جديد ،
سوف أنسى وتنسين الـ "صدي
من نشيد
في شفاء الضحايا - وإلا الردى

١٩٤٨ / ٩ / ١٧

أغنية قديمة

- ١ -

في المقهى المزدهم النائي ، في ذات مساء ،
وعيونى تنظر فى تعب ،
فى الأوجه ، والأيدي ، والأرجل ، والخشب :
والساعة تهزأ بالصخب .
وتدق - سمعت ظلال غناء ...
أشباح غناء ...
تتنهد فى الحائى ، وتدور كإعصار
بال مصدور ،

يتنفس في كهف هار
في الظلمة منذ عصور !

- ٢ -

أغنية حب .. أصداء
تنأى ... وتذوب .. وترتجف
كشراع ناء يحلو صورته الماء
في نصف الليل .. لدى شاطئ أحدى الجزر ؛
وأنا أصغي .. وفؤادي يعصره الأسف :
لم يسقط ظل يد القدر
بين القلبين ؟! لم أنتزع الزمن القاسي
من بين يدي وأنفاسي ،
يمناك ؟! وكيف تركتك تبتعدين .. كما
تتلاشى الغنوة في سمعي .. نغما .. نغما ؟!

آه ما أقدم هذا التسجيل^(١) الباكي
والصوت قديم ؛

الصوت قديم

ما زال يولول في الحاكي .

الصوت هنا باق ؛ أما « ذات » الصوت :

القلب الذائب إنشاداً

والوجه الساهم كالأحلام ، فقد عادا

شبحاً في مملكة الموت -

لا شيء - هنالك في العدم .

وأنا أصغي .. وغداً سأنام عن النغم !

أصغيت .. فمثل إصغائي

لي وجه مغنية كالزهرة حسناء

يتماوج في نبرات الغنوة ، كالظل

(١) : الأسطوانة .

في نهر تقلقه الأنسام ؛
في آخر ساعات الليل ،
يصحو .. وينام .
أأثور ؟! أأصرخ بالأيام ؟! وهل يجدي ؟!
إنا سنموت
وستنسى ، في قاع اللحد ؟
حباً يحيا معنا .. ويموت !

- ٤ -

ذرات غبار
تهتز وترقص ، في سأم ،
في الجو الجائش بالنغم ،
ذرات غبار !
الحسناء المعشوقة مثل العشاق
ذرات غبار !

كم جاء على الموتى – والصوت هنا باق –
ليل .. ونهار !!
هل ضاقت ، مثلي ، بالزمن
تقوياً خط على كفني ،
ذرات غبار ؟!؟

١٩٤٨ / ٧ / ٢٠

ستار

- ١ -

عيناك ؛ والنور الضئيل من الشموع الخابيات
والكأس ، والليلُ اطلّ ، من النوافذ ، بالنجوم ؛
يبحثنّ في عينيّ عن قلبٍ .. وعن حُبٍّ قديم ؛
عن حاضرٍ خاوٍ ، وماضٍ في ضباب الذكرياتِ
ينأى ؛ ويصغر ، ثم يفنى

إنه الصمتُ العميقُ
والباب توصده وراءك في الظلام يدا صديق !

- ٢ -

كالشاطئ المهجور قلبي ، لا وميض ولا شرع ،
في ليلة ظلماء بلّ فضاءها المطرُ الثقيلُ -
لا صرخةُ اللّقا تطيف به ولا صمتُ الرّحيل .
يمناك والنورُ الضئيل .. أكان ذاك هو الوداع ؟ !
باب ، وظلُّ يدين تفرقات - ثم هوى الستار ،
ووقفتُ أنظر ، في الظلام ، وسرتِ أنت إلى النهار !

- ٣ -

في ناظريكِ الحالمين رأيتُ أشباحَ الدموع
أنأى من النجم البعيد ، تمر في ضوء الشموع .
والياسُ مدّ على شفاهك ، وهي ممس في اكتئاب ؛
ظلاً - كما تلقي جبال نائبات من جليد
أطيافن على غدير تحت أستار الضباب ،
لا تسألي : ماذا تريد ؟ - فليستُ أملك ما أريد !

- ٤ -

باب وظلُّ يدين تفترقان - ليتك تعلمين
أن الشموع سينطفين ، وأن أمطار الشتاء
بيني وبينك سوف تهوي كالستار .. فتصرخين ،
الريحُ تقولُ عند بابي ، لست اسمعُ من نداء
إلا بقايا من حديث رددته الذكريات
وسنان هوّم كالسحابة في خيالي ...
ثم مات !

- ٥ -

أنا سوف أمضي ، سوف أنأى ، سوف يصبح كالجماد
قلب قضيت الليل باحثة ، على الضوء الضئيل ،
عن ظله في مقلتي ... فما رأيت سوى رماد !!
أنا سوف أمضي - ربما أنسى ، إذا سال الأصيل
بالصمت ، أنك في انتظاري ترقبين .. وترقبين ؛
أو ربما طافت بي الذكرى ... فلم تذكر الحنين

- ٦ -

الزورق النائي ، وأنات المجاديف .. الطوال
تدنو على مهل .. وتدنو - في انخفاض وارتفاع ،
حتى إذا امتدت يداك إليّ في شبه ابتهاج
وهمست: «ها هو ذا يعود!» - رجعت فارغة الذراع!
وأفقت في الظلماء حيرى ، لا ترين سوى النجوم
ترنو إليك من النواقد في وجوم .. في وجوم !

- ٧ -

قد لا أؤوب إليك إلا في الخيال ، وقد أؤوب
لا أمس في قلبي ، ولا في مقلتي هوى قديم :
كفارت ترتجفان حول الموقد الخابي .. وكوب
تتراقص الأشباح فيه .. وتنتظرين إلى النجوم
حذر البكاء .. و « كيف أنتِ ؟ » تهز قلبك في ارتحاء
- « عاد الشتاء .. » -

فتهمسين : « وسوف يرجع في الشتاء ! »

١٩٤٨/١٠/٨

سجين

ذراعا أبي تلقينِ الظلالَ على روعيَ المستهام الغريب
ذراعا أبي والسراجُ الحزين يطاردني في ارتعاش رقيب
وحفت بي الأوجهُ الجائعات حيارى، فيا للجدار الرهيب !
ذراعا أبي تلقينِ الظلالَ على روعيَ المستهام الغريب.

* * *

وطال انتظاري.. كأن الزمان تلاشى فلم يبقَ إلا انتظار !
وعيناي ملءُ الشمال البعيد فيا ليتني أستطيع الفرار ..
وأنتِ التقاءُ الثرى بالساء على الآل ؛ في نائبات القفار،
وطال انتظاري كأن الزمان تلاشى فلم يبقَ إلا انتظار !

* * *

ألقاك ؟ تأتي عليّ النجوم
تغنيه في مسمعيّ الرياح
وترنو على جرسه الامنيات
ألقاك ؟ تأتي عليّ النجوم
وتمضي .. وما غير هذا السؤال
وتلقيه في ناظري الظلال ..
إلى ذكريات الهوى في ابتهاج
وتمضي ، وما غير هذا السؤال

* * *

أصيحخي ! أما تسمعين الرنين
أصيحخي .. فهذا صليل القيود
زمان .. زمان - يهز النداء
أصيحخي ! أما تسمعين الرنين
تدويّ به الساعة القاسية ؟؟
وقهقهة الموت في الهاوية !
فؤادي .. فأدعوك ؛ يا نائية ..
تدوي به الساعة القاسية !؟

* * *

أما تبصرين الدخان الثقيل
تلوى .. فأبصرت فيه الظهور
وأبصرت فيه الحجاب الكثيف
أما تبصرين الدخان الثقيل
يجرّ الخطى من فم الموقد ؟!
وقد قوستها عصا السيد
على جبهة العالم المجهد ..
يجرّ الخطى من فم الموقد ؟!

* * *

ولا بد من ساعة .. من مكان
سألقاك .. أين الزمان الثقيل
لروحين ما زالتا في ارتقاب !
إذا ما التقينا ؛ وأين العذاب ؟!

سينهار عن مقلتيك الجدار وتقنى ذراعا أبي كالضباب..
ولا بد من ساعة من مكان لروحين ما زالتا في ارتقاب!

* * *

وكيف التلاقي ، وبين المنى وإدراكهن؛ الدخان الثقيل ؟
تموج الأساطير في جانبيه ويحبو على صدره المستحيل
ونحن الغريقان في لجه سننسى الهوى فيه.. عما قليل ؟
وكيف التلاقي ، وبين المنى وادراكهن ، الدخان الثقيل

* * *

لينهد هذا الجدار الرهيب وتندك حتى ذراعا أبي !!
أحاطت بي الأعين الجائعات : مرايا من النار في غيب
إذا استطعت مهربا مقلتي تصدى خيالات في مهربي
فأبصرت ظلين لي في الجدار أو استوقفتني ذراعا أبي

* * *

سأبقى وراء الجدار البغيض وعيناي لا تبرحان الطريق
أعد الليالي خلال الكرى وارعى نجوم الظلام العميق
فلا تيأسي - أن تمر السنون ويطفين في وجنتيك البريق
سأبقى وراء الجدار القديم وعينان لا تبرحان الطريق

١٩٤٧/٧/٢٧

ذكرى لقا.

قد انتصف الليل، فاطو الكتاب عن الريح والشمعة الخابية
فعيناك لا تقرأن السطور ولكنها العلة الواهية
فأنت ترى مقلتها هناك وذكرى من الليلة الماضية
فتطوي على ركبتيك الكتاب وترنو إلى الأنجم النائية

* * *

هنا أنت بين الضياء الضئيل وبين الدجى في الفضاء الرحيب
وكم من مصابيح تفتى هناك تنير الثرى والفراغ الرهيب

مصابيح كانت تذوب
وتنحل في شعرها :
خطانا ، ولون الغروب ،
وما ضاع من عطرها .

وتلقي على ذكريات الشتاء ستاراً من الأدمع الراجفة
فتخبو مصابيحهن البعاد بطيئاً ... كما تبرد العاطفة
كما افترقت، يوم حان الرحيل يد صافحتها يد واجفة
كرجع الخطى في الطريق البعيد، كما انحلت الرغبة الخائفة

* * *

وتصفي ولا شيء إلا السكون وإلا خطى الحارس المتعب
وإلا ارتعاش الضياء الضئيل وخفق الظلال على المكتب

وأسفارك البالية

كأشباح موتى تسير

حيارى إلى الهاوية

— وحلم ادكار قصير —

وتنسب مثل الشراع الكئيب وراء الدجى؛ وروحك الشاردة
ترى وجهها كالتساع النجوم وتطويه عنك اليد الماردة
إلى أن يذوب الضباب الثقيل وتنهار ألوانه الجامدة
فها أنت ذا تستعيد اللقاء كما عادت الجثة الباردة

* * *

وتمتد يمينك نحو الكتاب كمن ينشد السلوة الضائعة
فتبكي مع العبقري المريض^(١) وقد خاطب النجمة الساطعة :

« تمنيت يا كوكب

ثباتاً كهذا - أنام

على صدرها في الظلام

وأفنى كما تغرب »

ويغشى رؤاك الضياء القديم بطيئاً .. كما سارت القافلة

تري الباب مثل انعكاس المغيب على صفحة الجدول الناحلة

ويغشى رؤاك الضياء القديم ينير لك الغرفة الآفلة

ويغشى رؤاك الضياء القديم فيا لانتفاضتك الهائلة !

* * *

تري الباب ألقى عليه الاصيل ظللاً من الكرامة العارية

فما كان غير اعتناق طويل عصرنا به القوة الباقية

وألقيتُ عبء السنين

(١) الشاعر الانكليزي جون كيتس مات مسلولاً في الخامسة والعشرين من

عمره ، وآخر ما كتبه قصيدته التي يخاطب بها كوكباً في السماء

ورأسي ، على صدرها
فشدت عليه اليمين
وأدنته من ثغرها ...

وأيقنت أن الحياة ؛ الحياة — بغير الهوى — قصة فاترة
واني بغير التي ألهبت خيالي بأنفاسها العاطرة ...
شريد يشق ازدحام الرجال وتخنقه الأعين الساخرة

ملال

ليلان غاما ، بالنجوم الآفلات على سُهادي ،
يومان . لا وعد ولا لقيًا وتحقق يا فؤادي ؟!
وغداً سيمتلئ انتظاري بالظلام ولا أراها
وتجول عيني في الطريق وتستقر على كتابي
وأكيل بالأقداح ساعاتي واسخر باكتئابي ،
وأنام أحلم بالشتاء واستفيق على هواها



سأم ... ومصباح وحيد ران في أقصى الطريق
مرت وجوه العابرين به .. فلوّنتها قليلا ..
مرّت .. وغابت في الظلام ، وليس يبرح في حريق

سأم .. ونافذة يطيل فضاؤها الدرب الطويلا .
سأم ومرآة تشاءب في قراريتها الوجوم ..
الغرفة الجوفاء والأقداح والبواب القديم .



بالأمس كان هوى وكان .. وكان - ويح الذكريات
« وافرحناه .. أتصدقين ؟ » وقادنا نجم المساء
في ذلك الدرب البعيد وألف نجوى واشتكاء
تخبو وتناهى ؛ والعناق يعد أضواء الطريق .
بالأمس كان هوى وكان - وخيم الصمت العميق



دب الملal إلى فؤادك مثل أوراق الخريف ...
« أهواك » ؟ ماذا تهمسين ؟ أتلك حشرة الحفيف
في دوحة صفراء يقلق ظلها روح الشتاء ؟ !
لا تنظري !! في مقلتيك سحابتان من الجليد
تتألقان ولا لهيب .. وتزحفان ولا فضاء
فلّ العناق على الجفون وحطم الدرب البعيد !

١٩٤٨/٥/٣

نهاية

« سأمواك حق تجف الأدمع في عيني
وتنهار أضلعي الواهية .. » « هي »

- ١ -

أضيئي لغيري فكل الدروب
سواء على المقلة الشارده ؛
سأمضي إلى مجهل لا أووب
فان عادت الجثة الباردة ،
فألقي على الأعين الخاويات
طيب السماء -

لعل الرؤى الخاويات ،
إذا مس أطرافهن الضياء ؛

ينخبرن عن ذلك المجهل :
عن الريح .. والغاب .. والجدول
اضيفي لها يا نجوم !

- ٢ -

« ساهواك حتى .. » نداء بعيد
تلاشت ؛ على قهقهات الزمان
بقايا . في ظلمة .. في مكان ،
وظل الصدى في خيالي بعيد :
« ساهواك حتى ساهوى » نواح
كما اعولت في الظلام الرياح ،
« ساهواك حتى .. س .. » يا للصدى
أصيحخي إلى الساعة النائية :
« ساهواك حتى .. » بقايا رنين
تحدين دقائق العاتية ،
تحدين حتى الغدا ،
« ساهواك » ما أكذب العاشقين !

« ساهوا .. » - نعم .. تصدقن .

- ٣ -

ظلام .. وتحت الظلام الخيف
ذراعان تستقبلان الفضاء
أبعد اصفرار الخريف
تريدن ألا يجيء الشتاء ؟
لقاء وأين الهوى يا لقاء ؟ !
عويل من القرية النائيه ،
وشيوخ ينادي فتاه الغريق ،
بهذا الطريق .. وذاك الطريق ،
ويعشي إلى الضفة الخالية
يسائل عنه المياه ،
ويصرخ بالنهر .. يدعو فتاه ،
ومصباحه الشاحب
يغني « سدى » زيتة الناضب
« محال يراه ! »

ويحنو على الصفحة القاتمة
يحدق في لفة عارمه ،
فما صادفت مقلته
سوى وجهه المكفهر الحزين
ترجرجه رعشة في المياه
تغمغم « لا لن تراه » .

- ٤ -

أحقاً نسيتِ اللقاء الأخير ؟
أحقاً نسيتِ اللقاء ... ؟
أكان الهوى حلم صيف قصير
خبا في جليد الشتاء ؟
خبا في جليد
وظل الصدى في خيالي يعيد :
« خبا في جليد ... خبا في جليد - »
ويا رب حلم يهيل الزمان
عليه الرؤى والسنين الثقال

فتمضي ويبقى شحوب الهلال
يلون بالأرجوان
شحوب النجوم وصمت القمر ،
ويومض في كل حلم جديد —
شحوب الهلال وظل الشجر
وطيف الشراع البعيد ؟

١٩٤٨/٥/٢٦

في القرية الظلما.

— ١ —

الكوكب الوسنان يطفىء ناره خلف التلال ،
والجدول الهدار يسبره الظلام
إلا وميضاً ، لا يزال
يطفو ويرسب .. مثل عين لا تنام ،
ألقي به النجم البعيد
يا قلب .. ما لك ، لست تهدأ ساعة ؟ ماذا تريد ؟
النجم غاب وسوف يشرق من جديد ، بعد حين ،
والجدول الهدار .. هينم ثم نام ،
أما الغرام — دع التشوق يا فؤادي والحنين !

- ٢ -

أأظل أذكرها .. وتنساني ؟
وأبيت في شبه احتضار ؛ وهي تنعم بالرقاد ؟
شعت عيون حبيبها الثاني
في ناظرها المسيلين على الرؤى - أما فؤادي
فيظل يهمس ، في ضلوعي ،
باسم التي خانت هواي .. يظل يهمس في خشوع .
اني سأغفو .. بعد حين سوف أحلم في البحار :
هاتيك أضواء المرافىء وهي تلمع من بعيد ..
تلك المرافىء في انتظار ..
تتحرق الأضواء فيها .. مثل أصداء تبيد .

- ٣ -

القرية الظلماء خاوية المعابر والدروب ،
تتجاوب الأصداء فيها مثل أيام الخريف
جوفاء ... في بطء تذوب ،
واستيقظ الموتى .. هناك على التلال ، على التلال
الريح تعول في الحقول . وينصتون إلى الحفيف -

يتطلعون إلى الهلال
في آخر الليل الثقيل .. ويرجعون إلى القبور
يتساءلون متى النشور !!
والآن تقرر في المدينة ساعة البرج الوحيد .
لكنني في القرية الظلماء .. في الغاب البعيد .

- ٤ -

دعها تحب سواي : تقضي في ذراعيه النهار
وتراه في الأحلام يعبس أو يحدث عن هواه ،
فغداً سيهوى ساعده
مثل الجليد ، على خطوط باهتات ، في إطار ؛
وعلى الرفوف الشاحبات رسائل
عادت تلف ، على نسيج العنكبوت ؛ بها الوعود
والرياح تهمس ، لن يعود ،
ويلون المرأة ظلٌ من سراج ، ذابل
وحياه امرأة تحرق في كتاب ..
بال ، وتبسم في اكتئاب ..

الكوكب الوسنان يطفىء ناره خلف التلال .
والجدول الهدار يسبره الظلام
إلا وميضاً ، لا يزال
يطفو ويرسب مثل عين لا تنام ؛
ألقي به النجم البعيد .
يا قلب ؛ مالك في أكتئاب لست تعرف ما تريد ؟ !

١٩٤٨/٦/٢٠

لقاء، ولقاء.

لستِ أنتِ التي بها تحلم الروح ، ولستِ التي أغني هواها ،
كان حب يشد ، حولي ، ذراعيك ، ويدني من الشفاه الشفاها ؛
واشتياق كأنما يسرق الروح - فما في العيون إلا صداها !
وانتهينا ، فقلتِ « اني سأنساه » وغمغمت « سوف ألقى سواها »



أمس طال اللقاء ؛ حتى تشاءبتِ ، وشاهدتُ في يديك الملا ،
في ارتخاء النسيج تطويه يمينك وعيناك ترمقان الشمال ،
في الغياب الطويل ؛ والمقعد المهجور ترمي يدي عليه الظلال ،
في الشفاه البطاء تدنو من الكوب .. وترقد ثم تلقي سؤالاً



التقينا - أمكذا يلتقي العشاق ؟ أم نحن وحدنا البائسان ؟
لا ذراعان في انتظاري على الباب ، ولا خافق يعد الثواني
في انتظاري ؛ ولا فم يعصر الأزمان في قبلة ، ولا مقلتان
تسرقان الطريق والدمع من عيني ؛ والداء والأسى من كياني



قد سئمت اللقاء في غرفة أغضى على بابها اكتئاب الغروب :
الضياء الكسول ، والمزهريات تراءى بهن خفق اللهب
كالجناح الثقيل في دوحة صفراء في ضفة الغدير الكئيب



واحتشاد الوجوه مثل التماثيل احتواهن معبد مهجور ،
سمرت قبلة التلاقي على ثغري .. فعادت كما يطل الأسير
من كوى سجنه إلى بيته النائي - كما يخفق الجناح الكسير
للغدير البعيد - كالموجة الزرقاء جاشت فحطمتها الصخور !



عزّ حتى الحديث بين الأحاديث ، وحتى التقاؤنا بالعيون ،
في فؤادي الشقي مثل الأعاصير ، وفي ساعدي مثل الجنون

التقينا ؟ أكان شوقي للقياك اشتياقا إلى الضياء الحزين ،
واحتشاد الوجوه في الغرفة الجوفاء ؛ والشاي ، والخطى ، واللحون ،

الخطى واللحون ؛ من فجوة الباب تسلل والضياء الضئيل ،
والأزاهير تشرب النور في بطنه ويعكسونه ابتساماً ذليلاً
كابتساماتي الحيارى وإطراقي برأسي وقد ذكرت الحقولا ،
والغناء الطروب ، والمعبر المغمور بالنور والشذى ؛ والنخيل

لست أنت التي بها تحلم الروح - ولكنه الغرام المضاع :
الخطى العابرات في النور والأنداء ؛ والشط والضحي والشرائع -
التقينا : يدٌ تَمَدُّ إلى أخرى ، وللنور في الشفاء التمازج
ترقص القبلة المرجاة فيه - ثم يدنو فمٌ وتطوى ذراع !

لست أنت التي بها تحلم الروح - ولكنه انتظار اللقاء :
انتظار التي تحلم بها الروح إذا لفها اكتئاب المساء ،
واستبد الحنين ، وانثالت الأصدا من كل ضفة قهراء

لا تراها العيون ؛ في عالم ناءٍ ؛ ومن كل باب كوخ مضاء



انها الآن في انتظاري ؛ تجيل الطرف حيرى ، على امتداد الطريق ،
والمساء الكئيب قد ماج بالأصداة تنساب من مكان سحيق :
« اتبعينا ... فان في الشاطئ النائي شراعاً يهيم بالتصفيق
والحبيب المجهول ناداك ؛ وامتدت ذراعاها في انتظار عميق »

١٩٤٨/١٢/١٤

هل كان حبا

هل تُسمين الذي القى هياماً ؟
أم جنوناً بالأمانى ؟ أم غراماً ؟
ما يكون الحب ؟ نوحاً وابتساماً ؟
أم تُخفوق الأضلع الحرى ، إذا حان التلاقي
بين عَيْنينا ، فأطرقت ، فراراً باشتياقي
عن سماءٍ ليس تسقيني ، إذا ما ؟
جثتها مستسقياً ، إلا أواما

* * *

العيون الحور ، لو أصبحن ظلاً في شرابي
جفت الأقداحُ في أيدي صحابي

دون أن يحضنَ حتى بالحباب .
هيئي ، يا كأسُ ، من حافاتكِ السكرى ، مكانا
تتلاقى فيه ، يوماً ، شفتانا
في خفوقٍ والتهابِ
وابتعادٍ شاعَ في آفاقه ظلُّ اقتراب

* * *

كم تمنى قلبي المكلومُ لو لم تستجيب
من بعيدٍ للهوى ، أو من قريبٍ ؛
آه لو لم تعرفي ، قبل التلاقي ، من حبيب !
أيُّ ثغريٍّ مسَّ هاتيك الشفاها
ساكباً شكواهُ آها .. ثم آها ؟
غير أني جاهل معنى سؤالي عن هواها ؟
أهو شيءٌ من هواها يا هواها ؟

* * *

أحسدُ الضوء الطروباً
موشكاً ، مما يلاقي ، أن يذوباً

في رباطٍ أوسع الشَّعرَ التَّشاماً ،
السماء البكرُ من ألوانه آناً ، وآناً
لا يُنيلُ الطرفَ إلا أرجواناً .
ليتَ قلبي لمحّةٌ من ذلك الضوء السجين ؛
أهو حبٌ كلُّ هذا ؟! خبريني .

١٩٤٦/١١/٢٩

الموعد الثالث

فرّ النهارُ من البيوتِ النائباتِ ، الى السحابِ ..
من شرفةٍ زرقاءَ تحلم بالكواكب والضباب ،
من مقلتين على الطريق . ومقلتين على كتاب
الدربُ تحرقه النوافذُ والنجوم المستسرة
سكرانُ تزحم الظلالُ وتشرب الأوهام خمره
هيهات ، لا تأتي .

وتهمس « فيم تأتي ؟ » شبه فكرة

قد أذكرتني مقلتكِ رؤىً رسبنا إلى الظلام
زرقاء تسبح في ضبابٍ من شحوبٍ وابتسام :
الليلة القمراء تركض بين أشباح الغمام .

أفق يذوبُ على الحنين ، يكاد يَفرقُ في صفائه
يطويه ظلٌ من جناحٍ ، ضاع فيه صدى غنائه
أهدابُك السوداء تحملني ، فأوْمِضُ في انطفائه



من أنت ؟! سوف تمرُّ أيامي وأنسجها ستارا
هيات 'تحرقه شفاهُك' وهي تستعر استعاراً ؛
لا تلمسيه .. فأنت ظلٌ ليس يَخترقُ القرارا



مات الفضاءُ ، سوى بقايا من مصابيح الطريقِ
مبهورة الأضواء ، تنضبُ في جداولٍ من بريقِ
صفراء تخنقها الظلالُ على فم الليل العميقِ



فيمَ انتظاري كالفراغ ؟ وفيمَ يَأسي كالرماد ؟
لن يسمع الدربُ الملولُ - وإن أصاخَ - سوى فؤادي
أما فؤادُك ..

ويح نفسي ! أين انت ؟ ومن أنادي ؟

في أخريات الربيع

يا ضياءَ الحقول ، يا غنوة الفلاح في الساجيات من أسحاره
أقبلي ، فالربيع ما زال في الوادي ، فبلّتي صدائكِ قبل احتضاره
لا تصيبُ العيونُ إلا بقاياها ، وغير الشرود من آثاره :
دوحةً عند جدولٍ تنفض الأفياء عنها وترتمي في قراره
وعلى كل ملعبٍ زهرةٌ غيناء فرّت إليه من أياره

* * *

في المساء الكئيب ، والمعبرُ المهجور ، والعباساتُ من أحجاره
مصغياتٌ ، تكاد من شدة الاصغاء أن توهم المدى بانفجاره
أرمق الدرب ، كلما هبت الرياحُ وحفّ العتيقُ من أشجاره
كلما أذهل الربى نوحُ فلاحٍ يبتُّ النجوم شكوى نهاره

صاحَ : «يا ليلُ» ، فاستفاق الصدى الغافي على السفح والذي في جواره
فاذا كلُّ ربوةٍ رَجَعُ « يا ليل » ...

ونامَ الصدى على قيثاره !
أين منهمنَّ خفقُ أقدامك البيضاء بين الحشيش فوق اخضراره
مثلَ نجمين أفلتا من مدارينِ فجال الضياءُ في غير داره
أو فراشين أبيضين استفاقا يسرقان الرحيق من خماره !!

* * *

أنتِ في كل ظلمةٍ مَوعِدٌ و سنانٌ ، ما زال يومه في انتظاره

ديوان شعر

« إلى مستعيرات ديوان شعري »

ديوانُ شعريٍّ ملؤه غزلٌ بين العذارى بات ينتقلُ
أنفاسيَ الحرَّى تهيم على صفحاته ، والحبُّ والأمل
وستلقتي أنفاسهنَّ بها وترفُّ في جنباته القُبُلُ
ديوان شعر ملؤه غزل بين العذارى بات ينتقل
وإذا رأينَ النُّوحَ والشكوى كلُّ تقولٍ : من التي يهوى ؟
وسترتني نظراتهنَّ على الصفحات ، بين سطورهِ ، نشوى
ولسوف ترتجُّ النهودُ أسيَّ ويثيرها ما فيه من نجوى
ولربما قرأته فاتتني فمضت تقول : من التي يهوى ؟
ديوان شعري ، رب عذراءٍ أذكرتها بحبيبها النائي
فتحسستُ شفةً مقبلةً وشتيتُ أنفاسٍ وأصداءٍ

فطوتك فوق نهودها بيد
 ديوان شعري ، رب عذراء
 يا ليتني أصبحت ديواني
 قد بت من حسد أقول له :
 ألك الكؤوس ولي ثالتها
 يا ليتني أصبحت ديواني
 سأبيت في نوح وتسعيد
 أولست مني ؟ اني نكد
 زاحمت قلبي في محبته
 أبيت في نوح وتسعيد
 واسترسلت في شبه إغفاء
 أذكرتها بحبيبها النائي
 لأفر من صدر إلى ثان
 يا ليت من تهواك تهواني
 ولك الخلود ، وإنني فان ؟
 لأفر من صدر إلى ثان
 وتبيت تحت وسائد الغيد
 ما بال حظك غير منكود ؟
 وخرجت منها غير معمود
 وتبيت تحت وسائد الغيد ؟

١٩٤٤/٣/٢٦

نهر العذارى

يا نهر ، لولا مُنحَنَّاكَ وما يُشَابِكُ من فروعٍ
ما كانتِ البساتُ في عينيّ تُطفأ بالدموعِ

حجبتُ ، بالشَّو البعيدُ تسدُّ بابيه الظُّلالُ ،
وجهًا تلاقى في 'محيّاه' الوداعة' والجمالُ
مرآتك الخضرَاءُ ، منذ جَلَوَتْهَا تحتَ السماءِ
ما لاح فيها مثلُ ذاك الوجه .. في ذاك الصفاءِ

إنْ أوقدَ الليلُ العميقُ نجومه في جانبيك
لمساحةِ الأضواءِ تغمرُ بالأشعةِ ضفتيك

ناشدتُ الحَاظَ الكواكبِ وهي تخرقُ الظلامُ
ألاَّ يَنَمَنَّ - وإن تشهينَ الكرى - حتى تنام :

« أنتنّ أسعدنّ ما أظللّ الكونُ يا زهرَ النجومِ .
أنتنّ أبصرتنّ ذاك الوجّه في الليل البهيم ! »

حتى إذا ما رنح النجم الأخير سنا الصباحِ
فانقضّ تحت القُبّة الزرقاء ، مقصوصَ الجناحِ

أصبحتُ فوق المعبر المهجور أرقبُ منحناك
فأبوح بالشكوى ... وتسكت عن شكاتي ضفتاك

الفتنةُ السمراءُ تسرقها مياهُك بعد حينُ :
الشّعْرُ ، والعينين والثغْرَ المنضّرَ والجبينَ

فاذا الهجيرة أطلقتها زُرْقَةُ الأفق البعيدِ
فالظلُّ مقصوص الجناح يفرُّ من عودٍ لعودٍ ...

سارمت إليك بطيئة الخطوات ذابلة الشّفاء ،

جاءتك ظمأى ، بالبنان الرخص تغترف المياه .

كم عدتُ نَمُورَ الفؤاد بموعد المدّ القريبِ
جذلانَ أقتحم الظهيرة بالتطلع والوثوبِ

التوت فوق الشاطئ الغربي ، والسَّعْفُ الصموتُ
لا يجهلان تنهّداتي ، وهي بينها تموت .

والغاب ساعتي الحبيبة من ظلالِ عقرباها
كم أنبأني أن طرفي بعد حينٍ قد يراها

واليوم يسقي مدّك العاتي أواخرَ كل جَزرٍ
لا ذاك يجلوها ، ولا هذا بما أرجوه يجري

واليوم إن سكر الخريف وعاد يحتضنُ الجراراً
لم ألقَ عذرائي ..

فكيف الصبرُ يا نهر العذارى ؟!

١٩٤٦/٤/٢٨

المعهد الفريق

المُعْتَبِرُ الْغَرِيبُ

شباك وفيقة

١

شباك وفيقة في القرية
نشوان يُطلّ على الساحة
(كجليل تنتظر المشيه
ويسوع) وينشر ألواح -
ايكار يمسخ بالشمس
ريشات النسر وينطلق ،
ايكار تلقفه الأفق
ورماه إلى اللجج الرمس -
شباك وفيقة يا شجره

تتنفّسُ في الغَبَشِ الصّاحي
الأعين عندك منتظره

تترقبُ زهرةَ تفاح ،
وبُويبٍ نشيدُ
والريحُ تُعيدُ
أنغام الماء على السَّعَفِ

ووفيقهُ تنظر في أسف
من قاع القبر وتنتظر :
سيمرٌ فيهمسه النّهرُ
ظلاً يتأوج كالجرّسِ
في ضحوة عيد ،
ويهفُ كحبات النّفّسِ .
والريحُ تُعيد
أنغام الماء (هو المطرُ)

والشمس تكرر في السقف .
شباك يضحك في الألق ؟
أم باب يُفتَح في السور
فتفر بأجنحة العبق
روح تتلف للنور ؟

يا صخرةَ معراج القلب
يا « صور » الألفة والحب
يا درباً يصعد للرب
لولاك لما ضحكت الأنسام القرية ،
في الريح عبير
من طوق النهر يهددنا ويغتنا
(عوليس ^(١) مع الأمواج يسير
والريح تذكره بجزائر منسيته :
« شبننا يا ريح فخلّينا »)

العالم يفتح شباك

(١) هو اوديسيوس بطل الأوديسة .

من ذاك الشباك الأزرق ،
يتوحد ، يجعل أشواكه
أزهاراً في دعة تعبق .

شباكٌ مثلك في لبنان ،
شباكٌ مثلك في الهند ،
وفتاة تحلم في اليابان
كوفيفة تحلم في اللحدِ
بالبرق الأخضر والرعدِ .

شباك وفيفة في القرية
نشوان يطل على الساحه
(كجليل تحلم بالمشيه
ويسوع) .
ويحرق ألواحہ .

شباك وليقة

٢

أطلّتي فشباكك الأزرقُ
سماء تجوع ،
تبيّنته من خلال الدموع
كأني بيّ أرتجف الزورق .
إذا انشقّ عن وجهك الأسمر
كما انشقّ عن عشتروت المحار
وسارت من الرغو في مزرٍ
ففي الشاطئين اخضرار
وفي المرفأ المغلقِ

تصليّ البحار .
كأنّي طائر بحرٍ غريبٍ
طوى البحر عند المغيب
وطاف بشباكك الأزرق
يريد التجاءً إليه
من الليل يريدٌ عن جانبيه
فلم تفتحي .
ولو كان ما بيننا محضَ باب
لألقيتُ نفسي لديكِ
وحدّقت في ناظريكِ .
هو الموت والعالم الأسفلُ
هو المستحيل الذي يُذهل .
تمثّلت عينيكِ يا حفرتينِ
تطلان سخرأً على العالمِ
على ضفة الموت بوّابتينِ
تلوحان للقادم .

وشبّاككِ الأزرقُ
على ظلمةٍ مطبقٍ ،
تبدّي كحبل يشدّ الحياه
إلى الموت كيلا تموت .
شفاهك عندي ألذّ الشفاه
وبيتك عندي أحبّ البيوت
وماضيك من حاضري أجملُ :
هو المستحيل الذي يُذهل ،
هو الكامل المنتهي لا يريد
ولا يُستهى أنه الأكمل ،
ففي خاطري منه ظلٌ مديد
وفي حاضري منه مستقبلٌ .

ترى جاءك الطائرُ الزنبقيّ
فحلّقت في ذات فجرٍ معه
وألقى نعاس الصباح النقيّ

على حسك المشتكى برقعته ؟
وفتحت عينيك عند الأصيل
على مدرج أخضر
وكان انكسار الشعاع الدليل
إلى التل والمنزل المرمر .
هناك المساء أخضرار نحيل
من التوت والظل والساقية
وفي الباب مدّة الأمير الجميل
ذراعيه يستقبل الآتية :
« أميرتي الغالية
لقد طال منذ الشتاء انتظاري
فقيم التأني وقيم الصدود ؟ »

وهيئات أن ترجعي من سفار
وهل ميّتت من سفار يعود ؟

جيكور ٢٩ - ٤ - ١٩٦١

حدايق وحقبة

لوفيقه

في ظلام العالم السفليّ حقلٌ
فيه مما يزرع الموتى حديقته
يلتقي في جوها صبح وليلٌ

وخيال وحقيقته

تنعس الأنهار فيها وهي تجري .

مثقلات بالظلال

كسلال من ثمار ، كدوال

سُرّحت دون حبال .

كل نهر

شرفَة خضراء في دنيا سحيقه .

ووفيقه

تتمطى في سرير من شعاع القمر
زنبقي أخضر ،

في شحوب داعم ، فيه ابتسام
مثل أفق من ضياء وظلام

وخيال وحقيقه .

أي عطر من عطور الثلج وان
صعدته الشفتان

بين أفياء الحديقه

يا وفيقه ؟

والحمامُ الأسودُ

يا له شلال نور منطفي !

يا له نهر ثمار مثلها لم يُقطفِ !

يا له نافورة من قبر تموز المدمى تصعد !

والأزاهير الطوال ، الشاحبات ، الناعسه

في فتور عصرت أفريقيا فيه شذاها
ونداها ،

تعزف النايات في أظلالها السكرى عذارى لا نراها
روحت عنها غصون هامسه .
ووفيقه

لم تزل تثقل جيکور رؤاها .
آه لو روّى نخيلات الحديقة
من بويب كركرات ! لو سقاها
منه ماء المد في صبح الخريف !
لم تزل ترقب باباً عند أطراف الحديقة
ترهف السمع إلى كل حفيف !
ويحها .. ترجو ولا ترجو وتبكيها منها :
لو أتاها ... !

لو أطلال المكث في دنياه عاماً بعد عامٍ
دون أن يهبط في سلم ثلجٍ وظلام !

ووفيقه

تبعث الأشداء في أعماقها ذكرى طويله

لعشيش بين أوراق الخيله

فيه من بيضاته الزرق اتقاد أخضر

(أي أمواج من الذكرى رفيقه)

كلما رفّ جناحٌ أسمر

فوقها والتم صدر لامعاتٌ فيه ريشاتٌ جميله

أشعل الجوَّ الحريفيّ الحنان

واستعاد الضمّة الأولى وحواءَ الزمان .

تسأل الأمواتَ من جيکور عن أخبارها ،

عن ربّاهما الربد ، عن أنهارها .

آه والموتى صموتٌ كالظلام .

أعرضوا عنها ومروا في سلام .

وهي كالبرعم تلتف على أسرارها .

والحديقه

سقسق الليلُ عليها في اكتئابٍ

مثلَ نافورةٍ عطرٍ وشرابٍ
وخيالٍ وحقيقةٍ
بينَ نهديكِ ارتعاشٍ يا وفيقه
فيه برْدُ الموتِ بالكِ
واشْرأبتِ شفتاكِ
تهمسانِ العطرِ في لَيلِ الحديقه .

١٢ - ٨ - ١٩٦١

أم البروم

(المقبرة التي أصبحت جزءاً من المدينة)

رأيت قوافل الأحياء ترحل عن مغانيها
تطاردها ، وراء الليل ، أشباح الفوانيس
سمعت نشيج باكياً ،

وصرخة طفلها ، وثغاء صاٍٍ من مواشيها ،
وفي وهج الظهيرة صارخاً « يا حادي العيس »
على ألم مغنيها .

ولكن لم أرَ الأموات يطردهنّ حفّارُ
من الحفر العتاق وينزع الأكفان عنها أو يغطيها —
ولكن لم أرَ الأموات ، قبل ثراك ، يجليها

مجنونٌ مدينةٍ ، وغناء راقصةٍ ، وخمّارٌ .
يقول رفيقي السكران : « دعها تأكل الموتى
مدينتنا لتكبر ، تحضن الأحياء ، تسقينا
شراباً من حدائق برفون^(١) ، تعلتنا حق
قدور جماجم الأموات من سُكرٍ مشى فينا ! »
مدينتنا منازلها رحيّ ودروبها نارٌ ،
لها من لحمنا المعروك خبزٌ ، فهو يكفيها ...
علام تمدّ للأموات أيديها ، وتختارُ ،
تلوك ضلوعها وتقيئها للريح تسفيها ؟
تسلّل ظلّها الناريّ من سجنٍ ومستشفى
ومن مبعثٍ ومن خمارٍ .. من كلّ ما فيها ،
وسار على سلام نومنا زحفاً
ليهبط في سكينه روحنا ألماً فيبكيها .
وكانت ، إذ يُطلّ الفجر ، تأتيك العاصفُ
تساقطُ ، كالثمار على القبور ، تنقّر الصمّتا

(١) ابنة آلهة الخصب اليونانية ، اختطفها بلوتو سيد العالم السفلي ، عالم الموتى ، فصارت تعيش معه هناك .

فتحلم أعين الموتى

بكركرة الضياء وبالتلال يرشها النور ،

وتسمع ضجة الأطفال أمّ ثلاثة ضاعوا

يتامى في رحاب الأرض : ان عطشوا وإن جاعوا

فلا ساقٍ ولا من مطعمٍ ، في الكوخ ظلو واعتلى النعش

رؤوس القوم والاكتاف .. افتدة وأسماع

ولا عينٌ ترى الأمّ التي منها خلا العش .

وفي الليلِ

إذا ما ذرذر الأنوارَ في أبدٍ من الظلمه ،

ودبتْ طفلة الكفتين ، عارية الخطى ، نسمة

تلمّ من المدينة ، كالحمار وكالحصى من شاطئٍ رملي ،

نثار غنائها وبكائها - لم تترك العتمة

سوى زبدٍ من الأضواء منشور

يذوب على القبور ، كأنه اللبنيات في سورِ

يباعد عالم الأموات عن دنيا من الذلّ ،

من الأغلال ، والبوقات ، والآهات ، والزُحمة .

وأوقدت المدينة نارها في ظلّة الموتِ
تقلّع أعينَ الأموات ثم تدسُّ في الحفرِ
بذور شقائق النعمان ، تزرع حبة الصمتِ
لتثمر بالرنين من النقود ، وضجة السفر ،
وقهقهة البغايا والسكرارى في ملاهيها .
وعصّرت الدفين من النهود بكلِ أيديها
تمزّقهن بالعجلات والرقصات والزُمُرِ
وتركلهنّ كالأكَر

تفجرها الرياح على المدارج في حواشيها
وحيث تلاشت الرعشات والأشواق والوجد
وعاد الحب ملمس دودة وأنين أعصار ،
تشاءبت المدينة عن هوى كتوقد النارِ
تموت بحرّها ورمادها ودخانها الهاري ،
ويا لغة على الأموات أخفى من دجى الغابه
تردها المقاهي : « ذلك الدلال جاء يريد أتعابه »
إذا سمعوك رنّ كأنه الجرس الجديد يرن في السحر

صدى من غمغيات الريف حول مواقد السمر :
« إذا ما هزت الأنسام مهد السنبيل الغافي
وسال أنين مجداف
كأن الزورق الأسيان منه يسيل في حلُم ،
عصرتُ يدي من أَلَم . »
فأين زوارق العشاق من سيارة تعدو
ببنت هوى؟ وأين موائد الخمار من سهل يمد موائد القمر؟
على أمواتك المتناثرين بكلُّ منحدَرٍ
سلامٌ جال فيه الدمعُ والآهاتُ والوجدُ ،
على المتبدلات لحودِهِم والغادياتِ قبورُهُم طرقا
وطيبُ رقادهم أرقا
يحنُّ إلى النشور ويحسب العَجَلات في الدرب
ويرقب مَوعدَ الرب .

١٩٦١/٧/٢١

امام باب الله

منطرحاً أمام بابك الكبير
أصرخ ، في الظلام ، أستجير :
يا راعي النال في الرمال
وسامع الحصاة في قرارة الغدير .
أصبح كالرعود في مغاور الجبال
كآهة الهجير .
أتسمع النداء ؟ يا بوركْتَ ، تسمعُ .
وهل تجيب إن سمعتَ ؟
صائدُ الرجال
وساحقُ النساء أنتَ ، يا مفجّعُ

يا مهلك العباد بالرجوم والزلازل
يا موحش المنازل
منطرحاً أمام بابك الكبير
أحسّ بانكسار الظنون في الضمير .
أثور ؟ أغضب ؟
وهل يثور في حماك مذنب

* * *

لا أبتغي من الحياة غير ما لديّ :
الهريّ بالغلل يزحم الظلام في مداه ،
وحقلي الحصيد نام في ضحاه
نفضت من ترابه يديّ .
ليأت في الغداه
سواي زارعون أو سواي حاصدون !
لتنثر القبور والسنابل السنون !
أريد أن أعيش في سلام :
كشمعة تذوب في الظلام

بدمعةٍ أموت وابتسام .
تعبتُ من توقد الهجير
أصارع العباب فيه والضمير ،
ومن لياليّ مع النخيل ، والسراج ، والظنون
أتابع القوافي
في ظلمة البحار والفيافي
وفي متاهة الشكوك والجنون .
تعبت من صراعي الكبير
أشقّ قلبي أطعم الفقير ،
أضيء كوخه بشمعة العيون ،
أكسوه بالبيارق القديمة
تنث من رائحة الهزيمة .
تعبت من ربيعي الأخير
أراه في اللقاح والأقاح والورود ،
أراه في كل ربيع يعبر الحدود .
تعبتُ من تصنع الحياه

أعيش بالأمس ، وأدعو أمسي الغدا .
كأنني ممثل من عالم الردى
تصطاده الأقدار من دجاء
وتوقد الشموع في مسرحه الكبير ،
يضحك للفجر وملء قلبه الهجير .
تعبت كالطفل إذا أتعبه بكاء !

* * *

أودّ لو أنام في حماك
دثاري الآثام والخطايا
ومهديّ اختلاجة البغايا
تأنف أن تمسني يداك .
أود لو أراك .. من يراك ؟
أسعى إلى سدّتك الكبيره
في موكب الخطاة والمعذبين ،
صارخة أصواتنا الكسيره
خناجراً تمزّق الهواء بالأنين :

« وجوهنا البياب
كأنها ما يرسم الأطفال في التراب ،
لم تعرف الجمال والوسامه .
تقضت الطفولة . انطفأ سنا الشباب
وذاب كالغمامه ،
ونحن نحمل الوجوه ذاتها ،
لا تلفت العيون إذ تلوح للعيون
ولا تشف عن نفوسنا ، وليس تعكس التفاتها .
إليك يا مفجّر الجمال ، قاتلون
نحن ، نهيم في حدائق الوجوه . آه
من عالم يرى زنايق الماء على المياه
ولا يرى المحار في القرار
واللؤلؤ الفريد في المحار ! »

* * *

منطرحاً أصبح ، أنهش الحجار :
« أريد أن أموت يا إله ! »

الغيمة الخريبة

المومس الأجيّة الحقيرة
أكثر من حبيبتى سخاءا
أقنتها مساء
معانقا ... أعانق الهواء
هبّ من القطب على الظهيره ،
مقبّلا عيونها الخواء ،
كأننى كيشوت فى الأصيل
يركض خلف ظله الطويل
ويطعن السنايل الكسيره
يظنها الأعداء .

ضممتُ منها جثةً بيضاء
تكفنت من داخلٍ ، وقبرها
في جوفها تناءى .
حملت منها صخرة صماء
تشدني إلى الثرى ،
أرفعها لتلثم الجوزاء .
الحب أن تبذل ، أن تنال ما تريدُ
كالنبع إذ يدفق ، لا كالبئرِ ،
كالنار تطوي نحوك السماء
لا شرر الزناد .
أستزيدُ
فألتقي دمي ، كغيمة تعيد نفسها للبحر .
أتعلم السحابة المرعدة المبرقة المجلجلة
بأن ماءها سيستحيل غيمة إليها مقبله ،
تبذله في الفجر
وتلتقي به قبيل العصر ؟

أريد أن أضمر ، أن أقبلَ
الدم الذي ينبض في الشفاه
كأنما القلب الذي يقبلُ .
الجسد الموات لا يحس شهقة الأله
تغور كالمدية حين تقتل
فتبعث الحياة في القتلِ .
أريد أن أحرق كالخريق من أخيلِ :
في القلب واليدين والكعبينِ
ويأكل النار لظى في عيني .
لو كان ما تحسه الحبيبه
الألم ، الدوار .. لا الخواء
ما كنت مثل غيمة غريبه
ترعد حتى تشعل الهواء
رعداً
وتأبى الأرض أن تجيبه ا

البصرة ٢٢ - ١٢ - ١٩٦١

دار جدي

مطفأة^١ هي النوافذ الكثر
وباب جدّي موصد^٢ وبَيْتُهُ انتظار
وأطرق الباب ، فمن يجيب ، يفتح ؟
تجيبني الطفولة ، الشباب منذ صار ،
تجيبني الجِرار جف ماؤها ، فليس تنضح :
« بويب » ، غير أنها تذرذر الغبار .
مطفأة هي الشمس فيه والنجوم .
الحُقُبُ الثلاث منذ أن خفقتُ للحياه
في بيت جدّي ، ازدحم فيه — كالغيوم
تختصر البحار في خدودهن والمياه .

فنحن لا نلم بالردى من القبور
فأوجه العجائز
أفصح في الحديث عن مناجل العصور
من القبور فيه والجنائز .
و حين تقفر البيوت من بُنائها
وساكنيها ، من أغانيها ومن شكاتها
نحس كيف يسحق الزمان إذ يدور .

* * *

أأشتهيك يا حجارة الجدار ، يا بلاط ، يا حديد ، يا
طلاء ؟

أأشتهي التقاء كن مثلما انتهى إلي فيه ؟
أم الصَّبَا ، صباي والطفولة اللعوب والهناء ؟
وهل بكيت أن تضعضع البناء
وأقفر الفناء أم بكيت ساكنيه ؟
أم أنني رأيت في خرابك الفناء

محدّثاً إليّ منك ، من دمي
مكشّراً من الحجار ؟ آه ، أيّ برعم
يُربّ فيك ؟ برعم الردى !! غداً أموت
ولن يظل من قواي ما يظل من خرائب البيوت :
لا أنشق الضياء ، لا أعضض الهواء ،
لا أعصر النهار أو يمصني المساء .

كانّ مقلتي ، بل كأنني انبعثت (اورفيوس)
تمصّه الخرائب الهوى إلى الجحيم
فيلتقي بمقلتيه ، يلتقي بها ، بيورديس :
» آه يا عروس
يا توأم الشباب ، يا زنبقة النعيم ! « .
طريقه ابتناه بالحنين والغناء :
براعم الخلود فتحت له مغالقة الفناء .
وبالغناء ، يا صباي ، يا عظام ، يا رميم ،

كسوتك الرواء والضياء .

طفولتي ، صباي ، أين .. أين كلُّ ذاك ؟
أين حياة لا يحدُّ من طريقها الطويل سور
كشر عن بوابة كأعين الشباك
تفضي إلى القبور ؟

والكون بالحياة ينبض : المياه والصخور
وذرة الغبار والنال والحديد .

وكل لحن ، كل موسم ، جديد :
الحرث والبذار والزهور .

وكل ضاحك فمن فؤاده ، وكل ناطق فمن فؤاده
وكل نائح فمن فؤاده . والأرض لا تدور

والشمس ، إذ تغيب ، تستريح كالصغير في رقاده .

والمرء لا يموت ان لم يفترسه في الظلام ذيب
أو يختطفه مارد ، والمرء لا يشيب

(فهكذا الشيوخ منذ يولدون
الشعر الأبيض والعصيّ والذقون) .

وفي ليالي الصيف حين ينمس القمر
وتذبل النجوم في أوائل السحر ،
أفيق أجمع الندى من الشجر
في قدح ، ليقتل السعال والهزال .
وفي المساء كنت أستحمّ بالنجوم ،
عيناى تلقطانهن نجمةً فنجمةً ، وراكب الهلال
سفينةً .. كأنّ سندباد في ارتحال :
شراعى الغيوم
ومرفأى المحال ،

وأبصر الله على هيئة نخلة ، كتاج نخلة يبيضُ
في الظلام ،

أحسّه يقول : « يا بني » ، يا غلام ،
وهبتك الحياة والحنان . والنجوم

وهبتها لمقلتيك ، والمطر
للقدمين الغضبتين . فاشرب الحياة
وعبتها ، بحبك الإله . «

أهكذا السنون تذهبُ
أهكذا الحياة تنضب ؟
أحس أنني أذوب ، أتعب ،
أموت كالشجر .

حنين هي روما

يتشاءب جسمك في خلدي
فتسجن عروق ،
عريان تزلق في أبد
تنهيه الرعشة ، فهي شروق
في ليل الشهوة . كل دمي
يتحرق ، يلهث ، ينفجر ،
ويقبل ثغرك ألف فم
في جسمي تنبت سقر
وأحن ، أتوق .

وأحس عيرك في نفسي

ينهدّ ، يدندن كالجرس .

ووليمةُ جسمكِ يا واهّا
ما أشهاها !!

يا فجر الصيف إذا بردا
يا دفء شتائي ، يا قبلاً أتمناها
أحيا منها ، وأموت بها وأضمّ الأمس
أمسّ غدا

وتعود اللحظةُ لي أبدا .
ما أنأى بيتكِ ، ما أنأى عينكِ
بحار ،

وجبالُ دم : زمنٌ جمدا
ليعود مدى . وأجنّ ، أثار

فأحسّ عبيرك في نفسي
ينهدّ ، يدندن كالجرس .

ما أسعدها ، ما أشقاها ؟ !

أرضي ، آسية العريانه

أنا في روما أبكيها وأعيش بذاكرها

الأنك فيها أهواها ؟

من جوع صغارك يا وطني ، أشبعت الغرب وغربانه .

صحراء من الدم تعوي ، ترجف مقروره

ومرابط خيل مهجوره

ومنازل تلهث أوتها

ومقابر ينشج موتاهها .

وأحسّ عبيرك في نفسني

ينهدّ ، يدندن كالجرس

لو شئت لطيفك أوربا

وطناً ، لملت معي زادي

وعبرت مرافئها ، وطويت شوارعها درباً درباً

أسقيه الشمس وأطعمه قبلاً وبراعم أوراد .

لكنك أثبت في الشرق ...

سأعود فأقطع سلّمتنا وثبّا
لأضمّك يا أبدَ الشوقِ
يا نور المرفأ يهدي القلب إذا قاها
يا قصة عنترَ إذ تروى حول التنشور فأحيّاها
سأحسنّ عبيرك في نفسِي
ينثال ويقرعُ كالجرّسِ

روما ١٩ / ١٠ / ١٩٦١

الأم والطفلة الضائعة

قفي ، لا تغربي ، يا شمس ، ما يأتي مع الليلِ
سوى الموتى . فمن ذا يُرجع الغائب للأهلِ
إذا ما سدّت الظلماء

دروباً أثرت بالبيت بعد تطاول المحل ؟
وان الليل ترجف أكبد الأطفال من أشباحه السوداء
من الشهب اللوامح فيه ، مما لاذ بالظلّ
من الهمسات والأصداء .

شعاعك مثل خيط الابرنت ، يشده الحب
إلى قلب ابنتي من باب داري ، من جراحاتي
وآهاتي .

مضى أزلٌ من الأعوام : آلاف من الأعمار ، والقلب
يعد خوافق الانسام ، يحسب أنجم الليل ،
يعد حقائق الأطفال ، يبكي كلما عادوا
من الكتاب والحقل .

ويا مصباح قلبي ، يا عزائي في الملمات ،
منى روحي ، ابنتي : عودي إليّ فيها هو الزادُ
وهذا الماء . جوعي ؟ هالكٍ من لحمي
طعاماً . آه !! عطشى أنت يا أمي ؟
فعبتي من دمي ماء وعودي .. كلهم عادوا .
كأنك برسفون تخطّفتها قبضة الوحش
وكانت أمها الوحى أقل ضنى وأوهاما
من الأم التي لم تدر أين مضيت !
في نعش ؟

على جبل ؟ بكيت ؟ ضحكتِ ؟ هبّ الوحش أم ناما ؟
وحين تموت نار الليل ، حين يعسّس الوسن
على الأجفان ، حين يفتش القصّاص في النار

ليلمح من سفينة سندباد ذوائب الصاري
ويخفت صوته الوهن ،
يحن دمي اليك ، يحن ، يعصرني أسى ضار .
مضت عشر من السنوات ، عشرة أدهر سود
مضى أزل من السنوات ، منذ وقفت في الباب
أنادي ، لا يرد عليّ إلا الريح في الغاب
تمزق صيحتي وتعيدها .. والدرب مسدود
بما تتنفس الظلماء من سمر وأعنان
وأنت كما يذوب النور في دوامة الليل ،
كأنك قطرة الطل
تشرّبها التراب .. أكاد من فرّق وأوصاب
أسائل كل ما في الليل من شبح ومن ظل ،
أسائل كلّ ما طفل :
« أبصرت ابنتي ؟ رأيتها ؟ أسمعت ممشاها ؟ »
.. وحين أسير في الزحمة
أصغر كل وجه في خيالي : كان جفناها

كغممة الشروق على الجداول تشرب الظلمة ،
وكان جبينها .. وأراك في أبد من الناس
موزعة فآه لو أراك وأنت ملتمة !
وأنت الآن في سحر الشباب ، عصيره القاسي
يغلغل في عروقك ، ينهش النهدين والثغرا
وينشر حولك العطرا ،
فيحلم قلبك المسكين بين النور والعتمة
بشيء لو تجسد كان فيه الموت والنشوة !
وأذكر أن هذا العالم المنكود تملأ كأسه الشقوة
وفيه الجوع والآلام ، فيه الفقر والداء .
أأنت فقيرة تتضرع الأجيال في عينيك ، فهي فم
يريد الزاد ، يبحث عنه والطرقا ظماء ؟
أحدق في وجوه السائلات أحالها السقم
ولوّنها الطوى ، فأراك فيها ، أبصر الأيدي
تمدد ، أحس أن يدي .. يدي معهن تعرض زرقاة البرد
على الأبصار وهي كأنهن أدارها صنم
تجمد في مدى عينيه أدعية وسال دم

فأصرخ « في سبيل الله » تخنق صوتيَ الدمعة
بخط الملح والماء .
وأنت على في لوعه
وفي قلبي ، وضوء شع ثم خبا بلا رجعه
وخلفني أفتش عنه بين دجى وأصداءِ

البصرة ٦ - ١٠ - ١٦١

النبوة الزائلة

وكانت تجمعُ في خاطري
خيوطُ ضبابيةٌ قائمه
نهاياتُها في المدى عائه
وأعراقها السود في ناظري .
ودارتْ خيوطٌ ولُفتْ سواها
فعانقنَ أفقا
ووسوسنَ غيماً على الريح مُلقى
تجمعَ من كل صوب ، ورعداً وبرقا :
لقد أغضب الآثمون الإلهة
وحقَّ العقاب !

يا أفراسَ الله استبقي
يا خيلاً من نارٍ وسحابٍ ،
من وقع سنابك الرعدُ
والبرقُ الأزرق في الأفقِ
وصهيلك صور لظى وعذابٍ ،
الوعد !! لقد أزف الوعدُ .
فيا قبضةَ الله ، يا عاصفاتُ
ويا قاصفات ، ويا صاعقه
ألا زلزي ما بناء الطغاةُ
بنيرانك الماحقه !
وتلتمَّ في خاطري
خيوطُ السحاب
وتلُقى على الأفقِ الدائرِ
وراءَ القباب :
وأحسستُ أن الغيوم انتظارُ
وأنَّ انتظاراً يشدُّ الترابُ

وأصدى .. بماذا ؟
بصوت انفجار
على الشطّ وادٍ وزمّ الشرار
ورقعتْ بال نظرة الشامتة
ثقوب الكوى الصامته :
سيندك سورّ ، ستنصبّ نار .
وكان انتظار .
وجمّعت الأرض أطباقها :
سيندك سورّ ، ستنصبّ نار ،
وعصرت السحب أعراقها
فبلّ الثرى عاصف ممطر !

جيكور ۱۹۶۱/۱۱/۳

مدينة السراب

عبرتُ أوربا إلى آسيه
وما انطوى النهارُ
كأنما الجبال والبحار
رَبى. وأطرافٌ من الساقيه
يطفرها الصغار .
بين شروق الشمس والغروبُ
تعانق الشمال والجنوب
ونامت المروج في القفار .
وأنتِ يا ضجيعتي ، كأنك الكواكبُ البعيده ،
كأنَّ بيننا من الكرى جدار .

تضمّك اليدان ، تعصران جثة بليده ،
كأنني معانق دمي على حجار
في منزل لصوصه الرياح والهجير والغيوم ،
مساؤه السكون والنجوم
وصبحه انتظار .
ترامت السنون بيننا : دماً ونار ،
أمدّها جسور
فتستحيل سور ،
وأنت في القرار من بحارك العميقه
أغوص لا أمستها ، تصكّني الصخور ،
تقطع العروق في يديّ ، أستغيث : « آه يا رفيقه
يا أقرب الورى إليّ أنت يا رفيقه
للدود والظلام » .
عشر سنين سرّتها إليك ، يا ضجيعة تنام
معي وراء سورها ، تنام في سرير ذاتها ،
وما انتهى السّفار

اليك يا مدينة السراب ، يا ردى حياتها .
عبرت أوربا إلى آسيه
وما انطوى النهار ،
وأنت يا ضجيعتي ، مدينة نائيه
مسدودة أبوابها وخلفها وقفت في انتظار .

البصرة ٢ - ١١ - ١٩٦١

نبوة ورؤيا

« تنبأ عراف هندي بأن الحياة على الارض
ستنتهي يوم ٢ شباط سنة ١٩٦٢ . »

نبوءتُك المريعةُ عذّبتني ، مزقت روحي ؛
نبوءتُك الرهيبةُ ، ايها العراف تبكييني ؛
رأيتُ مسالك الأفلاك تُهرع بالملايين .
قرأتُ خواطرَ الريحِ
ووسوسة الظلام كأنّ حقلًا بات ينتحب ؛
« ستنطفئ الحياة » ، ورحلتُ ترسم موعدَ القدرِ .
إذا حدجتني الشهبُ
هتفتُ بها : « غداً سنموت . فانهمري على البشرِ :

لأهونُ أن أموت لديك وحدي دون حشرجةٍ ولا أنته
من القدر المروع يجرف الأحياء بالآلاف . »

ولكنني أصبح إلى النهار فأسمع العراف
يهتدّد : « سوف يهلك من عليها ، سوف تلتهب » .
وتسرب في دمي جنته .

وحين رقدتُ أمس رأيتُ في ظلموتِ أحلامي
رؤى تتلاحق الأنفاس منها ثم تنقطع
أفقتُ وما تزال تضيء في خلدي وتندلع
كما يتفجّر البركان في ظلمات ليل دون انسام ،
بلا قمر وان يك في المحاق أكاد أقتلع
أكاد أمزق الدم في عروقي بارتعادة روعي الحيرى ...
أكاد أعانق القبرا .

أرى أفقاً وليلاً يطبقان عليّ من شرفه
ولي ولزوجتي ، في الصمت ، عند حدودها وقفه
نحدّق في السماء ونمنع الطفلين من نظر
إلى منا في دجاها الرابع المأخوذ من سقر ،

تطفّأت الكواكب وهي تسقط فيه كالشرر
تطفّأ تحت ذيل الريح وهي تسفّته سفّا ،
كانّ عصا تسوق مواكب الأفلاك في صحراء من 'ظلم' ،
ويلهث تحتنا الآجرّ ، يزحف تحتنا زحفا ...
تضعضع فهو يُمسِكُ نفسه ويثنّ من ألمٍ
ليهويّ حين يغفل ، حين يعجز ثم ينهارُ ؛
دجىّ 'نثرت بها نارُ' .

بنيّ اليك صدري ، فيه فادفن وجهك الطفلا
بنيّ صهٍ أقصّ عليك ... أيّة قصّة عندي ؟
تفجّرت الفقاعة وانتهى أبَدٌ إلى حدّ ؛
علام أتيتَ للدنيا ؟

ليدرك 'عمرُك' الليلا ؟

لتحيا أربع السنوات ثم لتبصر الساعة
تقوم ولست 'تدرك' ما تراه ؟ تريد أن تحيا
وتجهل أن موتك فيه بعثك ، أن للدنيا
نهاية سلّمٍ يفضي إلى أبديّ من الملكوت .
قلبك ؟ آه ... من راعه ؟

بكاءك وارتعابك فيها لله احراج
وباسمها اسائله الحساب : اتصرع الأطفال
لتشهد لوعة الآباء ؟ تسعد قلبك الآمال
تخيب !!

يكاد يهوي من صراخي عنده التاجُ
ويُهدم عرشه ويختر ، تطفأ حوله الآباد والآزال
ويقطر لابن آدم قلبه ألماً وينفطر .

بغداد ٢٦/١١/١٩٦١

ذهبت

ذهبتِ فاستحال بعدكِ النهارُ
كأنه الغروبُ ،
كأنما سحبت من خيوطه النضار .
وظلّ المدارج انكسارُ
ومثلّها انكسرتُ ، غام في خيالي الجنوبُ
ينوء بالحريفُ
تعرّت الكروم والجداول انطفأناً ، والحفيفُ
يموت في ذرى النخيل ، والدروب ،
بصمتها ، انتظار .
كحلّ عينيك سوادُ نار

تشبّ من قلبك ، من براعم النهود ،
يهتف بي إذا نظرت : أنتِ في استعار
يا أيّها البركان من ورود .
أواه لو أشدّ عينيك إلى النهار ،
إلى غدٍ فوق دمي يحوم .
أي سماء أشعلتها رعشة النجوم
وأثقل الظلام فيها من ندى المطر
نظرت من قرارها إليّ ، كالغيوم
تكنّ في اربدادها الزهر !
يا نظرة تخطفني ريحها السّموم
إلى الضفاف الحضر من نهر
غرقّت فيه ، أشعّيني ! أطفئي اللهب
يا نظرة يشدّ قلبي بالسما وتر
يعزف مرثّها عليه غنوة القمر .

١٩٦٢/١/٢٠

يا نهر

يا نهر عاد اليك من أبد اللحد ومن خواء الهالكين
راعيك في الزمن البعيد ، يسرح البصر الحزين
في ضفتيك ويسأل الأشجار عندك عن هواه
أوراقها سقطت وعادت ثم أذبلها الخريف
وتبدلت عشرين مره .

هيهات يسمع ، إذ توسوس في الدجى ، أصداء آه
بالأمس أطلقها لديك ترن في جرس الحفيف .
كم قبلة عادت دوائر في مياهاك مستسرّه ،
دنياه كانت أمس فيك ، فهل تعود إلى الحياه ؟
ليود من شغفٍ بمائك لو غدا

ظلاً يداعب فيه جنّياته
متعلقاً بشراع كل سفينة
ليجاذب الملاح أغنيّاته
وتلوذ أنوار النجوم بصدرة
وتراقص الأمواج من ضحكاته .
ما أخيب الموتى إذا رجعوا إلى الدنيا القديمة
وتلصصوا يتطلعون كما تطلع من كوى دارٍ شريدٍ
ورأى ثمار الجمر سار عصيرها دفناً وجمال عيرها المهدودُ
ما أخيب الموتى تكاد تحيل موتهم الهزيمة
شيئاً أمراً من الحياة .
ما أخيب الموتى ! تغير كل شيء ، كل باقٍ
مما أطلّ على الحياة لأنهم كانوا كواه ،
أم مات ما عرفوه إذ ماتوا ، فليس سوى رؤاه ؟
فتكبدوا ألمّ الفراقِ ،
ألمّ التغرب مرتين . فيا ضفاف النهر ، يا أمواجه وبحاره
ماذا تبقى فيك من أمس الهوى ؟

الدوح أسلم لليلي ورقاته
وهي التي سمعت لديك حواره
وهي التي أودعت فيها ، في الضحى ،
قبلاتنا وطويت فيها ناره ،
إني ذويت مع الظلام كما ذوى
يا ليت لي شفة فتلتم أو يداً فتمس ماءك .
إني لأكثر من غريب غربةً وأشد حيرة ؛
لم يبق فيك سوى الزمان ، وليس مما فيك قطره
من ماء أمس . كأن فجرأك عادَ قبل غدٍ مساءك
وكان ضفتك الحبيبة ضفةً الأبد البعيد .
يا نهر إن وردتك «هالة» والربيع الطلق في نيسانِه
ولى صباها فهي ترتجف الكهولة ، وهي تحلم بالورود
في حين أثقلها الجليد ، كأن نبعا في اللحود
تمتص منه عروقها دمها ، فقل : لم ينس عهدك
وهو في أكفانه .

أبو الحبيب ١٩٦٢/٢/٢

صياح البط البري

وذري سكون الصباح الطويل
هتاف من الديك لا يصدأ
وهز الصدى سعفات النخيل
وأشرق شباكنا المطفأ .
هتاف سمعناه منذ الصغر
سمعناه حتى نموت
يمر على عتبات البيوت
فيرسم أبوابها والحجر
ولا يهدأ
إلى أن تسير الحقول

الينا فنقطفَ منها الثمرَ

وعند الضحى وانسكاب السماء
على الطَّيْنِ والعُشْبَةِ اليابسه ،
يشقُّ الينا غصونَ الهواء
صياحٌ ، بكاءٌ ، غناءٌ ، نداء
يُبشِّرُ شطآننا اليائسه
بأنَّ المَطَرَ

على مَهْمَدِ الرِّيحِ مدُّ القلوعِ ،
هو البطُّ ... فلَتَتَهْنَأِي يا شموعُ
بموتٍ به تعرفين الحياةَ
به تعرفين ابتسامَ الدموعِ :
تذوراً تذويين ، للأولياءِ .

صياحٌ ... كأنَّ الصَّيَّاحَ
يُنشِّرُ ، مما انطوى من رياح ،

سهولاً وراء السهول
أزاهيرها في الدجى من نباح
وعند النهار خزامى ، أقاح
وختمة ما لها من ذيول ...
ينشر في شاطئ مشمس
من القصب الكثر غاباً له عذبات تطول .
صياح كأجراس ماء ... كأجراس حقل من النرجس
يدندن الشمس تصغي ، يقول
بأن المطر
سيهطل قبل انطواء الجناح
وقبل انتهاء السفر ...

١٩٦٢/٣/١٨

المعبود الغريق

خيولُ الريحِ تصهلُ ، والمرافىءُ يَلْمَسُ الغَرَبُ
صوارِيها بِشمسٍ من دمٍ ، ونوافذُ الحانهِ
تراقصُ من وراءِ خصاصِها سُرجُ ، وجمعُ نَفْسِهِ
الشَّرْبُ

بُخِيطٍ من خيوطِ الخوفِ مشدوداً إلى قنينةٍ ، ويمدُّ آذانه
إلى المتلاطمِ الهدّارِ عند نوافذِ الحانهِ .

وحدّث - وهو يهمس جاحظَ العَيْنَيْنِ ، مرتعداً ،
يعبُّ الخَمَرَ - شيخٌ عن دجى ضافٍ وأدغال
تلامحَ وَسَطِها قَمَرُ البَحِيرَةِ يلثمُ العَمَدَ ...
يمسُّ البابَ من جنباتِ ذاكِ المَعْبَدِ الخالي .

طواه الماء في غلَس البحيرة بين أحراش مبعثرة
وأدغال .

هنالك قبِل ألف ، حين مجّ لظاه من سقر
فمّ يتفتّح البر كان عنه فتنفّض الحمى
قرارة كل ما في الواد من حجرٍ على حجرٍ ،
تفجّر باللظى رَحِمُ البحيرة ينثر الأسماك والدم ،
مرغياً سماء

وقرّ عليه كل كل معبدٍ عصفت به الحمى .
تطفأ في المياخر جمرها وتوهج الذهب
ولاح الدُرّ والياقوت أثماراً من النور ،
نجوماً في سماء الماء تزحف دونها السحب
تمرّغ فوقها التمساح ثم طفا على السور
ليحرس كنزَه الأبدى حق عن يد الظلماء والنور

وأرسي الأخطبوطُ فنارَ موتٍ يرصد البابا ،
سجا في عينه الصوّراء صُبْحٌ كان في الأزل ...

تهزأ بالزمان ، يمرّ ليل بعد ليل وهو ما غابا
فقيم غرور هذا الهالك الإنسان ، هذا الحاضر المشدود
بالأجل ؟
أعمر ألف عام ؟ ليته شهد الخلائق وهي تعبر شرفة الأزل ؟

ألا يا لبيته شهيد السلاحيف : تسحق الدنيا
قيصرها ، ويمنع درعها ما صوب الزمن
اليها من سهام الموت !
لكن الذي يحيا
بقلب يعبر الآباد ، يكسر حده الوهن
فيصمت ، عمره أزل يمس حدوده أبد من الأكوان
في دنيا

هنالك ألف كنز من كنوز العالم الغرقى
ستشبع ألف طفل جائع وتقبل آلاف من الداء
وتنقذ ألف شعب من يد الجلاّد ، لو ترقى
إلى قلبك الضمير !

أكلَ هذا المال في دنيا الأرقاءِ
ولا يتحرّرون ؟ وكيف وهو يُصفّدُ الأعناقَ ،
يربطها إلى الداءِ ؟

كأنّ الماءَ في ثبَجِ البحيرةِ يمنعُ الزّمنَ
فلا يتقحّمُ الأغوارَ ، لا يخطو إلى الغُرْفِ .
كأنّ على رِجاجِ البابِ طلسمًا ، فلا وسّنا
ولكنّ يقظةً أبَدٌ ، ولا مَوْتٌ يحدّ حدودَ ذاك الحاضرِ
الترِفِ
كأنّ تهجّدَ الكُتّهاتِ نبعٌ في ضميرِ الماءِ يدفق منه
للغُرْفِ .

إذنّ ما عاد من سَفَرٍ إلى أهليه عوليسُ ...
إذنّ فشراعه الخفّاقُ يزرعُ فائراً الأمواجُ
بما حسّبَ الشهورَ وعدّ حتّى هدّه البؤسُ .
فيا عوليس .. شابَ فتاك ، مَبْسَمَ زَوْجِكَ الوهاجِ
غداً تحطّباً . ففيم تعود ، تفري نحو اهلك أضلعَ الأمواجِ
هلمّ فمأ شيني ^(١) في انتظارك يحبس الأنفاسُ

(١) بحيرة في الملايو غرق المعبد الى قرارتها .

فما جرحته نقرة طائرٍ أو عكرته أناملُ النسم .

هلم فأنّ وحشاً فيه يحلم فيك دون الناس
ويخشى أن تفجّر عينه الحمراء بالظلم
وأنّ كنوزة العذراء تسأل عن شراعك خافق النسم .
أما فجعتك في طروادة الآهات من جرحي
ومحتضرين ؟

يا لدم أريق فلطخ الجدران
ورد ترايتها الظمان طيناً ، رده جرحاً
كبيراً واحداً ، جرحاً تفتح في حشا الإنسان
ليصرخ بالساء .

فيا لصوتٍ ردّته نوافذ الحجرات والجدران :

« لأجل فجور أنثى واتقاد متوجٍ بالثار
تخضب من دم المهجات حتى سلم الأفن ؛
وحل بلا أوان يومنا ، وتساوت الأعمار

كزراع منه ساوى منجل...
وهناك في الشفقِ
تنوحُ نساءنا المترملات، يُولولُ الأطفال عند مدارج الأفق،.

هلمّ فقد شهدتُ ، كما شهدتَ ، دماً وأشلاء :
تفجّر في بلادي 'قمقم' ملأته بالنارِ
دهورُ الجوع والحرمان .

أيّ خليفة قاءا ؟
رأينا أنّ أفئدة التتار ، وأذؤب الغارِ
أرقّ من الرّعاع القالعين نواظرَ الأطفال والشاوين بالنار
شفاه الحُلُمَة العذراء .

يا نهرأ من الحقدِ
تدفّق بالحناجر والعِصي ، بأعينٍ غضبي :
نجوماً في سماء شدّها قابيلُ بالزّندِ .
فليتك حين هزّ الموصِلَ الأعصارُ (لا درُبا
ولا بيتاً ، ولا قبراً نجاً فيها) شهدتَ الأعينُ الفَضبي

ولَيْتَكَ فِي قَطَارٍ مَرَّ حِينَ تَنْفَسُ السَّحَرُ
 فَقَصَّ ، عَلَى سَرِيرِ السَّكَّةِ الْمُدُودِ ، أَمْرَاسَا (١)
 تَعْلَقَ فِي نَهَائِتِهِنَّ جِسْمٌ يَحْصِدُ النُّظَرَ
 عَلَيْهِ الْجُرْحَ بَعْدَ الْجُرْحِ بَعْدَ الْجُرْحِ أَكْنَدَاسَا
 لِيَهْوِيَ جِسْمٌ « حَفْصَةٌ » (٢) لَابِسًا فَوْقَ النَّجِيعِ دَمًا
 وَأَمْرَاسَا .

وَفِيمَ نَخَافُ فِي تَبَجِّجِ الْبَحِيرَةِ أَوْ حَفَافِيهَا
 كَوَاسِجِ (٣) ضَارِيَاتٍ أَوْ تَمَاسِيحَ التَّظْتِ لَهَبًا
 نَوَاجِذُهَا الْحَدِيدَةُ ؟ فِيمَ تَخْشَى كُلُّ مَا فِيهَا ؟
 فَإِنَّ عَقَارِبَ الرِّقَاعِ (٤) يُضْمِرُ سَمَّهَا الْعَطَبَا

- (١) الأمراس : الحبال .
 (٢) إحدى شهيدات الموصل (العراق) .
 (٣) سمك القرش ، كلاب البحر .
 (٤) أحد أبطال المد الفوضوي في العراق .. ينزل السجن الآن محكوماً
 عن سبع جرائم .

وتزرع في الجسوم أزاهرَ الدم والجراحَ بلا دم لها

هلمْ نشقْ في الباهنج (١) حقلَ الماء بالمجذافِ
وننثر أنجُمَ الظلماءِ ، نسقطُها إلى القاعِ
حصىً ما ميّزته العينُ عن فيروزه الرفّافِ
ولؤلؤهِ المنقطِ بالظلامِ .

سنُرعِبُ الراعي

فيُهرع بالخرافِ إلى الحظيرةِ خوفاً أن يغرقنَ في القاعِ .

هلمْ فلكيلُ آسيةَ البعيد مداه ، يدعونا
بصوتٍ من 'نعاس' ، من ردى' ، من سجع كُهانِ .
هلمْ ... فما يزال الدهرُ بين أيدينا .
لنطوّر دُجاء قبل طلوع شمسٍ دونَ ألوانِ
تبدّد عالمَ الأحلامِ ، 'تخفّت' - إذْ يرنّ التّبرُّ فيها -
سجع كُهانِ !

(١) النهر المؤدي الى بحيرة شيني .

يحول التَّبَرُّ فيها مثل وَحْشٍ يَأْكُلُ الموتى
ويشرب من دم الأحياء ، يسرق زادَ أطفالِ
ليتقَدَّ اللّظى في عَيْنِه ، ليُعِيرَه صَوْتَا
يحطّمُ صوتَ كلِّ الأنبياء هناك .

يا لرنين أغلالِ

ويا لصدىّ من الساعات ، بالأكفان مسّ رؤوسَ أطفالِ
وفلّ عناقَ كلِّ العاشقين ، ودسّ في القُبْله
مُدَىّ من حَشَرَجَاتِ الموت ، ردّ أصابعَ الأيدي
أشاجعَ غابَ عنها لحمها ، وستائرُ الكلّة
يحولُّها صفائح تحتها جثثٌ بلا جِلْدِ
هَلُمّ فَبَعْدُ ما لمح المجوسُ الكوكب الوَهَّاجُ تبسّطُ
نحوه الأيدي

ولا ملأتِ حِرَاءَ (١) وَصَبَّحَهُ الآياتُ والسُّورُ .

هَلُمّ فما يزال زيوس يصبغ قمّة الجبلِ
بنخمرته ، ويُرسل ألف نسرٍ نَزَّ من أحداقها الشررُ

(١) النار الذي نزل الوحي فيه على محمد .

لتخطف من يُدير الخمر (٢) يحمل أكؤس الصهباء
والعسل
هلم نرور آلهة البحيرة ،
ثم نرفعها لتسكن قمة الجبل !

البصرة ١٧/٢/١٩٦٢

(٢) غانيميد الشاب اليوناني الذي ارسل اليه زيوس (كبير الآلهة) نسراً
فاختطفه واصبح ساقياً للآلهة .

أفيا، جيکور

نافورة من ظلالٍ ، من أزاهيرٍ
ومن عصافيرٍ ..
جيكورٌ ، جيكورٌ ، يا حَقْلًا من النور
يا جدولاً من فراشاتٍ نطاردها
في الليل ، في عالم الأحلام والقمرِ
ينشرْنَ أجنحة أندى من المطرِ
في أول الصيف .
يا بابَ الأساطيرِ
يا بابَ ميلادنا الموصولَ بالرحيمِ
من أين جئناكِ ، من أيِّ المقاديرِ ؟

من أيّما ظلمٍ ؟
وأيّ أزمّةٍ في الليل سرّناها
حتى أتيناك أقبلنا من العدم ؟
أم من حياة نسيناها ؟
جيكورُ مستي جيبني فهو ملتهبُ
مسيّه بالسّعفِ
والسنبُلِ الترفِ .
مدّي عليّ الظلالَ السمرَ ، تنسحبُ
ليلاً ، فتخفي هجيري في حناياها .

ظلُّ من النخلِ ، أفياءُ من الشجرِ
أندى من السّحرِ
في شاطئٍ نام فيه الماء والسّحبُ . . .
ظلُّ كأهدابِ طفلٍ هدّه اللّعبُ ،
نافورة ماؤها ضوء من القمرِ
أودّ لو كان في عينيّ ينسربُ
حتى أحسّ ارتعاش الحلم ينبع من روعي وينسكبُ .

نافورة من ظلالٍ ، من أزهيرِ
ومن عصافير ...

جيكورُ .. ماذا ؟ أنمشي نحن في الزمَنِ
أم أنه الماشي
ونحن فيه وقوفٌ ؟
أين أوله
وأين آخره ؟

هل مرَّ أطولُه

أم مرَّ أقصره الممتدَّ في الشَّجَنِ
أم نحن سيانٍ ، نمشي بين أحراشِ
كانت حياةٌ سوانا في الدياجيرِ ؟
هل أنَّ جيكور كانت قبل جيكورِ
في خاطر الله .. في نبعٍ من النور ؟
جيكور مدُّي غِشاءَ الظلِّ والزهرِ ،
سدي به بساب أفكارٍ لأنساها :
وأثقلي من غصون النؤم بالشمَرِ

بالخوخ والتين والأعناب عاريةً من قشرها الخصر .

ردى إليّ الذي ضيّعتُ من عمري
أيّام لهوي .. وركضي خلف أفراس

تعدو من القصص الريفى والسمّر ؛
ردّي أبا زيد ، لم يصحب من الناس

خلاّ على السفر

إلاّ وما عاد .

ردّي السندباد وقد ألقته في جزر

يرقادها الرخ ريح ذات أمّراس

جيكور لمي عظامي ، وانفضي كفني

من طينه ، واغسلي بالجدول الجاري

قلي الذي كان شباكاً على النار .

لولاك يا وطني ،

لولاك يا جنّتي الحضراء ، يا داري

لم تلق أوتاري

ريحا فتنقل آهاتي وأشعاري ،

لولاك ما كان وَجْهُ الله من قدرى .

أفياءُ جِيكُورَ نَبْعَ سال في بالي
أبلٌ منها صدى رُوحى ..
في ظلّها أشتهى اللقيا ، وأحلم بالأسفار والريحِ
والبحرِ تقدح أحداق الكواسج في صخابه العالى
كانها كِسَرٌ من أنجمٍ سقطتْ
كانها سُرْجُ الموتى تقلبُها أيدي العرائس من حالٍ
إلى حالٍ .

أفياءُ جِيكُورَ أهواها
كانها انسرحتْ من قبرها البالى ،
من قبر أمى التى صارت أضالعها التعبى وعيناها
من أرض جِيكُورَ .. ترعاني وأرعاهها .

جيكور - ١٧/٣/١٩٦٢

الشاعر الرجيم

« إلى شارل بودلير »

حملت للنزال سيفك الصديء
يهتز في يد تكاد تحرق السماء
من دمها المتقد المضيء ،
تريد أن تمزق الهواء .
وتجمع النساء
في امرأة شفاها دم على جليد
وجسمها الخاتل البليد
أفعى إذا مشت ، وسادة على الفراش ...
لا تريد
أن تفتح الكوى ليدخل الضياء

كي لا تحسّ أنها خواء .
ويرفع الشّرقُ أمام عينك الستورُ ،
توشك أن تعانقَ الجمال عند سدّة الأله ،
تكاد أن تراه

يهفُّ وسط غيمةٍ من عبّقى ونور .
تراه في حلّة نهدي توقد النجوم
بحمرة لها ...
أريته يقوم

من قبره ، تحمله سحابة الدّخان
ينام تحت ظلّها الفقير والشريد :
فهو أميرٌ حوله الكؤوس والقيان ،
وبيته العتيد

جزيرٌ من جزُر المرجان
كانّ بجرّاً غاسلاً لسبوس^(١) بالأجاج
تشربه روحك من صدى إلى القرار
كان سافو أورثتك من العروق نار ،

(١) الجزيرة التي اتخذت الشاعرة الاغريقية سافو هيكلاً لها فيها ،

وأنت لا تضمّ غير حُلُمِكَ الأبيد
كمن يضمّ طيفه المٌطلّ من زجاج :
'حرقة' نرسيّس ، وتنتلوس^(١) والثمار !
كانّ أفريقية الفاترة الكسول
(أنهارها العراض والطبول
وغابها الثقيل بالظلال والمطر ،
وقيظها الندي .. والقمر)
تكورت في امرأة خليعة العذار
رضعت منها السُمّ واللهيب ،
قطرت فيها سُمّك الغريب ...
كانّها سحابة الدخان والخدر
أقمت منها ، بين عالم تشدّه نوابض النّضار
وبين عالم من الخيال والفكر ،
من نشوة جدار
تقبع خلف ظلّه فلا ينالك البشّر .

(١) عشق نرسيّس ظله . وتنتلوس جائع أبداً يقترب من فمه غصن مثقل بالثمار ، حتى إذا كاد يأكل أبعدت الريح الغصن عن فمه .

دخلتُ ، من كتابك الأثيم ،
حديقةَ الدم التي تؤجّ بالزَّهر ،
شربتُ من حروفه سلافةَ الجحيم
كأنَّها أثداء ذئبةٍ على القفار
حليبُها سُعار
وفيتُّها نعيم .
غرقْتُ فيه ، صكَّتي العُبابُ
يقذفني من شاطئٍ لشاطئٍ قديم ،
حملتُ من قراره محارةَ العذاب
حملتها إليك
فمدَّ لي يديك
وزحزح الصخورَ والتراب

البصرة ٢٤/٣/١٩٦٢

لأنني غريب

لأنني غريب
لأنّ العراق الحبيب
بعيد ، وأنني هنا في اشتياق
إليه ، إليها ... أنادي : عراق
فيرجع لي من ندائي فحبيب
تفجّر عنه الصدى
أحسّ بأنني عبرتُ المدى
إلى عالمٍ من ردى لا يجيب
ندائي ؛
وإمّا هزّزتُ الغصونُ

فما يتساقطُ غَيْرُ الردى :
حجارٌ
حجارٌ وما من ثمار ،
وحتى العيون
حجارٌ ، وحتى الهواء الرطيب
حجارٌ يندى به بعضُ الدم .
حجارٌ ندائي ، وصخرٌ فمي
ورجلاني ريحٌ تجوب القفار .

بيروت ١٥/٤/١٩٦٢

ابن الشهيد

وتراجع الطوفان ، لم كل أذيال المياه
وتكشفت قمم التلال ، سفوحها ، وقرى السهول ،
اكواخها وبيوتها خرب تناثر في فلاه .
عركت نيوب الماء كل سقوفها ومشى الذبول
فيما يحيط بهن من شجر ... فآه
آه على بلدي ، عراقي : أثر الدم في الحقول
حسكا ، وخلف جرحه التتري ندباً في ثراه .
يا للقبور كأن عاليها غدا سفلا وغار إلى الظلام
مثل البذور تنام في ظلم الثار ولا تفيق .
يتنفس الاحياء فيها كل وسوسة الرغام ،

حتى يموتوا في دجائها مثلما اختنق الغريق .
جثث هنا ، ودم هناك ..

وفي بيوت النمل مد من الجفون

سقف يقرمده النجيع ، وفي الزوايا

صفر العظام من الحنايا .

ماذا تخلف في العراق سوى الكآبة والجنون ؟

أرأيت أرملة الشهيد ؟

الزوج مد عليه من ترب لحافاً ثم نام

متمدداً بأشد ما تجد العظام

من فسحة : سكنت يداه على الأضالع ،

والعيون

تغفو إلى أبد الإله ، إلى القيامة : في سلام .

رمت الرداء العسكري ونشّرتة على الوصيد ...

لثمته ، فانتفض القماش يرد برد الموت ،

برد المظلمات من القبور .

يا فكرها عجباً .. ثقت بنارك الأبد البعيد ،

يا فكر شاعرة يفتش عن قوافٍ للقصيد
ماذا وجدت وراء أمسي وعبر يومك من دهور ؟
« الثأر » يصرخ كل عرق ، كل باب
في الدار . يا لقم تفتّح كالبحيم .. من الصخور ،
من كل ردن في الرداء ، من النواقذ والستور ،
من عيني ابنك ، يا شهيد ، تسائلان ، بلا جواب ،
عنك الأسرة والدروب ، وتسألان عن المصير ،
مذ البسته الأم ثوبك في معاركك ، الأثير
ويداه في الردين ضائعتان ، والصدر الصغير
في صدرك الأبوي عاصفة تغلف بالسحاب
ورنا إلى المرأة .

ابصر فيه شخصك في الثياب .
— « أبنى كان أبوك نبعا من لبيب ، من حديد ،
سوراً من الدم والرعود ،
ورماه بالاجل العميل فخرًا — واهاً — كالشهاب ،
لكن لحاً منه شع وفض اختام الحدود

وأضاء وجه القوضوي يتز بالدم والصدید
وكأن في أفق العروبة منه خیطاً من رغب « .
رتنفس الغد في الیتیم ومد في عینیه شمسه
فرأى القبور یهب موتاهن فوجاً بعد فوج
أكفانها هرئت ..

ولكن الذي فیها یضم الیه امسه
ویصبح « یا للثار ... یا للثار ... »
یصدي كل فج
وترنّ أقبية المساجد والمآذن بالنداء .
وینام طفلك وهو یحلم بالمقابر والدماء .

البصرة ١٩٦٢/٣/١

حرب عام ١٩٥٣

في ليلةٍ كانت شرايينها
فحماً ، وكانت أرضها من لحود
ياكل من أقدامنا طينها ،
تسعى إلى الماء ،

إلى شراعٍ مزقته الرعود
فوق سفينٍ دون أضواءٍ ،
في الضفة الأخرى .. يكاد العراق
يوميء ؟ يا أهلاً بأبنائي
لكننا ، واحسرتنا ، لن نعود
أواه لو سيكارة في فمي

لو عُثْوَةٌ .. لو ضِمَّةٌ ، لو عناق
لَسَعَفَةٍ خُضراءَ أو بُرعم
في أَرْضِي السَّكْرَى برؤيا غدٍ .
إنّا مع الصّبح على موعدٍ
رغم الدجى .. يا عراق !
ريفٌ وراء الشطّ بين النخيل
يفغو على حلمٍ طويل طويل ،
تشاءبت فيه ظلالٌ تسيل
كالماء بين الماء والعُشبِ .
يا ليت لي فيه
قبراً على إحدى روابيه ،
يا ليتني ما زلت في لعبي
في ريف جيّكورة الذي لا يميل
عنه الربيعُ الأبيضُ الأخضرُ :
السّهّل يندى والرّبيّ تزهرُ .
ويطفئ الأحلام في مقلتي

— كأنها منفضةٌ للرماد —

همسٌ كشوكٍ مسٍّ من جبهي

يُنذر بالسارين فوق الجياد

(سنابك الخيل مساميرُ نارُ

تدقُّ تابوت الدجى والنهار :

ناعورةٌ تحرس كرمَ الحدود (١)

أثقلَ طينُ الخوف ما للفرار

من قدم تدمى .. ومدَّ السدود .

أمن بلادي هاربٌ ؟ أيَّ عار !!

وارتعشَ الماءُ وسار السّفينُ

وهبَّتِ الرياحُ من الغربِ

تحمل لي دَرَبِي ...

تحمل من قَبَرها ذرَّةً طينُ ،

تحمل جيئكورَ إلى قلبي .

يا رِيحُ يا رِيحُ

توهَّجتُ فيكِ مصابيحُ

(١) وضع الأبيات بين الأقواس لا يعني أنها مضمنة .

من ليل جيڪور ، أضاءت 'ظلمة' السفين
لأبصر الأعين كالشهب
تلتّم حوّلِي ، لأراها تلين !
وأنجمُ الشطّ زهورٌ كبارٌ
أوشكتُ أن أبصرَ سيقانها
تمتدّ في الماء ، تمسّ القرار ،
لملمّ فجرُ الصيف ألوانها
كانّها أوّجهُ حورٍ تحار
فيها تباريحُ الهوى والحياة ...
كانّها زنبقُ نارٍ وماء .

البصرة ٢١/٣/١٩٦٢

جيكور شابت

ما نفضتُ الندى عن ذرى العُشب فيها ،
ما لثتُ الضبابَ الذي يحتويها ،
جئتُها والضّحى يزرع الشمس في كلّ حقل وسطحِ
مثلَ أعواد قمعٍ .
فرّ قلبي إليها كطيرٍ إلى عُشه في الغروبِ .
هل تُراهُ استعاد الذي مرّ من عُمرِهِ ، كلُّ جرحِ
وابتسامٍ ؟
أبعد انطفاءِ اللهبِ
يستطيع الرماد اتّقاداً ؟ ومن أين ؟ من أيّ جُمرَةٍ ؟
يا صباي الذي كان للكون عطراً وزهواً وتيجاً ..

كان يومي كعامٍ ، تعدُّ المسرَّة
فيه نبضاً لقلبي تفجّر منها على كل زهره .
كانت الأرض تلقى صباها لأول مرّة ...
كان قابيلها بذرة مُستسرّة ...
كان للأرض قلبٌ ، أحسُّ به في الدروب ،
في البساتين ، في كل نهرٍ يُروّي بنيتها .
آه جيکور ، جيکور ..

ما للضحى كالأصيلِ
يسحب النور مثلَ الجناحِ الكليل ؟
ما لأكواخكِ المقفرات الكئيبة
يحبس الظلُّ فيها نحيبَه ؟
أين أينَ الصبايا يوسوسنَ بين النخيل
عن هوى كالتماع النجوم الغريبه
أو يجرّرنَ أذيالهن التي لوّنتهنّ أقمار صيف
أو شمسٌ خريفيةٌ ، عند شطّ ظليلِ
والشفاهُ ابتساماتٌ حبٍّ وخوفٍ ؟؟؟

عجائزُ أو في القبور - ..
 عجائزُ يغزلنَ حول الصَّلَاةِ
 ويروينَ ، عَبْرَ الكرى والفتور ،
 أقاصيصَ عن جنّةٍ في بيوتِ خواءٍ ،
 لأحفادهنَّ اليتامى .
 وجيكور شابتُ وولى صباها
 وأمسى هواها
 رماداً ، إذا ما
 تأوّهنَّ هزّته ريحٌ ..
 أثارته حق ارتقى في صداها
 هباءً وذراً تضيقُ الصدور
 به عن مداها .
 أين جيكورُ ؟
 جيكور ديوانُ شعري ،
 موعداً بين ألواحٍ نعشي وقبري .

كره كرات المياه التي كثر الشمس منها ارتجاف ،
والأنين الذي منه كنا نخاف
صاعداً مثل مدّ تنزّ القبور
عنه ، والشمس تمتصّ من كلّ نهر ،
ودرابك في الأرض تنقرهنّ البذور
وهي تنشقّ في كلّ فجرٍ -
ذكريات .. كما يترك الصوت من ميتٍ
في خيالٍ رنينه

مثل نايٍ تشطّى وأبقى أنينه .
ايه جيڪور ، عندي سؤالٌ ، أما تسمعيته ؟
هل تُرى أنتِ في ذكرياتي دفينه
أم تُرى أنتِ قبر لها ؟ فابعثها
وابعثيني

وهيهات ! ما للصّبي من رجوع .
إن ماضيّ قبري واني قبّر ماضيّ :
موتٌ يمدّ الحياةَ الحزينه ؟

أم حياةٌ تمُدُّ الرّدى بالدموع ؟

* * *

ما تفضتُ الندى عن ذرى العشب فيها .

جيكور ١٩٦٢/٤/٢

احتراق

وحتى حين أصهرُ جسمكِ الحجريّ في ناري
وأنزِع من يديكِ الثلج ، تبقى بين عَيْنينا
صحارى من ثلوج تُتَهك الساري ،
كأنك تنظرين إليّ من سُدُمٍ وأقمارٍ ،
كأنّا ، منذ كنّا ، في انتظارٍ ما تلاقينا .
ولكنّ انتظار الحبّ لُقيّا ... أين لقيانا ؟
تمزّقَ جسمك العاري ...
تمزّقَ ، تحت سَقَفِ الليل ، نَهْدُكِ بين أظفاري ...
تمزّقَ كل شيءٍ من لهبي ، غيرَ أستارٍ
تُحجِّبُ فيك ما أهواه .

كأنّي أشرب الدمَ منك ملجأ ، ظلّ عطشاناً
مَن استسقاءه . أين هوائك ؟ أين فؤادك العاري ؟
أسدّ عليك بابَ الليل ثم أعانقُ البابا
فألثمُ فيه ظلّي ، ذكرياتي ، بعض أسرارِي ...
وأبحثُ عنك في ناري
فلا ألقاكِ ، لا ألقى رمادك في اللظى الواري .
سأقذف كل نفسي في لظاها ، كلّ ما غابا
وما حضرا .

أريدك فاقتليني كي أحسّك .

واقتي الحجر

بفيض دمٍ ، بنارٍ منك .. واحترقي بلا نارٍ ؟

بيروت - ٢٦/١٠/١٩٦١

سهر

سهرتُ فكل شيءٍ ساهرٌ : قدماي والمصباحُ
وأورّاقِي .

أنا الماضي الذي سدّوا عليه البابَ ، فالألواح
غدي والحاضر الباقي .

أنا الغد في ضمير الليل ، مدّة الليل ألفَ جناح
عليه ، فطار ، لما طار ، بالظلماء والشّهْبِ .
أصغْتُ السَّمْعَ والظلماءُ حولي بوقُ سياره

يبثّ إلى البغيّ رسالة الحبّ

ويومئذ للسكاري : أن تعالوا ، ألف خماره
تكسر ، تفرج الساقين ، تقطع نومة الدرب
بوهومة النيون .

أصختُ والظلماء صفارة

وخطوة حارس ...

فذكرتُ نهر القرية المكسال

يسيل لكي يعيش ، لكي يموت ، يمضه الجزر

فيعمرى جرفه الطيني حتى يُقبل الفجر

فيحمل في سناه المدّ ، يحمل زورقاً يختال

بصيادٍ يُعد شباكه ويرود في الماء

مسارب كل ناعسة من الأسماك خضراء .

ذكرتُ مقابر الأطفال

تلوذ بكلِّ سفحٍ ، نام فيها دون أئداءٍ

ولا قُمُطٍ ، صغارٌ من حصاد الجوع والداءِ

لقد رضعوا من الثدي الذي لم تبله الأجيالُ

وناموا في حمى الأمِّ التي لا يستوي الأطفال

ولا الأشياءُ إلا في حماها ، في حمى ترَبٍ وظلماءٍ .

سهرت الليل في بيروت ، لا بين المواخيرِ

(كهوف العالم المتحضّر المغسول بالنور)

هنا يتوكأون على العظام ليصعدوا أفقاً من النشوه ،

لينحدروا الى فجوه

تثائبَ ظلّها وأصيلها بين الدياجير

وبين منابع الأضواء ،

تثاءب ظلّها وأصيلها بين العقارب والسنانير

وبين المُسرج الظلماء

والممتدّ حتى الله في القدس وفي سيناء .

سهرت يرنّ صورُ الموت في أذنيّ كالزلازل :

« تهدم حائط الأجيال

وكاد يغور إذ لمستّه كفيّ » ، ألفُ نوحٍ زالْ

وألفُ زليخةٍ صيّرتُ كحلّ عيونها ظلمه .

أنا الباقي بقاء الله أكتب باسمه الآجال

وما لسواه عند مطارق الآجال من حرمة . «

هنا في كلّ موتٍ ألفُ موتٍ : كان في الضمّة

وفي القبلات ، في الأقداح ،

قدور الاسطوانة وهو فيها لمعة الضوءِ

يوسوسُ في تهدّج صوتها فيُخادع الأرواح ،

ويلبس جبهة الملاح في النوم .

سهرتُ لأنني أدري

بأنني لن أقبل ذات يوم وجنة الفجر .

سيُقبل مطلقاً في كل عشٍ نعمةً وجناح

وسوف أكون في قبري .

بيروت ١٥/٤/١٩٦٢

الوصية

من مرضي ،
من السرير الأبيض
من جاريّ انهار على فراشه وحشرجا
يمصّ من زجاجة أنفاسه المصفّره ،
من حلمي الذي يمدّ لي طريق المقبره
والقمرّ الریضّ والدجى ...
أكتبها وصيّةً لزوجتي المنتظره
وطفلي الصارخ في رقاده : « أبي ، أبي » ،

تلم في حروفها من 'عمري' المذنب .
لو أنّ عوليسَ وقد عاد إلى دياره
صاحتْ به الآلهةُ الحاقدةُ المدمّره
أن ينشرَ الشراعَ ، ان يضلَّ في بحاره
دون يقينٍ أن يعود في غدٍ لداره ،
ما خضَّه النذيرُ والهواجسُ
كما تخضَّ نفسي الهواجسُ المبعثره ،
اليوم ما على الضمير من حياءٍ حارسُ :
أخافُ من ضبابةٍ صفراءِ
تتبع من دماثي
تلفّني فما أرى على المدى سواها
أكاد من ذلك لا أراها ،
يقصُّ جسمي الذليلَ مبْضَعُ
كأنه يقصُّ طينةً بدون ماءٍ

ولا أحسّ غير هبّةٍ من النسيم ترفعُ
من طرف الستائر الضبابِ
ليقطرَ الظلامُ ، لستُ أسمع
سوى رعودٍ رنّ في البابِ
منها صدىّ وذاب في الهواءِ ...
أخاف من ضبابٍ صفراءِ !
أخاف أن أزلّقَ من غيبوبة التخديرِ
إلى بحارٍ ما لها من مرسى
وما استطاع سندبادُ حين أمسى
فيهنّ أن يعودَ للعودِ وللشراب والزهور ،
صباحها ظلامُ
وليلُها من صخرةٍ سوداء .
من ظلّ غيبوبتي المسجور
إلى دجى الحِمامِ

ليس سوى انتقالة الهواء ،
من رثة تغفو ، إلى الفضاء .
أخاف أن أحس بالمبضع حين يجرح
فأستغيث صامت النَّداء
أصبح لا يردّ لي عوائي
سوى دمٍ من الوريد ينضج .
وكيف لو أفقتُ من رقادي المخدّر
على صدى الصور ، على القيامة الصغيره :
يحمل كلّ ميتٍ ضميره
يشعّ خلف الكفن المدثّر ،
يسوق عزرائيلُ من جموعنا الصّفر إلى جزيره
قاحلة يقهقه الجليدُ فيها ،
يصفر الهواء في عظامنا ويبكي .
ماذا لو أنّ الموتَ ليس بعده من صخوّه ،

فهو ظلامٌ عَدَمٌ ، ما فيه من حسٍّ ولا شعور !
أكل ذاك الأنس ، تلك الشقوة
والطمع الحافر في الضمير
والأمل الخالق من توثب الصغير
ألفَ أبي زيدٍ تفور الرغوة
من خيله الحمراء كالهجير ...
أكلتها لهذه النهاية ؟
تري الحماة للحياة غايه ؟

إقبالُ يا زوجتي الحبيبة
لا تعذليني ما المنايا بيدي
ولستُ ، لو نجوتُ ، بالخلدِ .
كوني لغيلان رضى وطيبه

كوني له أباً وأماً وارحمي نحيبه
وعلميه أن يُذيلَ القلبَ لليتيم والفقير
وعلميه ...

‘ظلمة’ الناس

أهدأبها تمس من عيوني الغريبه
في البلد الغريب ، في سريري
فترفع اللهب عن ضميري ...
لا تحزني إن مت أي باس
أن ‘يخطم’ الناي ويبقى لحنه حتى غدي ؟
لا تبعدي
لا تبعدي
لا ..

بيروت ١٩٦٢/٤/١٩

منزل الاقنان

مَنْزِلُ الْأَقْبَانِ

رحل النهار

رحل النهار

ها إنه انطفأت ذبالتُه على أفقٍ توهج دون نار
وجلستِ تنتظرين عودة سندباد من السفار
والبحرُ يصرخ من ورائك بالعواصف والرعود .

هو لن يعود ،

أو ما علمتِ بأنه أسرتُه آلهة البحار
في قلعة سوداء في جزرٍ من الدم والمحار .
هو لن يعود ،

رحل النهار

فلترحلي ، هو لن يعود .

الأفقُ غابات من السحب الثقيلة والرعود ،
الموتُ من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الموتُ من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار
الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار
رحل النهار
رحل النهار .

وكانّ معصمك اليسار
وكانّ ساعدك اليسار ، وراء ساعته ، فنار
في شاطئٍ للموت يحلم بالسفين على انتظار .
رحل النهار
هيهات أن يقف الزمان ، تمر حتى باللحودِ
خطى الزمان وبالحجار .
رحل النهار ولن يعود .

الأفق غابات من السحب الثقيلة والرعود
الموت من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الموت من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار

الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهال

رحل النهار

رحل النهار .

خصلات شعرك لم يَصْنُها سندباد من الدمار ،

شربت أجاج الماء حتى شاب أشقرها وغار

ورسائل الحب الكثار

مبتلة بالماء منطمس بها ألق الوعود

وجلستِ تنتظرين هائمة الخواطر في دوار :

« سيعود . لا . غرق السفين من المحيط إلى القرار

سيعود . لا . حجزته صارخة العواصف في إصار

يا سندباد ، أما تعود ؟

كاد الشباب يزول ، تنطفئ الزنابق في الحدود

فمتى تعود ؟

أوّاه ، مدّ يديك بين القلب عالمه الجديد

بهما ويحطم عالم الدم والأظافر والسعار ،

يبني ولو لهنية دنياه .

آه متى تعود ؟

أترى ستعرف ما سيعرف ، كلما انطفأ النهار ،
صمت الأصابع من بروق الغيب في ظلم الوجود ؟
دعني لأخذ قبضتيك ، كمااء ثلج في انهار
من حيثما وجهت طرفي .. ماء ثلج في انهار
في راحتي يسيل ، في قلبي يصب إلى القرار .
يا طالما بهما حملت كزهرتين على غدير
تفتتحان على متاهة عزلي .
رحل النهار

والبحر متسع وخاوي . لا غناء سوى الهدير
وما يبين سوى شراعٍ رنتحته العاصفات ، وما يطير
إلا فؤادك فوق سطح الماء يخفق في انتظار .
رحل النهار
فلترحلي ، رحل النهار

بيروت ١٩٦٢/٦/٢٧

هدير البحر والأشواق

هدير البحر يقتل من دمائي ، من شراييني
حبال سفينةٍ بيضاء ينعس فوقها القمر
ويُرْعش ظلّها السحر .

ومن شباكِي المفتوح تهمس بي وتأتيني
سماء الصيف خلّفت طيفه في صحوها المطر .
ونحن نسير ، والدنيا تسير وتقرع الأبواب
فتوقظ من رؤاه القلب : ذاك عدوك الزمن
تدور رحاه .. كم ستظلّ تحقق ؟ ها هم الأصحاب
تراب منه تمتلئ الدروب وتشرب الدمن !

يودّ القلبُ لو حطّمتِه ، لو حطمتْ خفقاتِه شفتيكِ

والكتفين والصدرا ،

ولو ذرّتك من زفراقي الحرّى
رياح الوجد والحرمان . والهفي على عينيك
ليتها تمران

بدمع أو بإشفاقٍ على صحراء حرمانى
لينبت في مداها الزهر . ليتها تمرّانِ ،
بما نسج التأمل من غيوم فيها حيرى
بما نسج التفرد من نجومٍ فيها سكرى ،
على عمري الذي عرّاه من زهراته الداءُ .
يود القلب لو حطّمته لو حطمت خفقاته شفتيك

والكتفين والصدرا

ولو عرّاكِ ، لو ذرّاكِ ، لو أكلتكِ أشواقى
ولو أصبحت خفقا أو دماءً فيه أو سرّاً
فإن أحببتك الحب الذي أقسى من الموت
وأعنف من لظى البركان والحب الذي يأتي
إليّ كأنّ نفخ الصور فيه ، فكل ذرّ الميتين دمّ وأحياء

فذاك لأنك النور الذي عرّى دجى الأعمى
وأنت صباي عاد إليّ ، أختاً عاد أو أمّا .
وأنت حبيبتي ، أفديك ، أفدي خفق جفنيك
وما نقضا من السحب
وأفدي خفق نهديك
على قلبي !

بيروت ١٩٦٢/٧/١

نداء الموت

يَدَّوْنَ أعناقهم من ألوف القبور يصيحون بي :
أن تعال ،

نداء يشق العروق ، يهزّ المشاش ، يبعثر قلبي رمادا
« أصيل هنا مُشعل في الظلال

تعال اشتعل فيه حتى الزوال . »

جدودي وآبائي الأولون سراب على حد جفني تهادى .

وبي جذوة من حريق الحياة تريد المحال .

وغيلان يدعو « أبي سر » ، فاني على الدرب ماشٍ أريد

الصباح . »

وتدعو من القبر أمّي « بنيّ احتضنني فبرد الردى في عروقي

فدفء عظامي بما قد كسوت ذراعيك والصدر ، واحمـ
الجراح

جراحي بقلبك أو مقلتيك ولا تحرفن الخطى عن طريقي
ولا شيء إلا إلى الموت يدعو ويصرخ ، فيما يزول ،
خريف ، شتاء ، أصيل ، أفول .

وباقٍ هو الليلُ بعد انطفاء البروقِ
وباقٍ هو الموت ، أبقى وأخلد من كل ما في الحياة .
فيا قبرها افتح ذراعيك ...

إني لآتٍ بلا ضجّةٍ ، دون آه !

بيروت ٢٠٢٢/٥/٢

ربيع الجزائر

سلاماً بلاد اللظى والخراب
ومأوى اليتامى وأرض القبور ،
أتى الغيث وانحلّ عقد السحاب
فروّى ثرى جائعاً للبذور .
وذاب الجناح الحديد
على حمرة الفجر تغسل في كل ركن بقايا شهيد
وتبحث عن ظلمات الجذور .
وما عاد صبحك ناراً تقعقع غضبي وتزرع ليلاً
وأشلاء قتلى
وتنفث قابيل في كلّ نارٍ يسفّ الصديد

وأصبحت في هدأةٍ تسمعين نافورةً من هتاف
لديك يبشّر أن الدجى قد تولّى
وأصبحت تستقبلين الصباح المظلل
بتكبرةٍ من ألوف المآذن كانت تخاف
فتأوي إلى عاريات الجبال
تبرقع أصداءها بالرمال .

* * *

بماذا ستستقبلين الربيع ؟
ببقيا من الأعظم الباليه
لها شعلة رشّت الداليه ،
تعير العناقيد لون النجيع .
وفي جانبي كل درب حزين
عيون تحدّق ، تحت الثرى
تحدّق في عورة العاجزين .
لو تستطيع الكلام
لصبت على الظالمين

حميماً من اللعنات ، من العار ، من كل غيظ دفين .
ربيعك يمضغ قَيْحَ السلام .

* * *

بيوتك تبقى طوال المساء
مفتحةً فيك أبوابها
لعل المجاهد بعد انطفاء اللهب وبعد النوى والعناء
يعود إلى الدار يدفن تحت الغطاء
جراحاً ، يفرّ إليه الصغار ترفرف أثوابها
يصيحون « بابا » فيفطر قلب السماء
— « وماذا حملت لنا من هديته ؟ »
— « غداً ضاحكاً أطلعت الدماء . »
وكم دارة في أقاصي الدروب القصية
مفتحة الباب ، تقرعه الريح في آخر الليل قرعاً
فتخرج أم الصغار
ومصباحها في يدٍ أرعش الوجد منها ،
يرود الدجى ، ما أنار

سوى الدرب قفر المدى ، وهي تصغي وترهف سمما
وما تحمل الريح إلا نباح الكلاب البعيد ،
فتخفت مصباحها من جديد

* * *

« ولما استرحنا بكيثنا الرفاق ! »
هماس لأنيس^(١) عبر القرون
وما أنت تدمع فيك العيون
وتبكين قتلاك .

نامت وغى فاستفاق
بك الحزن : عاد اليتامى يتامى ،
ردى عاد ما ظن يوماً فراق .
سلاماً بلاد الشكالى ، بلاد الأيامى
سلاما
سلاما ...

بيروت : ٧ / ٦ / ١٩٦٢

(١) بطل « انياذة » فرجيل .

خذيني

خذيني أطرّ في أعالي السماء
صدي غنوةٍ ، كركراتٍ ، سحابة !
خذيني فإن صخور الكآبه
تشدّ بروحي إلى قاع بحرٍ بعيد القرارِ
خذيني أكن في دجاء الضياء
ولا تتركني لليل القفارِ .
إذا شئتِ ألاّ تكوني لناري
وقوداً ، فكوني حريقاً .
إذا شئتِ أن تخلصي من إساري ،
فلا تتركني طليقاً .

خذيّني إلى صدرك المثلّـل
بهمّ السنين .

خذيّني فإني حزين
ولا تتركيّني على الدرب وحدي أسير إلى المجهـل .
وكانت درويي خيوط اشتياق
ووجدت وحبّـ

إلى منزل في العراق
تضيء نوافذه ليل قلبي ،
إلى زوجةٍ كان فيها هنائي
وكانت سمائي

كواكبها ترسم الدرب ، دربي .
وهبت عليها رياح سموم
تبعثر خيطان تلك الدروب البعيدة ،
فعادت جذى كل تلك النجوم
صلبت عليها ، وعادت مسامير نعشـ
وعادت درويي درباً إذا جئت أمشي

رمانی إلیک ، کوزنِ یقود القصیده .
فوا لهف قلبي علیک !
ودرب رمانی إلیک !
أما تعلمین بأني تشهیتک البارحه
أشم رداءکِ حق کأني
سجین یعود إلی داره یتنشق جدرانها :
هنا صدرها ، قلبها کان یخفق - کان التمني
یدغدغه ، یُشعل الشوق فیه إلی غیمة رائحه
لأرض الحبيب : ستنضح أركانها
بذوب نداها .
تشهیتک البارحه
فقبّلت رذن الرداء : هنا ساعداها ،
هنا إبطها ، یا لكهف الخيال
ومرفأ ثغري إذا جرفته ریح ابتهال
ودحرجه مدث شوقٍ ملحٍ ، وقد حار فيه السؤال :
« تحبینني أنتِ ؟ هل تحجلین ؟ »

أم استنزفت شوقك الكبرياء
فلم يبقَ إلا ابتسام الرثاء ؟
أترثين لي أم ترى تشفقين
على قلبك انهدّ تحت الصليب المعلق في صخرة الكبرياء ؟
نباح الكلاب المبعثر في وشوشات النخيل
ينبّه في قلبي الذكريات العتاق
ويربط دقات قلبي بأرض العراق
لأسمع « بابا » فيطفأ حبي وتبرد نار الغليل
وأعدو على الدرب سدّت خطاي عليه
نوافذ بيتي تجمّد فيها الضياء :
تغربت عنه وعدت إليه .

بيروت ١٩٦٢/٧/٣

حامل الخرز الملون

ماذا حملت لها سوى الخرز الملون والضباب ؟
ما خضت في ظلمات بحر أو فتحت كوى الصخور
والرياح ما خطفت قلوبك ، والسحاب
ما بلّ ثوبك . ما حملت لها سوى الدم والعذاب .
في سجنها هي ، خلف سور .
في سجنها هي ، وهو من ألم وفقر واغتراب .
عشر من السنوات مرّت وهي تجلس في ارتقاب :
أطفالها الموثبون مع الصباح
صمتوا وكفّوا عن مراح ،
زجرتهم لتُحسّ وقع خطاك . برعمت الزهور

وأتى الربيع وما أتيت ، وجاء صيفٌ ثم راح .
ماذا يعيقك في سواحل نائياتٍ ؟ في قصور
قفر يعيش الغول فيها ، كلما رمت الرياح
بخطام صاريةٍ تحفّز ؟ ما يعيقك عن رجوع ؟
لم تبق للغد من دموع
في مقلتيها ، لا ولم يبق ابتسامٌ للقاء !
ستعود ، حين تعود ، بالخرز الملوّن والهباء ،
ستضم منها طيف أمس ، فلا يُحيبك في الضلوع
منها سوى دمك المفجّع والخواء !

بيروت ١٩٦٢/٥/٩

سفر أيوب

١

لك الحمد مهـا استـطال البلاء
ومـهـا استـبدّ الألم ،
لك الحمد ، ان الرزايا عطاء
وان المصـيبـات بعض الكـرم .
ألم تعـطـني أنت هـذا الظلام
وأعـطـيتـني أنت هـذا السّحر ؟
فهل تشـكر الأرض قـطر المطر
وتغـضب إن لم يجـدّها الغـمام ؟
شـور طـوال وهـذي الجـراح
تمزّق جـنـي مـثل المـدى

ولا يهدأ الداءُ عند الصباح
 ولا يمسح اللئيلُ أوجاعه بالردى .
 ولكنَّ أيُّوبَ إنَّ صاح صاح :
 « لك الحمد ، ان الرزايا ندى ،
 وإن الجراحَ هدايا الحبيبِ
 أضْمُ إلى الصَّدْرِ باقَاتِهَا ،
 هداياكَ في خافقي لا تغيب ،
 هداياكَ مقبولةٌ . هايتها ! »
 أشدَّ جراحِي وأهتف بالعائدين :
 « ألا فانظروا واحسدوني ، فهذي هدايا حبيبي .
 وإن مسَّت النارُ حرَّ الجبين
 توهمتُها قُبلةً منكَ مجبولةً من لَهيبِ .
 جميلٌ هو الشَّهْدُ أرعى سَمَاكَ
 بعيني حتى تغيبَ النجومُ
 ويلمسَ شَبَاكَ داري سناكَ .
 جميلٌ هو الليل : أصداء بوم

وأبواقُ سيارَةٍ من بعيد
وآهاتُ مرضى ، وأمّ تُعيد
أساطيرَ آباءها للوليد .
وغاباتُ ليل الشَّهادِ ، الغيوم
تُحجِّبُ وَجْهَ السَّماءِ
وتُجْلوه تحت القمر .
وإن صاح أَيْثوبُ كان النداءُ :
« لك الحمد يا رامياً بالقَدَرِ »
ويا كاتِباً ، بَعْدَ ذاكَ ، الشِّفاء ! »

لندن ١٩٦٢/١٢/٢٦

من خَلَلِ الثلج الذي تَنثَنه السماء
 من خَلَلِ الضباب والمطر
 ألمح عينيك تشعان بلا انتهاء
 شعاع كوكب يغيب ساعة السحر
 وتقطران الدمع في سكون
 كأن أهدابها غصون
 تنطف بالندى مع الصباح في شتاء .
 من خلل الدخان والمداخن الضخام
 تمجّ من مغار قابيل على الدروب والشجر
 ذرّاً من النجيع والضرام

أسمع غيلانَ يناديكِ من الظلامِ
من نوّمةِ اليتيمِ في خرائبِ الضجرِ .
سمعتِ كيف دقّ بابنا القَدَرُ ؟
فارتعشتِ على ارتجافِ قرعِهِ ضلوعُ ؟
ورقرقتِ دموعُ ؟
فاختلسَ المسافرُ الوداعَ وانحدرَ ؟ .

* * *

وقبلَ بينِ فمي وخافقي تُحار
كأنها التائه في القفار
كأنها الطائرُ إذْ خربَّ عشهُ الرياح والمطرُ ،
لم يحوها خدّ لغيلانَ ولا جبينُ
ووجهه غيلانَ الذي غابَ عن المطار !!
وأنتِ إذْ وقفتِ في المدى 'تلوّحين' !!

* * *

إقبال' ... إنَّ في دمي لوجهكِ انتظار ،
وفي يدي دمٌ ، إليكِ شدَّةُ الحنينِ .
ليتكِ تُقبِلينِ
من خَلَلِ الثلجِ الذي تنثَّه السماء ،
من خَلَلِ الضبابِ والمطر !

لندن ٢٧/١٢/١٩٦٢

بعيداً عنك ، في جيڪور ، عن بيتي وأطفالي
 تشدُّ مخالبُ الصَّوان والأسفلتِ والضَّجَرِ
 على قلبي ، تمزِّق ما تبقى فيه من وترٍ
 يدندنُ : « يا سكونَ الليل ، يا أنشودةَ المطر » ،
 تشدُّ مخالبُ المالِ
 على بطني الذي ما مرَّ فيه الزادُ من دهرٍ .
 عيون الجوع والوحده
 نجومِي في دجى صارعتُ بين وحوشه برَّده ،
 وإن البرد أظعمُ ، لا .. كأنَّ الجوعَ أظعمُ ، لا .. فإنَّ الداءَ
 يشلُّ خطاي ، يربطُها إلى دوامةِ القَدَرِ .

ولولا الداء صارعتُ الطوى والبرد والظلماء .
بعيداً عنك أشعر أنني قد ضعت في الزحمة
وبين نواجذ الفولاذ تمضغ أضلعي لُقمه .
يمرُّ بي الورى متراكضين كأنَّ على سَفَرٍ ،
فهل أستوقف الخطوات ؟ أصرخُ : « أيها الإنسان
أخي ، يا أنت ، يا قابيل .. » تُخذُ بيدي على الغُمَّه !
أعنتي ، خفَّف الآلامَ عني واطرد الأحران ؟
وأين سواك من أدعوه بين مقابر الحَجَر ؟

* * *

ولولا الداء ما فارقتُ داري ، يا سنا داري
وأحلى ما لقيتُ على خريف العُمر من ثَمَر .
هنا لا طيرَ في الأغصان تشدو غيرَ أطيَّارِ
من الفولاذ تهدر أو "تحمحم" دونما خوفٍ من المطرِ
ولا أزهارَ إلا خَلْفَ واجهةٍ زجاجيَّة
يُراح إلى المقابر والسجون يهنُّ والمستشفيات .
ألا .. ألا يا بائعَ الزهرِ
أعندك زهرةٌ حيَّة ؟

أعندك زهرةٌ مما يربُّ القلبُ من حُبٍّ وأهواءٍ ؟
أعندك وردةٌ حمراءُ سقَّتْها شمسٌ إستوائِيَّةٌ ؟

* * *

أأصرخُ في شوارع لندن الصَّماءِ : « هاتوا لي أحبائي ؟ »
ولو أني صرختُ فمن يُجيب صراخَ منتحِرٍ
تمرُّ عليه طولَ الليلِ آلافٌ من القُطُرِ ؟

لندن ٢٨ - ١٢ - ١٩٦٢

يا ربُّ أَيُّوبَ قد أعبأ به الداءُ
 في غربةٍ دونما مالٍ ولا سَكَنٍ ،
 يدعوك في الدُّجَنِ
 يدعوك في ظَلَمَتِ الموت : أعبأُ
 نادَ الفؤاد بها ، فارحمه إن هتفا .
 يا منجياً فُلُوكَ نوحٍ مزَّق السُّدَفا
 عني . أعدني إلى داري ، إلى وطني !

* * *

أطفالُ أَيُّوبَ من يرعاهمُ الآن ؟
 ضاعوا ضياع اليتامى في دجى شاتٍ .

يا ربُّ أَرْجِعْ عَلَى أَيُّوبَ مَا كَانَا :
جِيكُورَ وَالشَّمْسَ وَالْأَطْفَالَ رَاكُضَةً بَيْنَ النَّخِيلَاتِ
وَزَوْجَهُ تَتَمَرَّى وَهِيَ تَبْتَسِمُ
أَوْ تَرْقُبُ الْبَابَ ، تَعْدُو كُلَّمَا قُرِعَا :
لَعَلَّهُ رَجَعَا
مَشَاءَةً دُونَ عُكَّازٍ بِهِ الْقَدَمُ !

* * *

فِي لَنْدَنَ اللَّيْلِ مَوْتٌ نَزَعَهُ السَّهَرُ
وَالْبَرْدُ وَالضَّجَرُ
وَعُزْبَةٌ فِي سَوَادِ الْقَلْبِ سَوْدَاءُ .
يَا رَبَّ يَا لَيْتَ أَنِّي لِي إِلَى وَطَنِي
عَوْدٌ لَتَلْتَمِنِي بِالشَّمْسِ أَجْوَاءُ
مِنْهَا تَنْفَسْتُ رُوحِي : طِينَهَا بَدَّ نِي
وَمَاؤُهَا الدَّمُ فِي الْأَعْرَاقِ يَنْحَدِرُ .
يَا لَيْتَنِي بَيْنَ مَنْ فِي تُرْبِهَا قُبُورَا .

* * *

لأنّهُ منك ، حلّوْ عِنْدِي المَرَضُ ،
حاشا ، فليستْ عليّ ما شئتَ أَعترضُ .
والمال ؟ رزقٌ سيأتيّ منه موفور ،
هيهات أن يذكر الموتى وقد نهضوا
من رقدة الموت كم مصّ الدماء بها دودٌ ومدٌ بساطُ
الثلج ديثجور !

إني سأشفى ، سأنسى كلَّ ما جرّحنا
قلبي ، وعرّى عظامي فهي راعشةٌ والليل مقرر .
وسوف أمشي إلى جيکور ذات ضُحى !

لندن ٢٩ - ١٢ - ٦٢

نازلاً نازلاً من صحارى السماء ،
 من عصور جليديّة ، من قبور
 نام فيها الهواء .
 أيّها الثلج ، يا حشرات الدهور
 وانتحاب المساكين في كل كهف يغور
 في جبال السنين ،
 كن لهيباً على أوجه العابرين ،
 قنّع الخوف فيها بلون الرجاء .

* * *

أيّها الثلج رحماك ، إني غريب
 في بلادٍ من البرد والجوع سكّرى ،

ان لي منزلاً في العراق الحبيب
صبيتي فيه تعلقك صخرا .
آه ، لولاك يا داء ما عفت داري ،
ما تركت الزهور التي فتحت في جداري
والعصافير في ركن بيتي هنّ اختصام .
مرّ يوم ، فشهر ، فشهر ، فعام

* * *

والزمان ارتماءً بدون انتهاء
تزفر الأرض عنه وتبكي السماء .
ربّ ، هل لي إلى منزلي من رجوع ؟
كم أمدّ الذراع وأهدم سقف الضلوع
لا أمسّ المدى أو أصيب الزمانا ،
فهو شيء على الروح يسعى : هباءً وظلّمة .
ليت عصر النبوات لم يطور حلمه ...
وشئت المعجزات الحواشي فكانت وكنا .

* * *

ليتني العازر انفضّ عنه الحمام ،
يسلك الدرب عند الغروب ،

يتمهلُ لا يقرع الباب : من ذا يؤوب
من سراديب الموتِ عبر الظلام ؟
لن تصدّق أنّي ... ستهوي يداها
عن رتاجٍ ، وتصفّرُ لي وجنتها
ثم تركض مذعورةً ، تشدّ بخيوط الدروب
نحو قبري ، وتطويه حتى تمسّ الضريحَ الحطام .

إيه إقبال ، لا تيأس من رجوعي
هاتفاً قبل أن أقرع الباب : عاداً
عازراً من بلاد الدجى والدموع ،
سورها كان ملتحاً ، نجيعاً ، رماداً .
قبّليني على جبهة صكّتها الموتُ صكّاً أليماً ،
حدّقي في عيون شهدن الردى والمعاداة .
عدتُ . لن أبرح الدارَ حتى لو أنّ النجوم
دحرجت سلماً من ضياءٍ وقالت :
تخطّ السديماً .

لندن ١٩٦٢/١٢/٣١

خيالُ الجسدِ العاري
 يُطلّ عليّ محمولاً على موجٍ من النارِ
 من المدفأة الحمراء ، ذاك الرَّحيمِ الضاري .

* * *

لكلّ تقلّب من موجها خفق من القلبِ .
 تدحرج : عُريّ النهدان ، بانّ الجيد والساق ،
 تدحرج لي على الجنبِ ،
 تدحرج ثمّ صكّ أضالعي ، وتثار أعراقُ
 ويطفر للجبين دمٌّ ، ويعروني
 دوارٌ منه تصطك النواجدُ : تخوفَ بحارٍ

يُطلّ فيُبصر التّيار يزفر مثل قنين .
ويصرخ آدمُ المدفونُ في : رضيتُ بالعارِ ،
بطرُدي من جنان الخُلدِ اركض إثراً حواءا .
أريدك ، يا سراباً في خيالي ليس يسقيني ،
أريدك . ثمّ تطوى موجةٌ وتطير أشلاء
فقاعاتٌ من النيران ، من شوقٍ وتذكّار .

* * *

وجاء الجسدُ العاري ،
خيالاً جاء محمّولاً على موجٍ من النارِ
من المدفأةِ الحمراء ، ذاك الرّحيم الضاري .

* * *

يميل عليّ كيف أشاء ، أعصره كما أهوى ،
ولا يقوى
على رفضي ، على تهديم عرشٍ من لظى وارٍ
أتوجّ فوقه الآمال راعشة القوى شهوى .
بجارٌ بيننا : ليلان من مدُنٍ وأمطارٍ ،

وإنّك منك أقرب ، أنتِ بعضُ دمي ،
خيالي أنتِ ، أمنيات عمري ... كل أمنيتِه
بعاطفتي "تحرّك" لا عواطفك الأنايت .
علام مددتِ بحرّاً بيننا ، دنيا جليديّه
أعانتقُ في دجاها جسمكِ العاري
يطلُّ عليّ "محمولاً على موجٍ من النارِ
من المدفأة الحمراء ، من وهمي وأفكاري .

لندن ١٩٦٢/١٢/٣١

٧

البردُ وهَسْهَسَةُ النارِ
ورماد المدفأةِ الرَّمْلُ
تطويه قوافلُ أفكاري .
أنا وحدي يأكلني اللَّيْلُ .

* * *

وينخبُّ المركبُ إلى داري :
برقٌ يتلامح في الآفاق ، يعرِّبها
ويُنذرُها
كرماد المبخرة الشكلى
في مقبرةٍ تهب اللّيلة

ألوان الموت وآهات الموتى فيها .

* * *

يا ليل ، لكم طال الدّربُ .
تعب الراكبُ ،

وعراقي شطّ ، وسمّاري
ناموا . وبقيتُ ولا زادُ

عندي ، وظمئتُ ولا ماءُ . ظمىء القلبُ :
لا سقيا غير شظيّات البرق الواري .

يا أغصانَ الليل انهمري ثمرأ إذ يؤكل يزدادُ
السلةُ منه سأملاًها حتّى إن عدتُ إلى داري
فرحَ الأطفالُ به ، هتفوا : « بابا .. »

يا برق ، أما تخبو

فينغيبَ الدربُ ، ولا يبدو
كم منه على الساري بَعْدُ !

* * *

البرد وهسهسة النار
ورماد المدفأة الرمل
تطويه قوافل أفكاري .
أنا وحدي يأكلني الليل !

لندن ١ - ٢ - ١٩٦٣

ذكرتُك يا لميعةُ والدجى ثلجٌ وأمطارُ ،
 ولندنُ مات فيها الليل ، مات تنفُّسُ النورِ .
 رأيتُ شبيهةً لك شعرها ظلمٌ وأنهارُ ،
 وعيناها كينبوعين في غابٍ من الحورِ .
 مريضاً كنت تثقل كاهلي والظَّهر أحجارُ ،
 أحنُّ لريفٍ جيِّكورِ .
 وأحلم بالعراق : وراء بابٍ سدَّت الظلماءُ
 باباً منه والبحر المزججُ قام كالسورِ
 على دربي .
 وفي قلبي
 وساوسُ مظلمات غابت الأشياء

وراء حجابهنّ وجفّ فيها منبع النور .
ذكرتُ الطلعةَ السمراءُ ،
ذكرتُ يديك ترتجفان من فرقٍ ومن بردٍ
تنزّه به صحارى للفراق تسوطها الأنواء .
ذكرتُ شحوب وجهك حين زمّرَ بوقُ سيّاره
ليؤذنَ بالوداع . ذكرتُ لذّع الدمع في خدّي
ورعشةَ خافقي وأنينَ روجي يملأ الحاره
بأصداء المقابر . والدجى ثلجٌ وأمطار .

لندن ٢ - ١ - ١٩٦٣

بالعضل المفتول والسواعد المجدولة
 هرقل صارع الردى في غاره المحجب
 بظلمة من طحلب .

وقام تموز يخرج فاغر مخضب
 يصك (موت) صكة ، محجباً ذيله
 وخطوه الجليد بالشقيق والزنابق .

وانخطف الموت علي كائنخفاف الباشق
 على العصافير ، أحوال ظهري
 عمود ملتح أو عمود جمر ،

أحرّك الأطراف لا تطيعني ، مشلوله ،
مات الدم الفوّار فيها ، أطفئ الشباب ،
وامتدّ نحو القبر دَرَبٌ ، بابٌ
من خشب الصليب : فالمسيحُ
ماتَ ، وفي الطوفان ضلّ نوحٌ .
وأغضيتُ نواظري الذليله ...
لعلّها تعتاد من دجاها
على دُجى غطاؤها الضريح .

أيّ سلاح ؟ آه ، أيّ ساعدٍ ؟
أيّة أزهارٍ تمدُّ فاما
لتأكل الموت ؟ وأيّ ناصرٍ مساعدٍ ؟
سللتُ من قصائدي
سيفاً كأن البرقَ حدّادٌ رمى أصوله
وصبّ مقبضاً له وشفره .
بالشعر ، بالمبرق ، بالمُجلجل المدوّي

رميت وجه يهوي نحوي
كأنه الستار في رواية هزيلة ،
رميت وجه الموت ألف مرّة
إذا أطلّ وجهه البغيض
كأنه السيرين^(١) ، يسعى جسمي المريض
نحو ذراعيه بلا تردد
فأنتضي من سيفي المجرّد ،
ويقطر الشّعْر ولا يغيض ،
لأنني مريض
أودّع الحياة أو أشدّ بالحياة
بخطئه الموروث عن أموات
لم يدفع الشّعْر منايهم وقد
جاءت إليهم غيلة !

١٩٦٣/١/٢

(١) السيرين ، كما في الاوديسة، حورية بحر تغني فتجذب اليها من يسمعها .

يا غيمةٌ في أوّل الصباحُ
 تعريد الرياح
 من حولها ، تنتفُ من خيوطها ، تطير
 بها إلى سماءٍ تجوع للحريز ،
 سينطوي الجناح ،
 ستنتفُ الرياح ريشه مع الغروب ،
 يا غيمةٌ ما أمطرت ، تذوب .

* * *

فأبرقي وأرعدي وأرسلني المطرُ
 ومزّني ذوائبَ الشجرُ

وأغرقى السهوب
وأحرقى الثمر .
سترجننّ بعدك السنابل الثقال بالحبوب ،
وتقطف الورود والأقاح
صبيّة يؤجّ في وجنتها الجنوب ،
وأنت ذرّة من الدماء والجراح .

* * *

وأنت يا شاعرَ واديك ، أما تؤوب
من سفرٍ يطول في البطاح ،
تراقص النّهر
وتلثم المطّسّر ؟
أما سمعتَ هاتف الرواح ؟ :
« خامّ وزنبيل من التراب
وآخر العُمر ردى » . ويطلع القمّر .
فأبرق ، ارعد ، أرسل المطر
قصائد احتوى مداها دارة العُمر ،

يا غيمةً في أول الصباح ،
يا شاعراً بهمّ بالرواح ،
وودّع القمر !

لندن ١٩٦٣/١/٢

منزل الأتقان

في جيکور

خرائبُ فائزِعِ الأبوابِ عنها تغدُ أطلالا ،
خوالٍ قد تصكُّ الرِّيحُ نافذةً فتُشرعها إلى الصَّبَحِ
تطلُّ عليكُ منها عينُ بومٍ دائبِ النُّوحِ .
وسلمُها المحطَّمُ ، مثلُ برجٍ دائرٍ ، مالا
يثنَّ إذا أتته الرِّيحُ تصعده إلى السَّطحِ ،
سفينٌ تعركُ الأمواجُ ألواحهُ

وتملأ رُحبةَ الباحةِ
ذوائبُ سدرَةٍ غبراءَ تزحمُ العصافيرُ

تعدّ خطى الزمان بسقّساتٍ ، والمناكير
كأفواهٍ من الديدان تأكل جثّة الصمتِ
وتملأ عالم الموتِ
بهسّسةِ الرثاء ، فتفرّغ الأشباح تحسب أنه النورُ
سيشرق ، فهي تمسك بالظلال وتهجر الساحة
إلى الغرف الدجيّة وهي توقظ ربّة البيت :
« لقد طلع الصباح » . وحين يبكي طفلها الشّبحُ
تهدهده وتنشد : « يا خيول الموت في الواحه
تعالى واحمليني ، هذه الصحراء لا فرحُ
يرفّ بها ولا أمنٌ ولا حبٌّ ولا راحة » .

ألا يا منزلَ الأقنان ، كم من ساعدٍ مفتولٍ
رأيتَ ومن خطى يهتزّ منها صخر كالهاري !
وكم أغنيّة خضراء طارت في الضحى المغسولِ
بالشمس الحريفيّة ،
تحدّث عن هوى عاري
كماء الجدول الرقراق ! كم شوقٍ وأمنيّة ! !

وكم ألم طويئتَ وكم سُقيتَ بدمعٍ جاري ؟
وكم مهد تهزهز فيك : كم موت وميلاد
ونارٍ أوقدتُ في ليلة القبرِ الشتائيه !!
يدندنُ حولها القصّاص : « يحكى أن جنّيه ... »
فيرتجف الشيوخ ويصمت الأطفال في دهشٍ وإخلاد
كأنّ زئير آلاف الأسودِ يرنّ في وادٍ
وقد ضلّوا حيارى فيه ، ثمّ ترنّ أغنيّته :
« أتى قمرُ الزمان ... » ودندن القصّاص ! « جنّيه »
وبؤسهم المرير : الجوع والأحزان والسّقمُ
وطفلٌ مات لما جفّ درٌ - ماتت المعزى
وجاعت أمّه فالثديّ لا لبنٌ ولا لحمٌ .
سمعتُ صراخها والليل ينظر نجمه غمّزا ،
وولولة الأب المفجوع يخنق صوته الألمُ

ولو خيّرْتُ أبدلتُ الذي ألقى بما ذاقوا ،
ممضٍ ما أعاني : « شلّ ظهرٌ وانحنت ساقٌ » .
على العكّاز أسعى حين أسعى ، عاثر الخطوات مرتجفا

غريبٌ غير نار الليل ما واساه من أحدٍ
بلا مال ، بلا أمل ، يقطعُ قلبه أسفا .
ألستُ الراكضَ العداء في الأمس الذي سلفا ؟
أأمكث في ديار الثلج ثم أموت من كمدٍ
ومن جوعٍ ومن داءٍ وأرزاءٍ ؟
أأمكث أم أعود إلى بلادي ؟ آه يا بلدي
وما أمل العليل لديك شحّ المال ثم رَمَتْهُ بالدامِ
سهامٌ في يد الأقدار ترمي كلَّ من عطفها
على المرضى وشدّ ضلوع الجائعين بصدوره الواهي
وكفّكفّ أدمع الباكين يغسلها بما وكفا
من العبرات في عينيه - إلا رحمة الله ؟؟

ألا يا منزل الأقنان ، سقّتك الحيا سُحبُ
تروّي قبري الظمآن ،
تلثمه وتنتحب !

لندن ١٩٦٣/١/٣

وصية من محتضر

يا صمتُ ، يا صمتَ المقابر في شوارعها الحزينه ،
أعوي ، أصرح ، أصرح في لَهْفٍ فأسمع في السكينه
ما تنثر الظلماءُ من ثلجٍ وقارٍ
تصدي عليه خطىٌ وحيداتٌ ، وتبتلع المدينه
أصداءَ هنّ ، كأنّ وحشاً من حديدٍ ، من حجارٍ ،
سفّ الحياة فلا حياة من المساء إلى النهار .
أين العراق ؟ وأين شمسٌ ضحاه تحملها سفينه
في ماء دجلةٍ أو بُويّبٍ ؟ وأين أصداء الغناء
خفقت كأجنحة الحمام على السنابل والنخيل
من كلّ بيتٍ في العراق ؟

من كل رابية تدثرها أزاهير السهول ؟
إن مت يا وطني فقبر في مقابر الكئيبه
أقصى مناي . وإن سلمت فإن كوخاً في الحقول
هو ما أريد من الحياة . فدى صحارك الرحيبه
أرباض لندن والدروب ، ولا أصابتك المصيبه !

* * *

أنا قد أموت غداً ، فإن الداء يقرض ، غير وان ،
حبلاً يشد إلى الحياة حطام جسم مثل دار
نحرت جوانبها الرياح وسقفها سيل القطار ،
يا إخوتي المتناثرين من الجنوب إلى الشمال
بين المعابر والسهول وبين عالية الجبال ،
أبناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبه ...
لا تكفروا نعم العراق ...
خير البلاد سكنتموها بين خضراء وماء ،
الشمس ، نور الله ، تغمرها بصيف أو شتاء ،
لا تبتغوا عنها سواها .

هي جنّةٌ فحذارٍ من أفعى تدبّ على ثراها .
أنا ميّتٌ ، لا يكذب الموتى . وأكفر بالمعاني
ان كان غير القلب منبعها .

فيا ألقِ النهارِ
أغمر بعسجدك العراق ، فأنّ من طينِ العراقِ
جسدي ومن ماءِ العراق ...

١٩٦٣/١/٢

الشاهدة (١)

« يا قارئاً كتابي
ابكِ على شبابي . »
شاهدة بين القبور تبكي
تستوقف العابر . يا صحابي
غضوا الخطى ولتصمتوا : إن القرون تحكي
في جملةٍ خطت على التراب .
من نام في القبر ودود القبر ؟
يسأل لا ينطق بالجواب !
سيان عنده ائتلاق الفجر
وظلمة الليل ، بلا ثيابٍ

(١) لوحة توضع عند القبر يكتب عليها اسم الميت أو حكمة أو أبيات من الشعر .

بلا طعام ، لا هوى ، لا حقد .
أفقر أهل الفقر

فيه وأغنى الأغنياء . تعدو
في قبره الجردان ، وهو غاف
نام من الديدان في لحافٍ ؟ !

* * *

لي نومةٌ مع التراب في غدٍ
صباحها أوّلُ ليل الأبدِ ،
يمر بي الشيوخ والشبانُ
يثرثرون : يدها فوق يدي
وعينها .. « ويتفت الدخانُ !
رُبّ فتى مُوردٍ
يقرأ من شعري على الصحابِ ،
يقرأ في كتابي
قصيدةً خضراء عن جيڪور
غافيةٌ تحت غصونِ النورِ
تحلم بالسحابِ .
مرّ على قبري فقال : قَبْرُ ! .

وأين من هذا الرميم الشعرُ
يدفق بالعواطفِ
كهبة العواصف القواصف ؟ «
مرّ على قبري فكاد الصّخرُ
يصرخ : « تحتي نام هذا الشاعرُ
صاحب هذه القوافي ، يسمعُ
ما قلتموه فالعيونُ تدمعُ
في عالم لا يرجعُ المسافرُ
منه ولا للنوم فيه آخرُ .
رفقاً به ، دعوه في رقدته
تؤنسه الديوانُ في وحدته
كان له قلبٌ وكان أمسٌ ،
حتى إذا استنزف من مدته
توسد التراباً .
لا تقرأوا الكتابا »

* * *

ثمّ تغيب الشمسُ !

اسمعه يبكي

أسمعه يبكي ، يناديني
في ليلي المستوحش القارس ،
يدعو : « أبي كيف تخلّيني
وحدي بلا حارس ؟ » .
غيلان ، لم أهجرَكَ عن قصدٍ ...
الداء ، يا غيلان ، أقصاني .
إني لأبكي ، مثلما أنت تبكي ، في الدجى وحدي
ويستثير الليلُ أحزاني .
فكلّما مرّ نهارٌ وجاء
ليلٌ من البردِ ،

أَفَيْتُسْنِي أَحْسَبَ مَا ظَلَّ فِي جَيْبِي مِنَ النِّقَدِ :
أَيَشْتَرِي هَذَا الْقَلِيلُ الشِّفَاءَ ؟
سَأَطْرُقُ الْبَابَ عَلَى الْمَوْتِ فِي دَهْلِيزِ مَسْتَشْفَى
فِي الْبَرْدِ وَالظُّلْمَاءِ وَالصَّمْتِ ،
سَأَطْرُقُ الْبَابَ عَلَى الْمَوْتِ
فِي بُرْهَةٍ طَالِ انتِظَارِي بِهَا فِي مَعْبَرٍ مِنْ دِمَاءٍ ،
وَأُرْسِلُ الطَّرْفَا
فَلَا أَرَى إِلَّا الدَّجَى وَالْخُوءَ .
يَا وَيْلَتِي إِنْ يُفْتَحَ الْبَابُ
فَأَبْصُرُ الْأَمْوَاتَ مِنْ فُرْجَتِهِ
يَدْعُونَنِي : « مَالِكُ تَرْتَابُ »
بِالْمَوْتِ ؟ فِي هَجْعَتِهِ
مَا يَعْدِلُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا :
دَفءٌ ، نَعَاسٌ ، خَدَرٌ وَارْتِخَاءٌ !
أَوْشَكُ أَنْ أَعْبُرَ فِي بَرْزَخٍ مِنْ جَامِدَاتِ الدِّمَاءِ
تَمْتَدُّ نَحْوِي كَفْشًا ، كَفٌّ أُمِّي بَيْنَ أَهْلِهَا :
« لَا مَالَ فِي الْمَوْتِ ، وَلَا فِيهِ دَاءٌ ! »

ثم تسدّ البابَ كَفُ الطَّيِّبِ
تَجْرَحُ فِي جَسْمِي ،
وَهَاتِفًا بِاسْمِي
أَسْمَعُ صَوْتًا نَاعِسًا ، قَدْ أَجِيبُ
فِيهِزْمُ الْمَوْتِ عَلَى صَوْتِي ،
وَرَبِّمَا اسْتَسَلَمْتُ لِلْمَوْتِ !

درم ۱۹۶۳/۱/۹

كَرَمٌ

كَرَمٌ ...

بنفسيَ مما عزاني بَرَمٌ
فمدي ذراعيكِ ولتحضنني
إلى هوةٍ من ظلام العدم ،
فما قيمة العمر أقضيه أمشي
بعكازة في دروب الهَرَم ؟
أهذا شبابي ؟ وأين الشباب ؟
ألا 'حُب' ، لا زهو ، لا عنفوان ؟
أهذا مشيبي ؟ حصدتُ السراب
إذا كان معنى المشيب الهوان ؟

أعقبى المشيب الأسى والندم ؟
أما من شبابي الذي مرّ ذكرى ؟
أما منه مالٌ وبُقيا شمم ؟
أكان الذي منه خلّفتُ شعرا
وبيتاً وراء الرياح انهدم ؟
درم ...

تمنّيتُ لو متُّ بين الثلوج
على جدولٍ جمّدتُه النّسمُ ،
فروحي تجوب المروج
وتأوي إلى رمةٍ في الظلّسم .
ومن أين للروح هذا البقاء ؟
فناء ، فناء

سوى قصّةٍ قد تثير السّام
يُردّها سامرٌ في الشتاء :
« لقد خطّ شعراً له من هباء ،
وكانت له زوجةٌ وابنٌ عم
وطفلانٍ .. لا ، لا ، نسيتُ ... ابتتانُ

وطفلٌ . « ، ويخبو لديه الضَّرم ،
فيغفو على المسند السامرُ
وتفتحُ بوابةٌ من دخانٍ
عليها الدجى حائرُ
يُبعرُ أنجمه من خلال الضباب .
أهذا هو الشاعر ؟
حديثٌ يُنمِ الصحاب
إذا مات ، أو عاش فهو الألم .
دَرَمُ
بنفسي مما عراني بَرَمُ !

بيروت ١٩٦٣/١/٥

قصيدة من درم

من درم أكتبها قصيده
كالنجم في آفاقه البعيدة
لا يبعث الدفء ولا يُنير ،
يلمحه الصغير
فيبسط الكف له ، يُشير
يقطر في أحلامه السعيدة
يعلق بالضباب
كنُفخة السراب
تضلّل القوافل الشريده .

* * *

اليأسُ يوحىها أو الملالُ
كانتها في الظلمة الظلالُ
تعمقُ الظلمةَ حينَ تنشرُ .
أظلُّ ما يُقالُ
في نفس شاعرٍ يموتُ 'عمرُهُ' ، 'يُبعثَرُ'
و'يُقبَرُ' ؟
يمشي على عكازةٍ ويعثرُ ،
أيامه إلى رِداءه سَفَرُ ،
وعيشته انسلالُ
عَبْرَ جدارِ الموتِ ما يزالُ ؟
شاء الرّدى ، حاول أن يُريده ،
لكنَّ وحشاً ضارياً يُزجِرُ
في كهفه ، وحيّةٌ من بابلٍ التليده —
يطير نحو الموت منه شرَرُ ،
تفحُّ في وجه الردى وتصفَرُ ،
فيكتب القصيدة
يريد أن يجدّد البقاء ، أن يُعيدَه ،

أن يهدي القوافل الشريده
فلا تتيه في صحارى العدم .
بقبره في درم .

* * *

من درم أكتبها قصيده
كالنجم ضلّ في سديم العدم .

درم ١٩٦٣/١/٥

قالوا لأيوب

قالوا لأيوب : « جفاك الآله ! »
فقال : « لا يحفو
من شدّة بالأيمان ، لا قبضتاه
ترخى ولا أجفانته تغفو » .
قالوا له : « والداء من ذا رماه
في جسمك الواهي ومن ثبّته ؟ »
قال : « هو التفكير عما جناه
قابيل والشاري سدى جنّته .
سيهزّم الداء : غداً أغفو
ثمّ تفيق العين من غفوّه

فأسحبُ الساقَ الى خلّوه
أسأل فيها الله أن يعفو .
عكّازتي في الماء أرميها
وأطرقُ البابَ على أهلي .
إن فتحو البابَ فيا ويّلي
من صرخةٍ ، من فرحةٍ مسّت حوافيها
دوّامة الحُزنِ .. وأيتوبُ ذلك ؟
أم أن أمنيّه
يقذفها قلبي ، فألفيها
مائلةً في ناظري حيّه ؟
غيلان ، يا غيلان ، عائقُ أباك ! ،

يا ربّ لا شكوى ولا من عتاب ،
ألستَ أنت الصانعَ الجسماً ؟
فمن يلوم الزارع التّمّاً
من حوله الزرعُ ، فشاء الخراب .

لزهره والماء الثانيه ؟
هيهات تشكو نفسي الراضيه .
إني لأدري أنّ يومَ الشفاء
يلمحُ في الغيبِ ،
سينزع الأحزانَ من قلبي
وينزع الداءَ ، فأرمي الدواء ،
أرمي العصا ، أعدو إلى دارنا وأقطف الأزهار في دَرَجِي
ألمّ منها باقةً ناضره
أرفعها للزوجة الصابره
وبيئتها ما ظلّ من قلبي !

درم ١٩٦٣/١/٦

الليلة الأخيرة

وفي الصباح يا مدينة الضباب
والشمس أمنية مصدورٍ تُدير رأسها الثقيل
من خلل السحاب ،
سيحمل المسافر العليل
ما ترك الداء له من جسمه المذاب
ويهجر الدخان والحديد
ويهجر الأسفلت والحجر .
لعله يلمح في درام من نهر ،
يلمح وجه الله فيها ، وجهه الجديد

في عالم النقود والخمر والستهر .

رُبَّ صباحٍ ، بعد شهرٍ ... بعد ما الطبيب
يراه - من يعلم ماذا خبأ القدر ؟ -
سيحمل الحقيبة المليئة
بألف ألف رائع عجيب ،
بالحلي والحجر ،
بالثعب الخبيث
يفجأ غيلانَ بها - يا طول ما انتظر !
يا طول ما بكى ونام تملأ الدموعُ
برنّة الأجراس أو بصيحة الذئاب
عوالم الحلم له ، وتتشرب القلوع
يجوب فيها سندبادُ عالم الخطر :
هناك فارس النحاس يرقبُ العُباب
ويُشرع السهمَ ليرمي كلَّ من عَبَرَ !

إن يكتب الله لي العودَ الى العراق
فسوف أَلثم الثرى ، أعانق الشجر ،
أصبحُ بالبشر :
« يا أرجَ الجنةِ ، يا إخوة ، يا رفاق ،
أَلحسنُ البصريَّ جابَ أرضِ واقِ واقِ
ولندنَ الحديدِ والصخرِ ،
فما رأى أحسنَ عيشاً منه في العراق .
ما أطولَ الليلَ وأقصى مديَةَ السَّهرِ
صديئةٌ تحزُّ عينيَّ الى السَّحرِ !

وزوجتي لا تطفئ السراجَ : « قد يعودُ
في ظلمة الليل من السَّفرِ .
وتشعل النيرانَ في موقدنا : « برودُ
هو المساء ، وهو يهوى الدفءَ والسَّمرَ . »

وتنطفئ مدفأتي ، فأضرمُ اللهبَ

وأذكر العراق : لبت القمر الحبيب
من أفق العراق يرتقي عليّ : آه يا قمر
أما لثمتَ وجه غيلان ؟ أنا الغريب
يكفيه ، لو لثمتَ غيلان ؟ أن انتثر
منك ضياءٌ عبّرَ شباك الأبِ الكئيب
ومسّ منه الثغرَ والشعرَ :
أحسّ منه أنّ غيلان (شذى وطيب
من كفه اللينة انتشر)
عابثَ شعري ، صاح : « آه جاء
أبي ، وعاد من مدينة الحَجَر ! »
وشدّ بالرداء .
ما أطول الليل وأقصى مدية السهر
ومدية النوم بلا قمر !

لندن ١٩٦٣/١/٤

القصيدة والعنقا.

جنازتي في الغرفة الجديدة
تهتفُ بي أن أكتب القصيدة ،
فأكتبُ

ما في دمي وأشطبُ
حتى قلينَ الفكرة العنيدة .

وغرفتي الجديدة
واسعة ، أوسعُ لي من قبيري .
إذا عتراني تعبُ

من يقظة فالنوم منها أعذبُ ،
ينبع حتى من عيون الصخرِ ،

حتّى من المدفأة الوحيدة
تقوم في الزاوية البعيدة .

* * *

وترفع الجنازة اليابسة المهدّمة
من رأسها ، ترنو إلى الجدران
والسقف والمرآة والقناني .
ما للزوايا مظلمه
كأنهنّ الأرض للأنسان
تريد أن تحطّمه
بالمال والخمور والغواني .
والكذب في القلب وفي اللسان ،
تريد أن تعيده
للغابة البليده ؟
وصفحة المرأة ما لها تطلّ خاويه
ما أثمرت بغانيه ،
بالشفة المرجان

تُنِيرُهَا ، كَالشَّفَقِ ، الْعَيْنَانِ
وَبِالنُّهْودِ الْعَارِيَةِ ؟
كَهَذِهِ الْمِرْآةِ
سَتُصْبِحُ الْأَرْضُ بِلَا حَيَاةٍ .
وَفِي اللَّيَالِي الدَّاجِيَةِ ،
فِي ذَلِكَ السَّكُونِ لَيْسَ فِيهِ
إِلَّا الرِّيحُ الْعَاوِيَةُ ،
سَيَفْزَعُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ
وَيَسْحَبُ الْمَوْتَ وَيَغْفُو فِيهِ
مِثْلَ دُثَارٍ فِي اللَّيَالِي الشَّاتِيَةِ

* * *

وَهَكَذَا الشَّاعِرُ حِينَ يَكْتُبُ الْقَصِيدَةَ
فَلَا يَرَاهَا بِالْخُلُودِ تَنْبُضُ ،
سَيَهْدُمُ الَّذِي بَنَى ، يَقْوُضُ
أَحْجَارَهَا ثُمَّ يَلُ الصَّمْتُ وَالسَّكُونُ .
وَحِينَ تَأْتِي فِكْرَةٌ جَدِيدَةٌ ،

يسحبها مثلَ دثارٍ يحجب العيونا
فلا ترى . إن شاء أن يكونا
فليهدم الماضي ، فالأشياء ليس تنهض
إلا على رمادها المحترق
منتثراً في الأفق ..
وتولد القصيده .

درم ١٩٦٣/١/١٠

هرم المغني

بالأمس كنتُ إذا كتبتُ قصيدةً فرحَ الدمُ
فأغمنُ

وأهيم ما بين الجداول والأزاهر والنخيل
أشدو بها ، أترنمُ :

زادُ لروحي منذ سَقَسَقَةِ الصباحِ إلى الأصيل .
زادُ .. ولكنْ عنه قد صدفْتُ ، تجوع ولا تريدُ
ما يُنعش الآمالَ فيها ،

هي حشراتُ الروح أكتبها قصائد لا أفيد
منها سوى الهُزء المريع على ملامحِ قارئها .

هرمُ المغنِّي ، هدَّ منه الداءُ فارتبكَ الغناءُ .

الأمس كان إذا ترنم 'يمسك' الليل' الطروب'
بنجومه المترنحات فلا تخرّ على الدروب ،
واليوم يهتف ألف آهٍ لا يهزّ مع المساء
سعف النخيل ولا يرجّح زورق العرس المحلى
بعيون آرام ودقلى
ودرابك ارتعدت حناجرها فأرعدت الهواء .

هرم المغني فاسمعه ، برغم ذلك ، تسعدوه ،
ولتؤمّموه بأنّ من أبدّر شبابٌ من لحون
وهوى ترقرق مقلّتا له وينفخ منه فوه .
هو مائتٌ ، أفتبخلون
عليه حقّ بالحطام من الأزاهر والغصون ؟
أصغوا إليه لتسمعه
يرثي الشباب ولا كلام سوى نشيج : « بالعيون
سلم عليّ إذا مررت . »
أتى وسلم .. صدّقوه !
هرم المغني فارحموه .

درم ٥ / ١٦٩٣

قصيدة إلى العراق النادر

عملاءُ « قاسم » يُطلقون النارَ ، آهِ ، على الربيعِ
سَيَذُوبُ ما جمَعُوهُ من مالٍ حرامٍ كالجليدِ
ليعود ماءً منه تَطْفَحُ كلُّ ساقيةٍ ، يُعيد
ألقَ الحياةِ إلى الغُصونِ اليابساتِ فتستعيد
ما لُصَّ منها في الشتاء القاسمِ . . فلا يضيع
يا للعراقُ !

يا للعراقُ ! أكادُ ألمحُ ، عَبْرَ زاخرةِ البحارِ ،
في كلِّ مُنْعَطَفٍ ، ودربٍ ، أو طريقٍ ، أو زقاقٍ
عَبْرَ الموانئِ والدروبِ ،
فيه الوجوه الضاحكات تقولُ : « قد هربَ التتارُ »

واللهُ عاد إلى الجوامع بعد أن طلع النهار ،
طلع النهار فلا غروب ! »
يا حفصة ^(١) ابتسمي فثغركِ زهرة بين السهوب ،
أخذت من العملاء ثأركِ كفٌ شعبيّ حين ثار
فهوى إلى سقرٍ عدوّ الشَّعب ، فانطلقت قلوب
كانت تخاف فلا تحنّ إلى أخٍ عبّر الحدود ،
كانت على مهلٍ تذوب ،
كانت إذا مال الغروب
رفعت إلى الله الدّعاء : « ألا أغثنا من ثمود ،
من ذلك المجنون يعشق كلّ أحمر ، فالدماءُ
تجري وألسنةُ اللهبِ تمُدُّ ، يُعجبه الدمار .
أحرقه بالنيران تهبط ، كالبحيم ، من السماء ،
واصرغه صرعاً بالرصاص ! فإنته شبحُ الوباء » .

* * *

هرع الطبيبُ إليّ - آه ، لعلّه عرف الدواء
للداء في جسدي فجاء ؟ -

(١) عذراء عربية من الموصل ، صلبها عملاء قاسم ومثلوا بها .

مرع الطبيب إليّ وهو يقول : « ماذا في العراق ؟
الجيشُ ثارَ ومات « قاسم » .. » - أيّ بُشرى بالشفاء !
ولكدتُ من فرّحي أقوم ، أسيرُ ، أعدو دون داء .
مرحى له .. أي انطلاقاً ؟!

مرحى لجيش الأمة العربية انتزع الوثاق !
يا اخوتي بالله ، بالدم ، بالعروبة ، بالرجاء ،
هبتوا فقد صرّعَ الطغاةُ وبدّد اللّيلَ الضياء !
فلتحرسوها ثورةً عربيةً صعيق « انبرّفاق »
منها وخرّ الظالمون ،

لأنّ « تمثوز » استفاق
من بعد ما سرق العميل سناه ، فانبعث العراقُ

لندن - مستشفى سان ماري ١٩٦٣/٢/٨

أنشودة المطر

النشوة المطبوخة

غريب على الخليج

الريح تلهث بالهجرة ، كالجثام ، على الأصيل
وعلى القلوع تظل تطوى أو تنشر للرحيل
زحم الخليج بهنّ مكتدحون جوّ أبو بشار
من كلّ حافٍ نصف عاري .

وعلى الرمال ، على الخليج
جلس الغريب ، يسرّح البصر الحير في الخليج
ويهدّ أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج
« أعلى من العباب يهدر رغوّه ومن الضجيج
صوتٌ تفجّر في قرارة نفسي الشكلى : عراق ،
كالمدّ يصعد ، كالسحابة ، كالدموع الى العيون

الريح تصرخ بي : عراق ،
والموج يُعول بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق !
البحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك يا عراق .
بالأمس حين مررتُ بالمقهى ، سمعتك يا عراق ...
وكنت دورة أسطوانه
هي دورة الأفلاك من عُمرى ، تكوّر لي زمانه
في لحظتين من الزمان ، وان تكن فقدت مكانه .
هي وجه أُمي في الظلام .
وصوتها ، يتزلّقان مع الرؤى حتى أنام ؛
وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهم مع الغروب
فاكتظّ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب
من الدروب ؛
وهي المفلّية العجوز وما توشوش عن « حزام » (١)
وكيف شقّ القبر عنه أمام « عفراء » الجميله

(١) هكذا أصبح اسم الشاعر العاشق عروة بن الحزام عند العامة الذين يروون قصة حبه لعفراء وموته ويرددون معاني قصيدته ، بشعر عامي .

فاحتازها .. إلا جديده .

زهراء ، أنت .. أتذكرين

تتورنا الوهّاج تزحمه أكف المصطلين ؟

وحدث عمّي الحقيضَ عن الملوك الغابرين ؟

ووراء بابٍ كالقضاء

قد أوصدته على النساء

أيديّ تطاع بما تشاء ، لأنها أيدي رجال -

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال .

أفتذكرين ؟ أتذكرين ؟

سُعداءَ كنا قانعينَ

بذلك القصصِ الحزينِ لأنه قصص النساء .

حشدٌ من الحيّوات والأزمان ، كنا عُنفوانه ،

كنا مداريته الذين بينها كيانه .

أفليس ذاك سوى هباء ؟

حلُمٌ ودورة اسطوانه ؟

إن كان هذا كلُّ ما يبقى فأين هو العزاء ؟

أحببتُ فيكِ عراقَ رُوحِي أو حبيبَتُكِ أنتِ فيه ؛
يا أنتما ، مصباح رُوحِي أنتما - وأتى المساء
والليل أطبق ، فلتشعنا في دجاء فلا أتيه .
لو جئتِ في البلد الغريب إليّ ما كمل اللقاء !
الملتقى بكِ والعراقُ على يديّ .. هو اللقاء !
شوق يَخْضُ دمي إليه ، كأنّ كلّ دمي اشتها ،
جوع إليه .. كجوع كلّ دم الغريق الى الهواء .
شوق الجنين إذا اشرأب من الظلام الى الولادة !
إني لأعجب كيف يمكن أن يَخون الخائنون !
أَيخون إنسانٌ بلاده ؟
إن خان معنى أن يكون ، فكيف يمكن أن يكون ؟
الشمس أجمل في بلادي من سواها ، والظلامُ
- حتى الظلام - هناك أجملُ ، فهو يحتضن العراق .
واحسرتاه ، متى أنامُ
فأحسّ أن على الوساده
من ليلك الصيفي طلاّ فيه عطرُك يا عراق ؟

بين القرى المتهيباتِ خطاي والمدنِ الغريبه
غنيتُ تربتك الحبيب ،
وحملتُها فأنا المسيحُ يجرُّ في المنفى صليبه ،
فسمعتُ وقع خطي الجياع تسيرُ ، تدمى من عُثار
فتذرُّ في عيني ، منك ومن مناسمها ، غبار .
ما زلتُ أضرب ، متربَّ القدمين أشعث ، في الدروب
تحت الشموس الأجنبية ،
متخافقَ الأطمار ، أبسط بالسؤال يداً نديته
صفراءَ من ذلٍّ وحمى : ذلٌّ شحاذٍ غريبٍ
بين العيون الأجنبية ،
بين احتقارٍ . وانتهارٍ ، وازورارٍ .. أو «خطيه» (١) ،
والموت أهون من «خطيه» ،
من ذلك الإشفاق تعصره العيونُ الأجنبية
قطراتِ ماءٍ .. معدنيته !
فلتنظفي ، يا أنتِ ، يا قطراتُ ، يا دمُ ، يا .. نقودُ ،
يا ريح ، يا إبراً تخطيط لي الشراعَ - متى أعودُ

(١) كلمة اشفاق في اللهجة العراقية (والكويتية) الدارجة

إلى العراق ؟ متى أعود ؟
يا لمعة الأمواج رنّحنّ مجدافٌ يرودُ
بيّ الخليج ، ويا كواكبه الكبيرة .. يا نقود !

ليت السفائن لا تقاضي راكبيها عن سفارٍ
أو ليت أنّ الأرض كالأفق العريض ، بلا بحار !
ما زلتُ أحسب يا نقود ، أعدّ كنّ وأستزيد ،
ما زلتُ أنقصُ ، يا نقود ، بكنّ من مُدَدٍ اغترابي ،
ما زلتُ أوقد بالتماعتكنّ نافذتي وبابي
في الضفّة الأخرى هناك فحدثيني يا نقود
متى أعود ؟ متى أعود ؟

أتراه يأزف ، قبل موتي ، ذلك اليوم السعيد ؟
سأفيقُ في ذاك الصباح ، وفي السماء من السحابِ
كيسرٌ ، وفي النسمات برْدٌ مُشبع بعطور آبٍ ؛
وأزيح بالشُّوباء بُقيا من نعاسي كالْحجابِ
من الحرير ، يشفّ عما لا يبين وما يبين :

عما نسيتُ وكدتُ لا أنسى ، وشكّ في يقين .
ويضيءُ لي - وأنا أمدُّ يدي لألبسَ من ثيابي -
ما كنتُ أبحثُ عنه في عتَمَاتِ نفسي من جواب
لِمَ يملأُ الفرحُ الحفيُّ شبابَ نفسي كالضباب ؟
اليوم - واندفقَ السرورُ عليَّ يفجأني - أعودُ !

واحسرتاه .. فلن أعودَ إلى العراق !
وهل يعودُ
من كان تُعوزُهُ النقود ؟ وكيف تُدْخِرُ النقودُ
وأنت تأكل إذ تجوع ؟ وأنت تُنْفِقُ ما يجودُ
به الكرام ، على الطعام ؟
لَبَكِينٌ على العراقِ

فما لديك سوى الدموع
وسوى انتظارك ، دون جدوى ، للرياح وللقلوع !

الكويت - ١٩٥٣

مرحى غيلان

- « بابا ... بابا ... »

ينساب صوتك في الظلام ، إليّ ، كالمطر الغصير ،
ينساب من خلل النعاس وأنت ترقد في السرير
من أيّ رؤيا جاء ؟ أيّ سماء ؟ أيّ انطلاق ؟
... وأظنّ أسبح في رشاشٍ منه ، أسبح في عبير .
فكأنّ أودية العراق

فتحت نوافذ من رؤاك على سهادي : كلّ وادٍ
وهبته عشتار الأزاهر والثمار . كأنّ رוחي
في تربة الظلماء حبة حنطة وصداء ماء .
أعلنت بعثي يا سماء .

هذا خلودي في الحياة تكنُ معناه الدماءُ .

« بابا ... ، كأنَّ يد المسيح
فيها ، كأنَّ جماجم الموتى تُبرِّعمُ في الضريح .
تموز عاد بكل سنبلةٍ تُعابث كلَّ ريح .

« بابا ... بابا ... »

أنا في قرار بويب^(١) أرقد ، في فراشٍ من رماله ،
من طينه المعطور ، والدم من عروقي في زلاله
ينثال كي يهبَ الحياة لكل أعراق النخيل .
أنا بفعلٍ : أخطر في الجليل ...
على المياه ، أنتُ في الورقات روعي والثمار
والماء يهمس بالحرير ، يصلّ حولي بالمحار
وأنا بويّيبُ أذوب في فرحي وأرقد في قرارِي .

« بابا ... بابا ... »

يا سلّم الأنعام ، أيّةُ رغبةٍ هي في قرارِك ؟
« سيزيف » يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارِك .
يا سلّمَ الدم والزمان : من المياه إلى السماء

(١) بويب نهر في قرية الشاعر .

غيلانُ يصعد فيه نحوي ، من تراب أبي وجدي
ويداه تلتسان ، ثم ، يدي وتحتضان خدي
فأرى ابتدائي في انتهائي .

« بابا ... بابا ... »

جيكور^(١) من شفتيكَ تولد ، من دمائكَ ، في دمائي
فتُحيل أعمدةَ المدينة

أشجار توت في الربيع . ومن شوارعها الحزينه
تتفجرُ الأنهار ، أسمع من شوارعها الحزينه
ورقَ البراعم وهو يكبر أو يمضُ ندى الصباحِ
والنُشغ في الشجرات يهس ، والسنابل في الرياح
تعدُّ الرّحى بطعامهنّ .

كأنّ أوردةَ السماءِ

تتنفّسُ الدمَ في عروقي والكواكبَ في دمائي .
يا ظلّي الممتدّ حين أموت ، يا ميلاد عمري من جديدٍ ؛
الأرضُ (يا قفصاً من الدم والأظافر والحديدِ
حيث المسيح بظلّ ليس يموت أو يحيا .. كظلّ ،

(١) جيكور قرية الشاعر في جنوب العراق .

كيدٍ بلا عَصَبٍ ، كهيكل ميّتٍ ، كضُحى الجليد ،
 النور والظلماءُ فيه متاهتان بلا حدودٍ (
 عشتار فيها دون بَعْلٍ
 والموت يركض في شوارعها ويهتف : يا نيامُ
 هبّوا ، فقد وُلِدَ الظلامُ ^(١)
 وأنا المسيح ، أنا السلامُ .
 والنار تصرخ : يا ورود تفتّحي ، وُلِدَ الربيعُ
 وأنا الفُرات ؛ ويا شموعُ
 رشّي ضريحَ البَعْلِ بالدم والهُباب وبالشحوبِ .
 والشمس تُعول في الدروبِ :
 بردانةٌ أنا والسما قنوء بالسُحُب الجليد .

« بابا ... بابا ... »

من أيّ شمس جاء دفؤك أيّ نجمٍ في السماء ؟
 ينسلُّ للقَفَص الحديدِ ، فيورقُ الغدُ في دمائي ؟

(١) كان كهنة ايزيس ينطلقون ، في منتصف ليلة ١٢/٢٥ من كل عام ،
 هاتفين في شوارع الاسكندرية : لقد وضعت العذراء حملها وقد ولدت الشمس .

إغنية في شهر آب

تموز يموت على الأفقِ
وتغور دماء مع الشفقِ
في الكهف المعتم . والظلماءُ
نقّالة إسعافٍ سوداءُ
وكان الليل قطيع نساء :
كحلّ وعباءاتٍ سودُ .
الليل خباء .
الليل نهار مسدودُ .

ناديت مربية الأطفال الزنجيه :

الليل أتى يا مُرجانه
فأضيئي النور . وماذا ؟ إني جوعانه .
و .. نسيت - أما من أغنيته ؟
بمَ يهذر هذا المذيع ؟
في لندن ، موسيقى جازٍ ، يا مرجانه ،
فأليها .. إني فرحانه
والجاز من الدم إيقاعٌ .

تموز يموت ومرجانه
كالغابة تربض بردانه ..

وتقول ، ويخذلها النفسُ :
« الليل ، الخنزير الشرسُ ،
الليل شقاء ! »
مرجانه .. هل قرع الجرسُ
فتقول ، ويخذلها النفسُ :

« في الباب نساء . »
وتعد القهوة مرجانه .

وعلى الأكتاف البيض فراء :
الذئب يدثر إنسانه ،
وعلى الأتداء من النمر
شرق يتسلل ، ملء الغاب ، من الشجر
والليل يطول مع السمر ..
الليل كتنور - من أشباح البشر
خبز يتنشق نيرانه
والضيقة تأكل جوعانه
من هذا الزاد . ومرجانه
كالغاية تربض بردانه .

والضيقة تضحك وهي تقول : « خطيب سعاد
جافاها ، وانطوت الخطبه !

الكلب تنكّر للكلبه .. ،
تموز يموت بدون معاد ،
والبرد ينثّ من القمر
فتلوذ بمدفأة من أعراض البشر .
والليل يطفئ شطآنه
والضيقة تقبع بردانه
وفراء الذئب تغطيها ..
وتطفأت النيران اللاتي كانت بالدم تذكىها .

ليلٌ وجليد
يتساقط عبرهما صوتٌ ، رنّات حديد
وعواء ذئاب يخفيها ..
الصوت بعيد
والضيقة مثلي بردانه .

فتعال وشاركني بردي

بِاللهِ تعالى

يا زوجي ، ها إني وحدي

— والضيقة مثلي بردانه —

فتعال تعالى

فأمامك وحدك أقدر أن أعتاب الناس بلا استثناء

بِاللهِ تعالى

فالناس كثيرٌ .. والظلماء

نقالة موتى سائقها أعمى ، وفؤادك جبانه .

غارسيا لوركا

في قلبه تنور
النار فيه تطعم الجياع
والماء من جحيمه يفور :
طوفانه يطهر الأرض من الشرور
ومقلته تنسجان من لظى شراع
تجمعان من مغازل المطر
خيوطه ، ومن عيونٍ تقدح الشرر
ومن ثديّ الأمهات ساعة الرضاع
ومن مدى تسيل منها لذة الثمر
ومن مدى للقابلات تقطع السرر

ومن مدى الغزاة وهي تمضغ الشعاع
شراعه النديّ كالقمر
شراعه القوي كالبحر
شراعه السريع مثل لحظة البصر
شراعه الأخضر كالربيع
الأحمر الخضيب من نجميع
كأنه زورق طفل مزق الكتاب
يلاً مما فيه ، بالزوارق النهر ،
كأنه شراع كولبس في العباب
كأنه القدر .

تعليق

حين يذرّ النّورُ
— يلقي به التنور —
عن وجهك الظلماء
ويهمس الديجورُ
آهاته السمراء
على محيّاكِ
تهجس عيناكِ
بكلّ حزن الدهور
وكل أعيادها :
أفراح ميلادها

وغمغات النذور
وزهرها والخبور ا

ألنور والظلماء
أسطورة منحوتة في الصخور :
كم ذادَ بالنّارِ ،
من أسدٍ ضاري
وكم أخاف النمر ،
إنسان تلك العصور
بالنّور والنّار !
فأطفئي مصباحنا أطفئيه
ولنطفئ التّنور
وندفن الخبز فيه ،
كي لا تعيد الصّخور
أسطورة للنار ، ظلّت تدور
حتى غدا أول ما فيها

آخر ما فينا - وليل القبور
أول ما فيها -
ولنبق في الديجور
كي لا ترانا غور
تجوس في الظلماء
لترجم الأحياء
- من غابة في السماء -
بالصخر والنار
وتستبيح القبور !

المخبر

أنا ما تشاء : أنا الحقير
صبّاغ أحذية الغزاة ، وبائع الدم والضمير
للظالمين . أنا الغراب
يقتات من جثث الفراخ . أنا الدمار ، أنا الخراب !
شفة البغيّ أعفّ من قلبي ، وأجنحة الذباب
أنقى وأدفاً من يديّ . كما تشاء ... أنا الحقير !
لكنّ لي من مقلتيّ - إذا تتبّعنا خطاك
وتقرّتا قسّات وجهك وارتعاشك - إبرتين
ستنسجان لك الشراك
وحواشيّ الكفن الملطّخ بالدماء ، وجمرتين

تروّعان رؤاك إن لم تحرقاك !
وتحول دونها ودونك بين كفيّ الجريده
فتندّ آهتك المديده

وتقول : « أصبح لا يراني » ... بيد أن دمي يراك
إني أحسّك في الهواء وفي عيون القارئين .
لمَ يقرأون : لأنّ تونسَ تستفيق على النضال ؟
ولأنّ ثوار الجزائر ينسجون من الرمال
ومن العواصف والسيول ومن لهاث الجائعين
كفنَ الطغاة ؟ وما تزال قذائف المتطوعين
يصفرن في غسق القنال ؟
لمَ يقرأون وينظرون إليّ حيناً بعد حين
كالشامتين ؟

سيعلمون من الذي هو في ضلال
ولأيتنا صدأ القيود ... لأيتنا صدأ القيود ..
لأيتنا ... —

نهض الحفير

وسأقتفيه فما يفرّ ، سأقتفيه إلى السعير .
أنا ما تشاء : أنا اللّيم ، أنا الغيّ ، أنا الحقود
لكنّنا أنا ما أريد : أنا القويّ ، أنا القدير .
أنا حامل الأغلال في نفسي ، أقيّد من أشاء
بمثلهنّ من الحديد ، واستبيح من الحدود
ومن الجباه أعزّهنّ . أنا المصير ، أنا القضاء .
الحقد كالتنور فيّ : إذا تلهّب بالوقود
— الخبر والقرطاس — أطفأ في وجوه الأمّهات
تنورهنّ ، وأوقف الدم عن ثديّ المرضعات .
في البدء كان يطيف بي شبّحٌ يقال له : الضمير
أنا منه مثل اللص يسمع وقع أقدام الحفير .
شبّحٌ تنفّس ثمّ مات
واللص عاد هو الحفير .
في البدء لم أكُ في الصراع سويّ أجير
كالبائعات حليهنّ ، كما تؤجّر — للبكاء

ولندب موتى غير موتاهنّ - في الهند النساء .
قد أمعن الباكي على مضضٍ ، فعاد هو البكاء !

أخوف والدمُ والصغار . فأى شيء أرتجيه ؟
فعلى يديّ دمٌ وفي أذنيّ وهوة الدماء
وبقلتيّ دمٌ ، وللدّم في فمي طعمٌ كريه !
أثقل ضميرك بالآثام فلا يحاسبك الضمير
وانسَ الجريمة بالجريمة والضحية بالضحايا .
لا تمسح الدم عن يديك فلا تراه وتستطير
لفرط رعبك أو لفرط أساك .. واحتضن الخطايا
بأشدّ ما وسع احتضانٌ تنجُ من وخز الخطايا .

قوتي وقوتي بنيّ لحمٌ آدمي أو عظام
فليحقدنّ عليّ كاللحم المستعرّة ، الأنام
كي لا يكونوا إخوة لي آنذاك ، ولا أكون
وريث قابيل اللعين سيسألون

عن القتل فلا أقول :
« أنا الموكّل ، ويلكم بأخي ؟ » فإن المخبرين
بآخرين موكتلون !

سحقاً لهذا الكون أجمع وليحلّ به الدمار !
مالي وما للناس ؟ لست أباً لكل الجائعين
وأريد أن أروى وأشبع من طوى كآخرين
فليزلوا بي ما استطاعوا من سباب واحتقار
لي حفنة القمح التي بيدي ودانية السنين
- خمسٌ وأكثر .. أو أقلّ - هي الربيع من الحياة
فليحملوا هم بالغد الموهوم يبعث في الفلاة
روحَ النماء ، وبالبيادر وانتصار الكادحين
فليحملوا إن كانت الأحلام تشبع من يجوع .
إني سأحيا لا رجاء ولا اشتياق ولا نزوع ،
لا شيء غير الرعب والقلق الممض على المصير
ساء المصير !

ربّاه إنّ الموت أهون من تَرْقُبِهِ المَريِر

ساء المصير :

لِمَ كنتَ أحقر ما يكون عليه إنسانٌ حقير ؟!

عرس في القرية

مثما تنفض الريحُ ذرَّ النُّضارِ
عن جناح الفراشة ، مات النهار —
النهار الطويل .
فاحصدوا يا رفاقي ، فلم يبق إلاَّ القليل .
كان نقرُ الدَّرابِكِ منذ الأصيل
يتساقط ، مثلَ الثَّارِ ،
من رياح تهوِّم بين النخيل —
يتساقط مثل الدموع
أو كمثَلِ الشرار :
إنها ليلة العُرس بعد انتظار !

مات حبٌ قديمٌ ، ومات النهار
مثلاً تُطفئُ الريح ضوءَ الشموع .
الشموع ... الشموع ،
مثل حقل من القمح عند المساء ،
من ثغور العذارى تعبُ الهواء ،
حين يرقصنَ حول العروس
منشداتٍ : « نوار ، اهنئي يا نوار !
حلوَةٌ أنتِ مثل الندى ، يا عروس » .
يا رفاقي ، سترنو إلينا نوار
من عليّ في احتقار .
زهّدتها بنا حفنةٌ من نضار :
خاتمٌ أو سوار ، وقصرٌ مشيدٌ
من عظام العبيد ...
وهي ، يا ربّ ، من هؤلاء العبيد !
ولو أنّا وآباءنا الأولين
قد كدحنا طوال السنين

وادمخرنا - على جوع أطفالنا الجائعين -

ما اكتسبناه في كدنا من نقود ،

ما اشترينا لها خاتماً أو سوار !

خاتمٌ ضمٌ في ماسه الأزرقِ

من رفات الضحايا مئات اللحود

اشتراها به الصيرفيُّ الشقي .

مثما تنثر الريح عند الأصيل

زهرة الجلنار -

أقفر الريفُ لما تولت نوار .

بالصبابات ، يا حاملاتِ الجرار

رحنَ واسألنّها : « يا نوار

هل تصيرين للأجنبي الدخيل ؟

للذي لا تكادين أن تعرفيه ؟

يا ابنة الريف ، لم تنصفيه !

كم فتىً من بنيه

كان أولى بأن تعشقيه ؟

إنهم يعرفونك منذ الصغر
مثما يعرفون القمر ...
مثما يعرفون حفيف النخيل
وضفاف النهر
والمطر
والهوى ، يا نوار ... »
احصدوا يا رفاقي ، فإن المغيب
طاف بين الروابي يرش اللهب
من أباريق مجبولة من نضار ؛
والزغاريد تصدي بها كل دار :
أوقد القصر أضواءه الأربعين ،
فاتبعوني إليها مع الراحين .
اتركوني أغني أمام العريس
وأراقص ظلي كقرد سجين
وأمثل دور الحب التعيس
ضاحكاً من جراحات قلبي الحزين ،

من هواي المضاع ،
من قلوب الجياع
حين تهوى ، ومن ذلة الكادحين .
سوف آكل حتى ينزّ الدمُ
من عيوني ... فما زال عندي قمُ :
كل ما عندنا نحن ، هذا القمُ !
كان وهما هوانا ، فان القلوب
والصبابات وقفن على الأغنياء !
لا عتابٌ ... فلو لم نكن أغنياء
ما رضينا بهذا ، ونحن الشعوب .

مرثية الآلهة

بلىنا وما تبلى النجوم الطوالع^(١)
ويبقى اليتامى بعدنا والمصانع^٢
ويبقى «كرب^٣» الجالب الكرب: كالصدي
يغصّ المنادي بالردى ، وهو راجع^٤
كان^٥ الأميبي^(٣) توأم^٦ وهو توأم^٧
لها ، فهو في منجى من الموت قابع^٨

(١) لم توضع الأبيات المضمنة بين أقواس ، وإنما اكتفي بالإشارة إليها .

(٢) كرب Krupp صاحب معامل الأسلحة الألمانية الشهيرة .

(٣) الأميبي حيوان ذو حجيرة واحدة ، وهو خالد لا يموت لانعدام

شخصيته .

ولكنه الفرد الذي يزحف الوري
إلى حيث ترمي مقلتيه المطامع
أعقاه من صحراء نجد تقحمت
بها مغرب الشمس البعيد الزعازع
أم انسل من أهرام فرعون هاجع
وقته انتقاص الدود منه ، المباحع ؟
ومن ليس يحيا لن يرى وهو هالك
قلو كان يحيا ما عدته الفواجع
وما كان إلا اسما « كرب » ابن مثله
به يُدمغ اثنان : الوري والبضائع
ولكنه اسم بالأسامي يفتذي
تهجأه زفّار اللّظى والمدافع
تمنيت أني آله : لا يُصيبها
كلال ولا وقت بها مر ضائع
لها من دماء الناس قوت وخلفها
من المال عن أن ينفد القوت مانع

وما تخطيء الآلات في الجمع تارةً
وفي الطرح ، إن يخطيء من الناس جامعٌ
ولا عاقبتها عصبيةٌ من ورائها
علينا عقابٌ برئوا منه ، واقعٌ
ألا كم رفعنا من إلهٍ وكم هوى
إلهٍ وأضحى ثالث وهو رابعٌ
فما جاوزتنا صورةٌ منه خطها
على غفلةٍ منا 'جميعٌ' وجائعٌ
وما كان معبوداً سوى ما نخافه
ونرجوه أو ما خيلته الطبائعُ
فتموز مثل اللآتِ ، والرعد ما رمى
بغير الذي 'تطوى' عليه الأضالعُ
وكم أله التمرِ التهاميُّ معشرُ
لما ليس يحيا دونه الناس راكعُ
فلما شكا بعد الأثافيَّ قدرها
وضنّت على الشّدق الحفيَّ المراضعُ

كفى كل ثغري كان يدعو جوعه
إله أحاطته المدى والأصابع
دمي هذه الخمر التي تشربونها
ولحمي هو الخبز الذي نال جائع
ولما تشظى قلب نرسيس وانثني
يلم الشظايا منه شارب وبائع
وغدني بها القلب الذي حين ذاقها
نما فيه نابا كوسج فهو قاطع
هو كل عال من إله وسافل
إلى حيث ما من راحل ثم راجع
وأفضى إلى العرس السديسي معدن
بما امتاح من أحداق « ميدوز »^(١) لامع
هو الشمس إلا أن في زمهريره
من الموت ظلا حجبتة البراقع

(١) ميدوز هولة في أساطير الاغريق تحيل من تلتقي عينه بعينها إلى صخر .

جزى أمته الأرض التي من عروقها
 ربا واغتذى في جوفها وهو هاجع
 بشرّ الذي يُجزى به شرّ من عدا
 وأروى ، ويجزاه العدو المنازع
 فأدمى بنيتها وارتعى من بناتها
 حقولاً ترجى ، فهي شوه بلاقع
 كقابيل يفتال الأشقاء ، راكل
 - كأوديب - للخبز الإلهي صافع
 وهذا الإله الأملس الفظّ ما جلا
 لنرسيس يحنو عنده وهو خاشع
 سوى وجه نرسيس الرخامي ، شابه
 شحوب يهوذي التلاوين ناقع
 وأوفى من الأرباب جيل يثمه
 على قمّة الأولب ربّ مخادع

تري « فحيم » إذ يلقاه يلقاه راجفياً
و « فولاذ » من تلمح عينيه مائع^(١)
ويا عهد كنتا كابن حلاج : واحداً
مع الله إن ضاع الوري فهو ضائع
أكلت الرجال الجوف أن يملأوا به
خواء الحشا هذا الإله المضارع
فعاد الفقير الروح من ليس كاسياً
به ظاهراً مناً ... فحلّ التنازع .

(١) جرّدت من الفحم والفولاذ شخصين لإلهين من الأرباب الجدد ، أتباع
زيوس الجديد - الذهب - وعاملتها كاسمي علم ، ومنعتها من الصرف .

من رؤيا فوكاي

(فوكاي ، كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيا ،
'جن من هول ما شاهده غداة ضربت بالقنبلة الذرية).

١ - هياي .. كونغاي ، كونغاي^(١)

ما زال ناقوس أبيك يُقلق المساء

(١) تحدثنا إحدى الأساطير الصينية عن ملك أراد ناقوساً ضخماً يصنع من الذهب ، والحديد ، والفضة ، والنحاس . وكلف أحد الحكام بصنعه . ولكن المعادن المختلفة أبت أن تتحد واستشارت كونغاي - وهي ابنة ذلك الحاكم - المرافين بالأمر فأنبأوها بأن المعادن لن تتحد ما لم تترج بدماء فتاة عذراء .. وهكذا ألقت كونغاي بنفسها في القدر الضخمة التي تصهر فيها المعادن .. فكان الناقوس .. وظل صدى كونغاي يتردد منه كلما دق :
« هياي .. كونغاي ، كونغاي » .

بأفجع الرثاء :
« هياي .. كونغاي ، كونغاي » .
فيفزع الصغارُ في الدروبُ
وتخفق القلوب
وتغلق الدُّور ببكتينَ وشنغهايُ
من رَجع : كونغاي ، كونغاي !
فلتُحرقني وطفلكِ الوليد ،
ليجمعَ الحديدَ بالحديد
والفحمَ والنحاسَ بالنُّضار
والعالمَ القديمَ بالجديد
آلهة الحديدِ والنحاسِ والدِّمار ،
أبوك رائدُ المحيطِ ، نامَ في القرار :
من مقلتيه لؤلؤٌ يبيعه التجار (١) ...

(١) شكسبير - العاصفة : أغنية « أرييل » - روح الهواء الذي سخره
« بروسبيرو » الساحر - لفرديناند : « على عمق أذرعة خمس ينام أبوك في
قراءة البحر ، لقد أصبحت عيناه لؤلؤتين ... اسمع ها هو الناقوس ينمعه »
وقد اتخذته ت . س . إليوت في قصيدته الكبرى « الأرض الخراب » رمزاً
عن « الحياة من خلال الموت » ولكن لاحظ كيف حولت « يبيعه التجار »
المعنى !

وحظكِ الدُّمُوعَ والمُحَارَ
وعاصف عاتٍ من الرصاص والحديد .
وذلك المجلجلُ المرنُّ من بعيد :
لمن ، لمن يدق : « كونسَغي ، كونسَغي » ؟
أهمُّ بالرحيلِ في « غرناطة » الفجر ؟
فاخضرت الرياحُ ، والغديرُ ، والقمرُ (١) ؟
أم سمرَّ المسيحُ بالصليب فانتصر
وأنبتت دماؤه الورودَ في الصخر ؟
أم أنها دماءُ كونسَغي ؟
ورغمَ أن العالمَ استسرَّ واندثر (٢) ،

(١) هذا البيت مقتبس من قصيدة للشاعر الإسباني القليل لوركا . شاعر
الفجر .

(٢) هذا البيت والأبيات الستة التي تليه - تكاد تكون حرفية - عن
الشاعرة الانكليزية ايديث ستويل من قصيدتها الرائعة ترنيمة السرير Lullaby
حيث تجلس البايون - القردة - في قاع المحيط تهزّ مهد طفل بشري - قتل
« طائر الحديد » أمه - وتغني له مصبحة بهذا - وهي القردة - أما للطفل
البشري معلمة له أيضاً .

وليلاحظ قراء قصيدتي هذه أن هناك شخصاً ثلاثة ترابط في ذهني :
الصيد الياباني - أو الصيني - الفريق الذي أخاطب ابنته ، وأبو « فرديناند »
- الذي زعم اريل أنه غرق - ، والقردة « البايون » التي اتخذت مكان
أم الطفل في قرارة المحيط ، كما جاء في قصيدة ايديث ستويل .

ما زال طائرُ الحديد يذرُعُ السماء ،
وفي قرارة المحيطِ يعقد القرى
أهداب طفلكِ اليتيم - حيتُ لا غناء
إلا صراخَ « البايون » : « زادك الثرى ،
فازحفْ على الأربع ... فالخضيض والعلاء
سيان والحياة كالقناء ! ،
سيانِ « جنكيز » ، و « كونغاي »
هابيلُ قابيلُ ، وبابلُ كشنغهاي ،
وليست الفضة كالحديد !
هياي .. كونغاي ، كونغاي !
الصين حقلُ شاي ،
وسوقُ شنغهاي
يعبجُ بالمزارعين قبلَ كلِّ عيد .
هياي ... كونغاي . كونغاي !

٢ - تسديد الحساب

تلك الرواسي كم انحطَّ النهار على
أقصى ذُرَاهَا ، وكم مرَّت بها الظلمُ
فما فرحنَ بآلافِ الشُّموسِ ، ولا
من ألفِ نجمٍ تردى مسَّها ألم
صمَّاءُ ، بكاءً ، لم تأخذ ، ولا وهبتُ
ولا ترصدها موت ولا هرم
لو أودع الله إياها أمانته
لناهنَّ على إستيداعها ندمُ
ولاقتسمنَ مع الأحياء ما دفعت
من جزيةٍ لا تُوفى حين تُقتسم :
عن كلِّ قهقهةٍ من صرخةٍ ثمنُ
وما استجدُّ دمٌ إلا وضاع دم
وما تحمِّل آلام الخاض ولم
يقرب من النور إلا الفكرةُ والرحمُ
وإن يكن أسعدَ الأحياء أكملها
فإنما هو أشقاهنَّ لا جرمُ ؟

« قابيل » باقى وان صارت حجارته
سيفاً ، وإن عادَ ناراً سيفه الخِذَمُ
وردَ « هابيل » ما قضاءه بارئته
عن خَلْقِهِ ، ثم ردت باسمه الأَمَمُ
واليوم ، في حين وفى الدَّينَ غارمه
إلا بقايا وكادت تخلص الذَّمَمُ
وكاد يُرجع للدنيا بشاشتها
ما قرَّبته الضحايا وهي تبتسمُ
مشى على الأرض خلقٌ عاش في دمه
من وحشها في المخاض الأولِ الضرْمُ
خلقٌ تراءى له يحيى ^(١) ساعة افتُرست
عينيه رؤيا لها من هؤلاء فمُ
لو يُقبض النورُ بالأيدي لسوره
دونَ الورى .. ولتعمَّ العالم الظلم
ريَّانُ عطشانُ لا يروى ، بلا فرحٍ
جذلانُ ، بادٍ عليه الجوع والبشمُ

(١) القديس يوحنا - كما يسميه المسيحيون .

كأنه - وهو ماض في غوايته -
من نفسه اقتص ، فهو الماء والحم
تفجر الضحك المسلوب من رئة
منخوبة بعد أخرى هدها السقم
عن ضحكة أطلقوها فهي صاعقة
أصابعهم والورى من رجعتها صمم
واستنزفوا متعة الأحياء : ما دفعوا
عنها ، ولا غارماً ما استنزفوا رحموا
ثم استزادوا .. فإن لم يذهبوا دية
أو يقصروا عن طماع يرجع العدم !

٣ - حقائق كالخيال (١)

ماذا تريد العيون السود من رجل
قد حاش زهر الخطايا حين لاقاهما

(١) المتحدث في هذه القصيدة مريض في مستشفى الصليب الأحمر في
هيروشيا ، مصاب بالزهري الذي افترس دماغه حتى عاد يتخيل أشياء لا وجود
لها ، ولكنه - خلال أوهامه ودون وعي منه - يصور جانباً مما حدث في
هيروشيا حين القيت عليها القنبلة .

زهرأ على جسمي المحموم أقطفه
في باقة من جراحٍ بتُّ أصلاها :
هـ . بيع الذي تهدي شقائقه
ريحَ المنايا إلى قلبي بريئها .
أزهار تموز^(١) ما أرعى : أسلّمه
في عتمةِ العالم السفليِّ أيّاها ؟
أم صلّ حواء بالتفاح كافأني
وهو الذي أمسر بالتفاح أغواها ؟
ماذا تريد العيون السود ؟ إن لها
ما لست أنساه منها حين أنساها
ما بالهن استعصنَ اليوم أوعيةً
عن أوجه الغيد .. حتى ضاع معناها
أين المناكير من لعس مرآشفها
ربّي ؟ وأين ابتسام كان يغشاها

(١) تموز هو أدونيس إله الخصب والخصاء ، وحبيب عشتروت - أر
فينوس - إلهة الحب . وهو يقضي نصفاً من السنة - الشتاء - في العالم السفلي
مع برسفون ، والنصف الآخر - الصيف أو الربيع - على الأرض مع فينوس .

من هذه الخربة الظلماء محذقة
 بي أعين اليوم من أجدات موتها ؟
 قفراء من غير ثكلنى شف مؤزرها
 عن وهج فانوسها الكابي وأخفاها
 تسمى كما اصطاد في ليل براعته (١)
 طفل ، وطارت وقد ألوى جناحها
 محنية تتقرى كل شاهدة
 من كل قبر ، كما لو كان طفلاها
 في كل قبر يذوقان الردى : دية
 عمّن يؤاوي وعن أحياء دنياها
 نادتها فانبرى يزقو لصيحتها
 - من حيث ردّ الصدى - يومٌ ونادها :
 « أمّاه إنا هنا . ربح بنا عصفت
 لم ندر أين انهيّنا بعد لقيها »
 وانشق من خلفها قبرٌ ليلها
 واحتازها وأشرأبت منه كفّاها

(١) اليراعة ؛ ذبابة مضيفة ، حباب .

يختضّ فانوسها التّمتامُ بينها
والريحُ خرساءُ قعبي ...
غيرَ « ها . ها .. ها .. »

ويُلمّ سازاك^(١) كيف اندك حائطه
حتى تعرى لي السهلُ الذي حجباً ؟
سهلٌ يكنّ الصلال الرّقْط ، أجهضه
عاديّ من المحل حتى يفرع العطبا
وانبجّت التربةُ العجفاء - من عطش -
عن أشدقٍ فاغراتٍ تنبح السحبا
والشمس كالأطلس^(٢) المسعور تنهشه
والريحُ تصليه من تنورها لها

(١) الدكتور سازاكي كان طبيباً في مستشفى الصليب الأحمر في مدينة
هيروشيما .
(٢) الأطلس : الذئب .

الريح ؟ لا ليست الريح التي ركضت
بيضاء سوداء رقطاء القفا عجباً
عنقاء^(١) في مسعر الجوزاء أعينها
والصخر يرفض من أظلافها شهاباً
تلك الزرافات^(٢) في السهل العقيم لها
مرعى روى من سرابٍ ، ينبت السّغيا
ما روتها سوى ضوضاء خشخشة
في كفٍّ أبرص يعدو خلفها خبيها
تحفيه عنها ضماداتٌ ، ويظهره
ما نزل من قيحه الدامي وما شخباً
نادى ، وكفّاه تختضّان ، « واحرباً »
فاستعبر العاصف المصدور « واحرباً » .
« ماء اسقِ يا ماء .. » تلهاث مقاطعه
منزوعة من لسان يشبه الخشباً

(١) عنقاء طويلة العنق .

(٢) الزرافات جمع زرافة ، الحيوان المعروف .

حتى استجاب السحاب الجون فانهقدت
في الجو حباته الغبراء فاحتجبا
وانهل : لا عن ندى صافٍ ولا مطر
بل عن دم ، من ندى مزقت حلبا
أو عن مشاش من الاحداق فقأها
سينخ الجنكيز^(١) دام ينفت اللهب
« ماء ، اسق ياماء .. » والغيث الرهيب كلي
مفرية سحت الآجال والكربا
لم يبق من مرتوي أو ظامي ، بفهم
أو دون .. ، إلا ومن ماء الردي شربا

ويل لسازاك ! ماذا ينتوي بدمي
من نية .. فهو يستصفي ويمتار ؟
تلك الزجاجات أشلاء مجزأة
مني ، دمي نختر فيهن موّار !

(١) جنكيزخان السفاح المشهور .

لم تكن سزاك عن شحذٍ لمديته
 آهات مرضى ، ولا ألهاء زوار
 إني لدارٍ بآني حين يشرعها
 رانٍ إليها ، فملدوغٌ ، فمُنْتهار
 هل تبتغي شفراتها غير آنيةٍ
 فيها دمي راجفٌ ، والداء والعار ؟
 ما كنت يوماً ولا المرضى سوى عرضٍ
 - في عين سزاك - يُجيبى منه إيجار
 ست وعشرون : أعدادٌ على سررٍ
 أما الأصحاء والمرضى فأصفار !
 فالرقم « عشرون » لا يسقى سوى لبنٍ
 والرقم « عشر » نعاه اليومَ محرارُ
 واليوم لم يبقَ ما أعطيه عن مرضٍ
 إلا دعائي وقولي « نِعمتِ الدارُ » !
 فليلقَ سزاكُ من يسمي « ثمانية »
 غيري ، ويستوفِ أجرَ القبرِ حفارُ !

قافلة الضياع

أرأيت قافلة الضياع ؟ أما رأيت النازحين ؟
أحاملين على الكواهل ، من مجاعات السنين
آثام كل الخاطئين
النازفين بلا دماء
السائرين إلى وراء

كي يدفنوا « هابيل » وهو على الصليب ركام طين ؟
« قابيل ، أين أخوك ؟ أين أخوك ؟ »
جمعت السماء

آمادها لتصبح . كوّرت النجوم إلى نداء :
« قابيل ، أين أخوك ؟ »

- « يرقد في خيام اللاجئين

السلّ يُوهن ساعديه ، وجثته أنا بالدواء
والجوع لعنة آدم الأولى وإرثُ الهالكين
ساواه والحيوان ثم رماه أسفل سافلين
ورفعته أنا بالرغيف ، من الحضيض إلى العلاء .
أليلٌ يجهض ، والسفائن مثقلات بالغزاه :
بالفاتحين من اليهود

يلقين في حيفا مراسيهنّ - كابوس تراه
تحت التراب محاجر الموتى فتجحظ في اللحد .
أليل يجهض فالصباح من الحرائق .. في ضحاه
أليل يجهض فالحياء
شيء ترجّح لا يموت ولا يعيش بلا حدود
شيء تفتّح جانبا على المقابر والمهود
شيء يقول « هنا الحدود !

هذا لكل اللاجئين ، وكل هذا .. لليهود ! »

ألنار تصرخ في المزارع والمنازل والدروب

في كل منعطف تصيح : « أنا النضار ، أنا النضار ،
من كل سنبلة تصيح ومن نوافذ كل دار :
« أنا عجل » سيناء » الإله ، أنا الضمير ، أنا الشعوب
أنا النضار ! »

ألنار تتبعنا ، كأنّ مدى اللصوص وكل قطاع الطريق
يلهثن فيها بالوباء ، كأن ألسنة الكلاب
تلتزّ منها كالمبارد وهي تحفر في جدار النور باب
تتصيّب الظلماء كالطوفان منه ؛ فلا تراب
ليُعاد منه الخلق ، وانجرف المسيح مع العباب
كان المسيح يحنبه الدامي ومثزره العتيق
يسدّ ما حفرت ألسنة الكلاب

فاجتاحه الطوفان : حتى ليس ينزف منه جنب أو جبين
إلا دجى كالطين تبني منه دور اللاجئين .
ألنار تركض كالخيول وراءنا . أهمّ المغول
على ظهور الصافنات ؟ وهل سألت الغابرين
أروّضوا أمس الخيول ؟

أم نحن بدء الناس : كل تراثنا أنصاب طين .

ألنار تصل من ورائي والقذائف لا تنام
عيونُها وأبي على ظهري ، وفي رحي جنين
عريان دون فمٍ ولا بصيرٍ تكوّر في الظلام
في بركة الدم وهو يفرك أنفه بيدٍ . وكالجرس الصغير
يرن ملء دمي صداه - تكاد تومض كل رحي بالسلام
حتى أكاد أراه في غبش الدماء المستنير
عريان دون فمٍ كأفقر ما يكون : بلا عظام
وبلا أب ، وبدون حيفا دون ذكرى - كالظلام !
أسريت أعبر ، تحت أجنحة الحديد به الزمان
من الحقول إلى المراعي فالكهوف
والأرض تطمس من وراء ظهورنا ، كالأمجدية
الدور فيها والدوالي شاخصات كالخروف
فكان أمس غدٌ يلوح وليس بينهما مكان .
لم يخرجونا من قرانا وحدهنّ ولا من المدن الرخيّة :

لكنهم قد أخرجونا من صعيد الآدمية !
فالיום تمتلئ الكهوف بنا ونعوي جائعين
ونموت فيها لا نخلّف للصغار على الصخور
سوى هباب ما نقشنا فيه من أسدٍ طعين
ونموت فيها لا نخلّف بعدنا حتى قبور
ماذا نخطّ على شواهدنا ؟ . أ . . « كانوا لاجئين » ؟
أليوم تمتلئ الكهوف بنا : تظلل بالخيام
وبالصفيح ، وقد تغلفهنّ بالآجر دور
والنور كالتابوت فيها ، ليس فيه سوى ظلام .

بين الكهوف وبين حيفا من ظلام ألف عام أو يزيد
بين الكهوف وبين أمس هناك بشر لا قرار
لها ، كهافية الجحيم تلزّ فاها دون نار
تتعلّق الأحداث فيها كالجلامد في جدار
لحدّاً على لحدّ ، أزيح الطين عنها والحجار
من يدفن الموتى وقد كشفوا وماتوا من جديد ؟
من يدفن الموتى

ليولد ، تحت صخرة كل شاهدة ، وليد ؟
من يدفن الموتى لئلا يُزحموا باب الحياة
على أكف القابلات ؟
من يدفن الموتى لنعرف أننا بشر جديد !
في كل شهرٍ من شهور الجوع يومىء يوم عيد
فنخفّ نحمل من « تذاكرنا » صليب اللاجئين :
— « يا مكتبة للغوث في سيناء هب للتائهين
منّا وسلوى من شعير ، والمشيمة للجنين
واجعل له المطاط سرّه
وارزقه ثدياً من زجاجٍ واحشُ بالإدريج صدره . »

وبأى لغة نقول فيستجيب الآخرون
ونورث الدم للصغار ؟
أعلمت — حين نقول : دار أو سماء — أيّ دارٍ
أو سماء تخطران على العيون ؟
هيهات ، ليس للاجئين واللاجئات من قرار
أو ديار ،

إلا مرابع كان فيها أمس معنى أن نكون
سنظل نضرب كالمجوس نجسّ ميلاد النهار !
كم ليلة ظلماء كالرحم انتظرنا في دجاها
فتلمس الدم في جوانبها ونعصر من قواها
شعّ الوميض على رتاج سمائها مفتاح نار
حتى حسبنا أن باب الصبح يفرج - ثم غار
وغادر الحرس الحدود .
واختصّ رعدٌ في مقابر صمتها يعد القفار ،
ثم اضمحلّ الى غبار بين أحذية الجنود .
أليل أجهض : ناره الحمى وديمته انتحاب الضائعين
أليل أجهض : ليس فيه سوى مجوس اللاجئين .

ألنار تركض كالخيول وراءنا . أهمّ المغول
على ظهور الصافنات ؟ وهل سألت الغابرين
أروّضوا أمس الخيول ؟
أم نحن بدء الناس : كل تراثنا أنصاب طين ؟

يوم الطغاة الأخير

(أغنية تأثر برني من تونس لرفيقتة)

— « إلى الملتقى ... » ، وانطوى الموعدُ
وظلَّ الغدُ :

غد الثائرين القريب .
يداً بيدٍ من غمار اللهب
سنرقى إلى القمة العاليه
وشعرك حقلٌ حباه المغيب
أزاهيره القانيه .

نرى الشمس تنأى وراء التلال

وبين الظلال

وقد يرفّ ، مثل الجناح الكبير -
على كومةٍ من حطام القيود
على عالم بائدٍ لن يعود -
سناها الأخير .

تقولين لي : « هل رأيت النجوم ؟
أبصرتها قبل هذا المساء
لها مثل هذا السّنا والنّقاء ؟ »
تقولين لي : « هل رأيت النجوم
وكم أشرقت قبل هذا المساء
على عالم لطّخته الدماء :
دماء المساكين والأبرياء ! »
تقولين لي : « هل رأيت النجوم
تطلّ على أرضنا وهي حرّة
لأول مرّة ؟ »

نعم . أمس حين التفت إليك

تراءينَ كالهجس في مقلتيك .

وإذ يستضيء المدى بالحريق
فيندك سجن ويُجلى طريق
ويُذكي بأطيافه الدافئه
حيّاك باللهفة الهائه ؟
تقولين « نحن ابتداء الطريق -
ونحن الذين اعتصرنا الحياه :
من الصخر تدمى عليه الجباه
ويتمصّ ريّ الشفاه ،
من الموت في موحشات السّجون ؛
من البؤس ، من خاويات البطون ؛
لأجياها الآتية .
لنا الكوكب الطالع
وصبح الغد الساطع
وآصاله الزاهيه ! »

الى جميلة بو حيرد

لا تسمعها .. إنَّ أصواتنا
تخزى بها الريحُ التي تنقلُ ،
بابٌ علينا من دمٍ مُقفلُ
ونحن في ظلماتنا نسأل :
« من مات ؟ من يبكيه ؟ من يُقتلُ ؟
من يصلب الخبز الذي نأكلُ ؟
نخشى إذا وارايتِ أمواتنا
أن يفزعَ الأحياءَ ما يُبصرونُ ،
إذ يُقفر الكهف الذي يأهلون ؛
إن عريد الوحشُ الذي يطعمون

من أكبّد الموتى ، فمن يبذل ؟

يا أختنا المشبوحة الباكية ،

أطرافك الدامية

يقطرن في قلبي ويبكين فيه .

يا من حملت الموت عن رافعيه

من ظلمة الطين التي تحتويه

إلى سماوات الدم الواربه ،

حيث التقى الإنسان والله ، والأموات والأحياء في شهقة ،

في رعشة للضربة القاضيه .

الأرض ، أمّ الزهر والماء والأسماك والحيوان والسنبلة ،

لم تبل في إرهابها الأول

من خضة الميلاد ما تحملين :

ترتج قيعان المحيطات من أعماقها ، ينسح فيها حنين ،

والصخر منشد بأعصابه - حتى يراها - في انتظار الجنين .

الأرض ؟ أم أنت التي تصرخين ؟

في صمتك المكتظ بالآخرين ؟
في ذلك الموت ، الخاض ، الحب ، المبعض ، المنفتح ، المقفل .
ونحن ؟ أم أنت التي تولدين ؟
أسخى من الميلاد ما تبذلين ،
والموت ، أقسى منه ، من كل ما عاناه أجيالٌ من الهالكين ،
أنّ الذي من دونه الجُلجُل
والسوطَ والسجّانَ والمقصلة ،
أنّ الذي يفديك أو تفتدين ،
غيرُ الذي آذنه بالنار أو بالعار والماء الذي تشربين :
عبءٌ من الآجال ما أثقله !
كم حاول الجلاّد أن ينزله ،
كم ودّ أن تلقّيه إذ تعجزين .
مشبوحةَ الأطراف فوق الصليب ،
مشبوحةَ العينين عبر الظلام ،
يأتيك من وهران — يا للزحام ! —
حشدٌ مُشعّ باشتعال المغيب ،

يأتيك كلُّ الناس ، كل الأنام ،
يرجون ، مما تبذلين ، الطعام
والأمنَ والنعماء والعافيه .
وأنتِ مثلُ الدوحةِ العارِيه ،
لم يُبق منك البقيُّ إلا الجذور
الموتُ واهٍ دونها ، والنشورُ
فيها وتجري دونكِ الساقيه .
ما شبَّ في وهرانَ من بُرعْمِ
أو أزهرت في أطلسٍ عوسَجِه ،
إلا ودبت في مسيل الدمِ
نخمةٌ منعشةٌ مبهجة
توحي بأن الأرض ظلت تدور
طاحونةً للقاتل المجرمِ
تسحق منه واهنَ الأعظمِ ،
وأنَّ ألوانَ الأذى والعذاب
”ذخرٌ لنا ، نجلوه يومَ الحساب

نسقي به الباغين ، نروي التراب
من لَفَحِهِ - أنَّ الهوى والشباب
لم يذهبا - أن البعاد اقتراب -
أن من الدمع الذي تسكين
أسلحةً في أذرع الثائرين .
جاء زمانٌ كان فيه البشرُ
يفدون من أبنائهم للحجر :
« يا ربَّ عطشى نحن . هات المطر !
روِّ العطاشي منه . روِّ الشَّجَرَ » .
وجاء حينٌ عاد فيه البشر
يفدون بالأنعام ما تحبس السماء في أعماقها من قدر .
وجاء عصرٌ سار فيه الإله
عريانَ ، يدمى ، كي يروِّي الحياه .
واليوم ولتى محفلُ الآلهه ،
اليوم يفدي ثائر بالدماءُ
الشيبَ والشبانَ ، يفدي النساءَ ،

يفدي زروع الحقل ، يفدي الناء ،
يفدي دموع الأيّم الوالهه .
بالأمس دوّى في ثرى يثربِ
صوتٌ قويٌّ من فقيرٍ نبيّ ،
ألوى ببغي الصّخر . لم يضربِ
وحطّم التيجانَ . أيّ انطلاقٍ
في مصرَ ، في سورِيّةِ ، في العراقِ ،
في أرضكِ الخضراءِ . كان انعتاق !
بالأمس وارى قومك الآلهه .
عشتار ، أمّ الحنّيب ، والحب ، والإحسان ، تلك الرّبة الوالهه
لم 'تعطِ ما أعطيتِ' ، لم 'ترَوِ' بالأمطارِ ماروَيْتِ : قلبَ الفقيرِ ،
لم يعرف الحقد الذي يعرفونُ
والحسدَ الآكلَ حتى العيون .
نحن بنو الفقر الذي يزعمون
في كل عصر أنهم وارثوه .
قابيل فينا ما تهاوى أخوه

من ضربة الحقد التي يضربون .
يوم ابتدأنا كان عبءُ السماء
ملقىً على أطلسٍ ،
يزحه بالمنكب الأملس .
ثم ارتقى «إيفل»^(١) ، تمَّ البناء
فانحطَّ ذاك العبءُ حيناً عليه ،
ثم انطلقنا نحن من جانبيه
حقى حملنا عبئها ، كلُّ ما فيها من الأبراج والأنجم ،
يا أختنا المشبوحة الباكية ،
أطرافك الدامية
يقطرن في قلبي ويبكين فيه .
لم يلقَ ما تلقين أنتِ المسيحُ —
أنتِ التي تفدينُ جروحَ الجريح
أنتِ التي تعطين .. لا قبضَ ريح ،
يا أختنا ، يا أمَّ أطفالنا
(١) برج إيفل في باريس .

يا سقفَ أعمالنا

يا ذروة تعلو لأبطالنا .

ما حزنٌ سوط البغي في ساعديك

إلا ، وفي غيبوبة الأنبياء ،

أحسستِ أن السوط ، أن الدماء ،

أن الدجى ، أن الضحايا . هباء

من أجل طفل ضاحكته السماء

فرحان في أرضه

وبعضه فرحان من بعضه ،

أحسسته يخبو على راحتك ،

سمعته يضحك في مسمعك ،

يهتف : « يا جميله

يا أختي النبيله ،

يا أختي القتيله ،

لك الغد الزاهي كما تشتين »

وأنت إذ أحسستِ ، إذ تسمعين ،

تعلو بك الآلام فوق التراب
فوق الذرى ، فوق انعقاد السحاب ،
تعلن حتى محفل الآله
كالربة الواله ،
كالنسمه التائه .

لا تسمعها .. إن أصواتنا
تخزي بها الريح التي تنقل ،
باب علينا ، من دم ، مقفل
ونحن نخصي ، نسم ، أمواتنا .
الله لولا أنت يا فاديه
ما أثمرت أغصاننا العاريه
أو زنبقت أشعارنا القافيه .
إننا هنا .. في هوة داجيه
ما طاف لولا مقلتك الشعاع
يوماً بها . نحن العراة الجياع ؛

لا تسمعي ما لفَّقوا ، ما يُذاع ،
ما زيَّنوا ، ما خطَّ ذاك اليراع .

إنَّا هنا كومٌ من الأعظمِ
لم يبقَ فينا من مسيلِ الدمِ
شيءٌ نروِّي منه قلبَ الحياة .
إنَّا هو موتى ، حفاة ، عراة .

لا تسمعيها ، ان أصواتنا
تخزى بها الريحُ التي تنقلُ ،
بابٌ علينا ، من دمٍ ، مقفلُ
ونحن في ظلماتنا نسأل :

« من مات ؟ من يبكيه ؟ من يُقتلُ ؟ »
يا نفحةٌ من عالم الآله

هبت على أقدامنا التائه ،
لا تمسحها من شواظ الدماء ،
إنا سنمضي في طريق الفناء ؛
ولترفعي « اوراس » حتى السماء

حتى تروى من مسيلِ الدماء
أعراقُ كلِّ الناس ، كلِّ الصخور ،
حتى نفسَ الله .

حتى نثور !

رسالة من مقبرة

« الى المجاهدين الجزائريين »

من قاع قبري أصبح

حتى تشن القبور

من رجع صوتي ، وهو رمل وريح :

من عالم في حفرتي يستريح ،

مركومة في جانبيه القصور ،

وفيه ما في سواه

إلا دبيب الحياه ،

حتى الأغاني فيه ، حتى الزهور

والشمس ، إلا أنها لا تدور

والدُّودُ نَحَّارٌ بِهَا فِي ضَرِيحٍ .
من عالمٍ في قاعِ قَبْرِي أَصِيحُ :
« لَا تَيْأَسُوا مِنْ مَوْلَدٍ أَوْ نَشُورٍ ! »

النور من طينٍ هنا أَوْ زَجَاجٌ ،
« قفلٌ » على باب سورٍ .
النور في قَبْرِي دَجَى دُونَ نورٍ .
النور في « شَبَّاكِ دَارِي زَجَاجِ »
كَمْ حَدَّقْتُ بِي خَلْفَهُ مِنْ عَيُونٍ
سُودَاءَ كَالْعَارِ .

يُحْرِحُن بِالْأَهْدَابِ أَسْرَارِي
فَالْيَوْمِ دَارِي لَمْ تَعُدْ دَارِي
وَالنور في شَبَّاكِ دَارِي ظَنُونٍ
تَمْتَصُّ أَغْوَارِي .

وعند بابي يصرخ الجائعون :
« فِي « خَبْزِكَ الْيَوْمِي » دَفءُ الدَّمَاءِ »

فاملأ لنا ، في كل يومٍ ، وعاء
من لحمك الحيّ الذي نشتهيهِ ،
فنكهةُ الشمس فيه
وفيه طعم الهواء ! «
وعند بابي يصرخ الأشقياءُ :
« أُعصرُ لنا من مقلتيك الضياء
فأننا 'مظلومون' ! »
وعند بابي يصرخ المخبرون :
« وعرّهُ هو المرقى إلى الجلجلة (١) ،
والصّخرُ ، يا سيزيفُ ، ما أثقله .
سيزيف .. إنّ الصخرةَ الآخرون ! »

لكنّ أصواتاً كقرع الطبولُ
تنهلُ في رمسي
من عالم الشمسِ

(١) الجلجلة الجبل الذي حمل المسيح صليبه الى قمته .

هذي تُخطي الأحياء بين الحقول
في جانب القبر الذي نحن فيه .
أصداؤها الخضراء
تنهلُ في داري
أوراقَ أزهارٍ
من عالم الشمس الذي نشتهيهِ .
أصداؤها البيضاء
يصدعنَ من حولي جليدَ الهواء
أصداؤها الحمراء
تنهلُ في داري
شلالَ أنوارٍ ،
فالنور في شبّاك داري دماء
ينضجنَ من حيث التقى ، بالصخور
في 'قومةِ القبرِ المغطاةِ' ، سور .
هذا مخاضُ الأرض لا تيأسي ؛
بُشراكِ يا أجداث ، حانَ النشورُ !

بشراكِ .. في « وهران » أصداءُ صوّر .
سيزيفُ ألقى ' عنه عبء الدُّهور
واستقبلَ الشمسَ على « الأطلسِ » !

آهٍ لوهرانَ التي لا تثور !

في المغرب العربي

قرأتُ اسمي على صخره
هنا ، في وحشة الصحراء ،
على آجرةٍ حمراء ،
على قبرٍ . فكيف يحسُّ إنسانٌ يرى قبره ؟
يراه وإنه ليحارُّ فيه :
أحيٌّ هو أم ميتٌ ؟ فما يكفيه
أن يرى ظلًّا له على الرمال ،
كمثدنةٍ مُعفّرةٍ
كمقبرةٍ
كمجدٍ زال

كمثذنةٍ تردّد فوقها اسمُ الله
وخطُّ اسمٍ له فيها ،
وكان محمدٌ نقشاً على آجرّةٍ خضراءٍ
يزهو في أعاليها ...
فأمسى تأكل الغبراء
والنيرانُ ، من معناه ،
ويركله الغزاة بلا حذاء
بلا قدمٍ
وتنزف منه ، دونَ دمٍ ،
جراحٌ دونما ألم -
فقد مات ...
ومتنا فيه ، من موتى ومن أحياء .
فنحن جميعنا أموات
أنا ومحمد والله .
وهذا قبرنا : أنقاض مئذنةٍ معفّرةٍ
عليها يُكتبُ اسم محمدٍ والله ،

على كسرة مبعثرة
من الآجر والفخار .
فيا قبر الإله ، على النهار
ظل لألف حربة وفيل
ولو أن أبرمه
وما عكسته منه يد الدليل ،
والكعبة المحزونة المشوّهة .
قرأت اسمي على صخره ،
على قبرين بينها مدى أجيال
يجعل هذه الحفرة
تضم اثنين : جد أبي - ومحض رمال
ومحض فتارة سوداء منه ، استنزلا قبره -
وإيائي ، ابنه في موته والمضغة الصلصال .

وكان يطوف من جدي
مع المد

هتافٌ يملأ الشطآنَ : يا ودياننا ثوري !
ويا هذا الدمُ الباقي على الأجيالُ
يا إرثَ الجماهيرِ ،
تشظيةً الآن واسحقُ هذه الأغلالُ
وكالزلزال
هُزَّ النيرَ ، أو فاسحقه واسحقنا مع النيرِ . «
وكان إلهنا يختالُ
بين عصائب الأبطال ،
من زندٍ إلى زندٍ
ومن بندٍ إلى بندٍ

إلهُ الكعبة الجبَّارُ ،
تدرَّعَ أمسٍ في ذي قار
بدرعٍ من دم النعمان في حافاتِها آثارُ .
إله محمد وإله آبائي من العربِ ،
تراءى في جبال الريف يحمل راية الثوار ،

وفي يافا رآه القوم يبكي في بقايا دار .
وأبصرناه يهبط أرضنا يوماً من السحبِ :
جريحاً كان في أحيائنا يمشي ويستجدي ،
فلم نضمد له جرحاً
ولا ضحى
له منا بغير الخبز والانعام من عبءٍ ا

وأصوات المصلين ارتعاشٌ من مرأثيه
إذا سجدوا ينزُّ دمُ
فيسرع بالضهاد قمُ :
بآياتٍ يغضُّ الجرح منها خير ما فيه ،
تداوي خوفنا من علمنا أنا سنحييه
إذا ما هلل الثوار منا : « نحن نفديه ! »

أغار ، من الظلام على قرانا
فأحرقهن ، سربٌ من جرادٍ

كأن مياه دجلة ، حيث ولئى ،
تمّ عليه بالدم والمداد .
أليس هو الذي فجأ الحُبالي
قضاه ، فما ولدنَ سوى رمادٍ ؟
وأنعل ، بالأهنة في بقايا
مآذنها ، سنابك من جوادٍ ؟
وجاء الشام يسحب في ثراها
خطى أسدين جاعا في الفؤادِ ؟
فأطعم أجوع الأسدين عيسى
وبلّ صداه من ماء العبادِ
وعضّ نبيّ مكة .. فالصحارى
كل الشرق ينفرُ للجهادِ ؟

أعاد اليوم ، كي يقتصّ من أنّا دحرناه ؟
وإن الله باقٍ في قرانا ، ما قتلناه ؟
ولا من جوعنا يوماً أكلناه ؟

ولا بالمال بعناه' -

كما باعوا

إلههم الذي صنعوه من ذهبٍ كدحناه ؟

كما أكلوه إذ جاعوا -

إلهم' الذي من خبزنا الدامي جبلناه' ؟

وفي باريس تتخذ البغايا

وسائدهنّ من ألم المسيح.

وبات العقمُ يزرع في حشاها

فم التئّين : يشقّ بالفحيج.

ويقذف من حديدٍ في حمانا

جحافل كالفوارس ، دون روح.

تجدّ وراء مكة في الصياصي

أقنأها ، ويثرب في السفوح.

قرأت اسمي على صخره ..

وبين اسمين في الصحراء'

تنفس عالمُ الأحياء
كما يجري دمُ الأعراق بين النبض والنبض
ومن آجرةٍ حمراء مائلة على حفرة
أضاء ملامح الأرضِ
بلا ومض
دمٌ فيها ، فسمّاها
لتأخذ منه معناها
لأعرف أنها أرضي
لأعرف أنها بعضي
لأعرف انها ماضي ، لا أحياء لولاها
وأني ميّت لولاه ، أمشي بين موتاه .
أذاك الصاحب المكتظ بالرايات واديننا ؟
أهذا لوّن ماضينا
تضوؤاً من كوى « الحمراء »
ومن آجرةٍ خضراء
عليها تكتب اسمَ الله بقيا من دمٍ فينا ؟

أنبر من أذان الفجر ؟ أم تكبيرة الثوار

تعلو من صياصينا ...؟

تمخّضت القبور لتنشر الموتى ملاينا

وهبّ محمد وإله العربي والأنصار :

إن إلهنا فينا

مرثية جيڪور

يا صليب المسيح ألقاك ظلاً
فوق « جيڪور »^(١) طائر من حديد
يا لظلي كظمة القبر في اللون ، وكالقبر في ابتلاع الحدود
والتهام العيون من كل عذراء كعذراء « بيت لحم » الولود .
مرّ عجلان بالقبور العواري من صليب على النصاري شهيد
فاكتست منه بالصليب الذي ما كان إلا رمز الهلاك الأبد :
لا رجاء لها بأن يُبعث الموتى ولا مأمل لها بالخلود !
ويل جيڪور ؟ أين أيامها الخضر وليلات صيفها المفقود ؟

(١) جيڪور ، قرية الشاعر في جنوب البصرة .

والعشاءُ السخّيّ في ليلة العرس وتقبيلة العروس الودود
وانتظارُ له على الباب ؟ .

- « محمود ، تأخرت يا أبا محمود

نادِ محمود ! »

ثم يوفي على الجمعِ بمنديل عرسه المعقود
نقطته الدماء يشهدن للخدر بعذراء ، يا لها من شهود (١)
لا على العقم والرّدى ، بل على الميلاد والبعث والشباب الجديد !
أيّ صوت يصيح : « محمود ، محمود تأخرت ! » كالنواح البعيد ؟
أين محمود ؟ ليس محمود في الدار ولا الحقل !

يا أبا محمود

نادِ محمود . كاد أن يهتف الديكُ وما زال جمعنا في الوصيد
قل له يُبرز الدماءَ فأنّا في انتظار لها وشوق مبيد !
ذر نجمُ الصباح . محمود ، محمود ، أقبلت بالدم المنشود ؟
أي جرح ينزّ منه الدم الموار في باب دارك المرصود ؟
إنه منك ! منك هذا الدم الثرّ ومن جانب العروس القديد !

(١) من التقاليد التبعة في الريف العراقي أن يبرز العريس في ليلة العرس
مندبلاً ملطخاً بالدماء يشهد على أن العروس عذراء !

الصليب، الصليب! إنتا رأيناك وقد مرّ كالخيال الشرود،
قد رأيناك في الصباح. وفي الليل سمعنا كقعقات الرعود .
أهو هذا الذي يريدون ؟ أشلاءً وأنقاضَ منزل مهدود ؟
أفما قامت الحضارات في الأرض كعنقاءَ من رماد اللحود؟
لا ولم تُفرخ العقولُ على المجهول يسبرنَ فيه غورَ الوجود!
أو يشقُّ العُبابَ قلعٌ يصكُّ الرّيحَ صكاً إلى البعيد البعيد؟
أو يلمّ النسيمَ عقداً من النور ويذروه باقية من ورود
ساحرٍ فجّر المدى عن مدى ملآن باللحن مُترعٍ بالنشيد؟
أوتدقّ الأجراس: «يا أرض»، يا بشر الك بالحبّ والمسيح الوليد؟
لا ولم يُختم الزجاج على كل «هرقل»^(١) من العقار الأكيد
بخلق الموتَ كلما همّ بالناس ويحتاج كاسرات الأسود ؟
لا ولا قيسَ بعدما لفّه الليل من الأرض واحتوى من حدود
بالذي قاس حافة الساعةِ القوراء في قرصها ذراعاً حديد؟
أويفضّ الظلام؟ - الا لكي تندك «جيكور» بالسلاح الجديد؟
كي يراها على اتساع المدى والشأور من ليس طرفه بالحديد؟
(١) هرقل الجبار . خنق الموت وذلل الأسود الكامرة .

من وراء المحيط والليل والغابات والبيد والذرى والسدود!
أين من شال «جين» أطهار «كلثوم»؟ وأن الغضا من الأبركيد؟
فيم أسرى صحاب «جين» المغاوير إلى زوج «كلثم» المنكود؟
يا رماداً تذرّه الزعزع الشعثاء في مقلة القمير الوحيد ،
أنت «جيكور» كل جيكور: أحداق العذارى وباسلات الزنود
والرؤوس التي حثا فوقهنّ الدهر ما في رحاء من تنكيد:
صرّد القمح من نثار لها اللون ، ولم تحظَ بالرغيف الوثيد
فهي صحراء تزفر الملح آهات وشكوى ، لمائها المبرؤود !
خورس^(١) :

شيخ اسمُ الله .. ترللا

قد شابَ ترلّ ترلّ ترارِ .. وما هلاّ

ترلل .. العيد ترللا

ترللا .. عرس «حمادي» ،

زغردن ترلّ ترلّلا

(١) يعني الخورس اغنيّتين عراقيتين شعبيتين : (شيخ اسم الله) نبات
كالخلفاء تؤكل أزهاره وهي في براعمها ، وتتفتح عن سنابل تشبه الرؤوس
التي شابت .

الثوب من الريز ... تركلاً والنقشُ صناعةُ بغدادَ

إنها الريح! فاملئي الريح يا جيكور بالضحك أو نثار الورود!
قطب الصمتُ حيث كانت أغانيك، وحيث العبير قتن الصديد.
جاء قرنٌ وراح والمدن في ضوضاء، ما زلن من حساب النقود،
ضاع صوتُ الضعاف فيها وآهات النبيّين وابتهاال الطريد
واستحال الفضاء — من ضجة الآلات فيها ومن لهاث العبيد —
غير هذا الفضاء : شيئاً لغير الآدميين — ربما للقروء ...
ربما للذئاب والدود والأدنى من الدود في الحضيض البليد !
ظلّ ذاك الضجيج كالجيفة الحبلى بما ليس غير عقم الولود ،
ثمة التّمّ في كرات من النار ... فألقى عليك صمت اللحود !
لا عليك السلام يا عصر «تعبان بن عيسى» وهنت بين العهود !
ها هو الآن فحمة تنخر الديدانُ فيها فتلتظي من جديد :
ذلك الكائن الخرافيّ في جيكور، «هومير»^(١) شعبه المكدود

(١) هومير الشاعر الاغريقي الأعمى .

جالس القرفصاء في شمس آذار وعيناه في بلاط « الرشيد » ،
يمضغ التبغ والتواريخ والأحلام ، بالشدق والخيال الوئيد
ما تزال « البسوس » محموعة الخيل لديه ، وما خبا من « يزيد »
نار عينين ألقتهما على « الشمر »^(١) ظلالاً مذبجات الوريد !
كلما لزّ شمره الخيل أو عرّى أبو زیده^(٢) التحام الجنود
شدّ راحاً وأطلق المغزل الدوّار يدحوه للمدار الجديد !
وانتهى من حديثه الضخم عن ضخّم من الغزل ، وانتهى من قعود
نصف عريان يسحب الطرف عن صدر تعرى وعن قميص فقيد
غير بقيا على فمٍ دقّ حتى عن فم العنكبوت ، في رأس عود :
منزلٌ ينقض الذي حاكه النول ، وجهد أضع شتى جهود
فهو كدّ وليس بالكدّ ، أردى قبله اثنين وادعى بالمزيد -
حاضر غير حاضر ، منه للماضي فناء وللغد الموعود !
لا عليك السلام يا عصر تعبان بن عيسى وهنت بين العهود
أنت أيتمت كل روح من الماضي ، وسوّدت آلة من حديد
تسكب السم واللظى لا حليب الأم أو رحمة الأب المفقود

(١) الشمر قاتل الحسين ، وتصوره القصص مرتدياً ثياباً حمراء اللون .

(٢) أبو زيد الهلالي .

سَلِّمْ فِي الْحُضِيضِ أَعْلَاهُ - مَرْقَاهُ انْخِفَاضٌ وَإِنْ بَدَأَ كَالصُّعُودِ
حَدَّثَتْ مِنْهُ فِي الْوَرَى مَقَلَّتَا «فُوكَاي» تَسْتَشْرِقَانِ أَيَّامَ «هُود»
وَالْمَسِيحَ الْمَبِيعَ بَخْسًا بِمَا لَوْ بَاعَ لَحْمًا لِنَاءٍ عَنْ تَسْدِيدٍ !
حَدَّثَنِي حَيْثُ شَتَّ ، يَا عَيْنَ فُوكَايِ الْمَدْمَمَةِ ، مِنْ مَدَاكِ الْمَدِيدِ !
فَهِيَ سَوْقُ تُبَاعٍ فِيهَا لَحُومُ الْآدَمِيِّينَ دُونَ سَلْخِ الْجُلُودِ :
كُلُّ أَفْرِيْقِيَا وَآسِيَةِ السَّمَرَاءِ ، مَا بَيْنَ زَنْجِهَا وَالْهُنُودِ
وَأَشْتَرَى لَحْمَ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّادَ تَجَارَ تَبِيعَهُ لِلْيَهُودِ !
هَكَذَا قَدْ أَسَفْتُ مِنْ نَفْسِهِ الْإِنْسَانَ وَانْهَارَ كَانْهِيَارِ الْعُمُودِ
فَهُوَ يَسْعَى وَحَلْمَهُ الْخَبْزَ وَالْأَسْمَالَ وَالنَّعْلَ وَاعْتَصَارَ النَّهْودِ !
وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ ^(١) بِالتَّأْوِيلِ ، كَأَنَّ ذُو نَقُودٍ !

(١) قَالَ الْعَرَبِيُّ : وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ .

تموز جيڪور

- ۱ -

نابُ الحنْزير يشقُّ يدي
ويغوص لظاه إلى كبدي ،
ودمي يتدفقُ ، ينسابُ :
لم يغدُ شقائقُ أو قمحا
لكنْ ملحاً .

« عشتار » .. وتحققُ أثوابُ
وترفٌ حياليّ أعشابُ
من نعلٍ يخفق كالبرق
كالبرق الخلب ينسابُ .
لو يومض في عِرقي

نورٌ ، فيضيء لي الدنيا !
لو أنهض ، لو أحيا !
لو أسقى ! آه لو أسقى !
لو أن عروقي أعناب !
وتقبل ثغري عشتار ،
فكان علي فيها ظلمه
تنثال علي وتنطبق ،
فيموت بعيني الألق
أنا والعُثمه ...

٢

جيكور .. ستولد جيكور
النور سيورق والنور .
جيكور ستولد من جرّحي ،
من غصّة موتي ، من ناري ؛
سيفيض البئدر بالقمح ،
والجرن سيفضحك للصبح ،

والقرية داراً عن دارٍ
تتاوج أنغاماً حلواه ،
والشيخ ينامُ على الربوه ؟
والنخل يوسوس أسرارى .
جيكور ستولد .. لكنسى
لن أخرجَ فيها من سجنى
في ليل الطين الممدودِ
لن ينبض قلبي كاللحنِ
في الأوتارِ ،
لن يخفقَ فيه سوى الدودِ .

٣

هيهات . أتولد جيكورُ
إلا من خضة ميلادي ؟
هيهات . أينبثقُ النورُ
ودمائي 'تظلم في الوادي ؟
أيسقسقُ فيها عصفورُ

ولساني كومة' أعوادِ ؟
والحقل ، متى يلد القمح
والورد ، وجُرْحِي مغفور'
وعظامي ناضحة' ملحاً ؟
لا شيء سوى العدم العدم ،
والموت' هو الموت' الباقي .
يا ليل' أظِلْ مسيلَ دمي
ولتغدُ' تراباً أعراقي ؟
هيهات . أتولد جيکور
من حقد الخنزير المدثر بالليل
والقبيلة بُرعمة' القتل
والغيمة' رمل' منشور'
يا جيکور ؟

جيكور والمدينة

وتلتفُ حولي دروب المدينه :
حبالاً من الطين يعضن قلبي
ويعطين ، عن جمرة فيه ، طينه ،
حبالاً من النار يجلدن عُريّ الحقول الحزينه
ويحرقن جيكور في قاع روعي
ويزرعن فيها رماد الضغينه .
دروبٌ تقول الأساطير عنها
على موقدٍ نام : ما عاد منها
ولا عاد من ضفّة الموت ساري ،
كأن الصدى والسكينه

جناحا أبي الهول فيها، جناحان من صخرةٍ في ثراها دفينه .
فمن يفجر الماءَ منها عيوناً لتُبني قرانا عليها ؟
ومن يرجع الله يوماً إليها ؟

وفي الليل ، فردّوسها المستعادِ ،
إذا عرّش الصخرُ فيها غصونه
ورصّ المصابيحَ تُفاحَ نارٍ
ومدّ الحوانيتَ أوراقَ تينهِ ،
فمن يُشعل الحبَّ في كل درب وفي كل مقهى وفي كل دار؟
ومن يُرجع المِخلَبَ الآدميَّ يداً يمسح الطفلُ فيها جبينه ؟
وتخضلُّ من لمسها ، من ألوهية القلب فيها ، عروق الحجار؟
وبين الضُّحى وانتصافِ النهار :
إذا سبّحت باسم ربّ المدينة
- بصوت العصافير في سدره يخلق الله منها قلوب الصغار -
رحى معدنٍ في أكفّ التجار
لها ما لأسمائك جيّكوز من لمعةٍ واسمها من معانٍ كثار ،

فمن يسمع الروح؟ من يبسط الظلّ في لافحٍ من هجير النضار؟
ومن يهتدي في بحار الجليد اليها فلا يستبيحُ السفينه؟
وجيكور، من غلّقت الدور فيها - وجاء ابنها يطرق
الباب - دونه؟

ومن حوّل الدرب عنها.. فمن حيث دارٍ اشترأبت اليه المدينه؟
وجيكور خضراءُ مسّ الأصيل ذرى النخل فيها
بشمس حزينه .

يمدّ الكرى لي طريقاً اليها :
من القلب يمدّ، عبرَ الدهاليز عبر الدجى والقلاع الحصينه..
وقد نام في بابلَ الراقصون
وقام الحديدُ الذي يشحذونه ،
وغشّى، على أعين الخازنين، لهاثُ النضار الذي يحرسونه :
حصادةِ المجاعات في جنتيها .
رحىً من لظى مرّ دربي عليها ،
وكرم من عساليجه العاقراتُ شرايينُ تموزَ عبرَ المدينه،
شرايين في كل دارٍ وسجنٍ ومقهى

وسجنٍ وبارٍ وفي كل ملهى
وفي كل مستشفيات المجانين ...
في كل مبيعٍ لعشطار ..
يُطلعنَ أزهارهنَّ الهجينه ؛
مصاييحَ لم يُسرج الزيتُ فيها وتمسسه نار
وفي كل مقهى وسجن ومبيع ودار :
« دمي ذلك الماء ، هل تشربونه ؟
ولحمي هو الخبز ، لو تأكلونه ! »
وتموز تبكيه لالة الحزينه .

ترفع بالنواح صوتها مع السَّحَرُ
ترفع بالنواح صوتها ، كما تنهد الشجر
تقول : « يا قطار ، يا قدرُ
قتلتَ - إذ قتلته - الربيعَ والمطرُ » .
وتنشر (الزمان) و (الحوادث) الخبز^(١) .
ولالة تستغيث بالمضمد ، الحفرُ

(١) واضح ان « الزمان » و « الحوادث » جريدتان .

أن يُرجِعَ ابنها : يديه ، مقلتيه ، أيّها أثر !
وترسل النواح : « يا سنابل القمر »
دم ابني الزجاجُ في عروقه انفجر ..
فكهرباءُ دارنا أصابت الحجرُ
وصكته الجدارُ ، خضته ، رماه لحة البصر .
أراد أن يُنير ، أن يبدّد الظلام .. فاندحر
وترسل النواح ...
ثم يصمت الوتر .

وجيكور خضراء
مسّ الأصيل
ذرى النخل فيها
بشمسٍ حزينه .
ودربي إليها كومض البروق ،
بدا واختفى ثم عاد الضياء فأذكاه حتى أثار المدينة
وعرّى يدي من وراء الضّهاد كأن الجراحات فيها حروق .

وجيكور من دونها قام سور^١
وبوابة^٢

واحتوتها سكينه .

فمن يخرق السور؟ من يفتح الباب؟ يدمي على كل قفل يمينه؟
وُيُنْاي : لا مْخْلِبُ للصراع فاسعى بها في دروب المدينه
ولا قبضة^٣ لابتعاث الحياه من الطين ..
لكنها محض طينه .

وجيكور من دونها قام سور^١
وبوابة^٢

واحتوتها سكينه .

العودة لجيكور

على جواد الحُلُم الأشهبِ
أسريتُ عَبرَ التلالِ
أهرب منها ، من ذُرَها الطوالِ ،
من سوقها المكتظَ بالبائعينِ ،
من صبحها المتعبِ
من ليلها النَّابِجِ والعابرينِ ،
من نورها الغَيبِ ،
من ربها المغسول بالخمرِ ،
من عارها الخبوء بالزهرِ ،
من موتها الساري على النهر^(١)

(١) كان المسيح ، في عهده ، هو الذي مشى على الماء .

يمشي على أمواجه الغافية .
أواه لو يستيقظ الماء فيه ،
لو كانت العذراء من وارديه ،
لو أن شمس المغرب الدامية
تبتل في شطيه أو تشرق ،
لو أن أغصان الدجى تورق
أو يوصد الماخور عن داخله .

٢

على جواد الحلم الأشهب
وتحت شمس المشرق الأخضر
في صيف جيکور السخي الثري
أسريت أطوي دربي النائي
بين الندى والزهر والماء
أبحث في الآفاق عن كوكب (١)

(١) ... وبزغ كوكب عرف منه الجوس ان المخلص قد ولد .

عن مولد للروح تحت السماء
عن منبع يُروي لبيب الظماء
عن منزلٍ للسائح المتعبِ .

٣

جيكور ، جيكور : أين الخبزُ والماءُ ؟
الليل وافى وقد نام الادلاءُ ؟
والركبُ سهرانُ من جوعٍ ومن عطشٍ
والريح صرَّ ، وكل الأفق أصداءُ .
بيداءُ ما في مداها ما يبين به
دربُ لنا وسماء الليل عمياءُ
جيكور مدِّي لنا باباً فندخله
أو سامرينا بنجم فيه أضواء !

٤

من الذي يسمع أشعاري ؟
فان صمت الموت في داري

والليلَ في ناري .

من الذي يحمل عبء الصليب
في ذلك الليل الطويل الرهيب ؟
من الذي يبكي ومن يستجيب
للجائع العاري ؟

من يُنزل المصلوبَ عن لَوَحِهِ ؟
من يطرد العقبان عن جرحه ؟
من يرفع الظلماء عن صبحه ؟
ويُبدل الأشواكَ بالفار^(١) ؟
أواه يا جيکور لو تسمعين !
أواه يا جيکور .. لو توجدين !
لو تنجين الروح ، لو تجهضين
كي يُبصر الساري
نجماً يُضيء الليلَ للتائهين .

(١) وألبسوا المسيح تاجاً من الشوك .. سخريّةً به .

تَزْعُ وَلَا مَوْتُ ،
نُطْقُ وَلَا صَوْتُ ،
طَلْقُ وَلَا مِيلَاد .

من يصلب الشاعرَ في بغداد ؟
من يشتري كَفَّيْهِ أو مُقْلَتَيْهِ ؟
من يجعل الاكليلَ شَوْكًا عليه ؟
جِيكُورُ يا جِيكُورُ
شدَّتْ خيوطُ النورِ
أرجوحةَ الصُّبْحِ .
فأولمي للطيور
والنملِ من جُرْحِي .

هذا طعامي أيُّها الجائعون
هذي دموعي أيُّها البائسون
هذا دعائي أيُّها العابدون :
أن يقذف البركانُ نيرانَه ،

أن يُرسل الفرات طوفانه ،
كي تُشرق الظلمه ،
كي نعرف الرحمه ؛
جيكور يا جيكور
شدت خيوط النور
أرجوحة الصبح
فأولمي للطيور
والنمل من جرحي !

٦

هذا حراثي^(١) حاكت العنكبوت
خيطة إلى باب
يهدي إلى الناس إني أموت
والنور في غابه
يلقي دنائير الزمان البخيل

(١) حراء ، الفار الذي هبط فيه الوحي على النبي محمد . حين هاجر النبي
إلى المدينة اختبأ - والشركون جادون في أثره - في غار حاكت العنكبوت
بيتها على باب فبدا مهجوراً ولم يهتمد الشركون إلى غيباً محمد .

من شرفةٍ في سعفات النخيل .
جيكور ، يا جيكور : خلّ وماء
ينساب من قلبي ،
من جُرْحِي الواري ،
من كل أغواري .
أواه يا شعبي ...
جيكور ، يا جيكور هل تسمعين ؟
فلتفتح الأبواب للفاتحين
ولتجمعي أطفالك اللاعبين
في ساحة القرية . هذا العشاء .
هذا حصاد السنين :
الماء خمر^(١) ، والخوابي غذاء^(١)
هذا ربيع الوباء .

(١) .. وأحال المسيح الماء إلى خمر فشرب الحاضرون .

أقوى من الأسوار هذا الجواد
 « أقوى جواد الحُلُمِ الأشهب »
 لأن الحديد المغتذي بالحديد
 واتخذل الموكب .

جيكور ، ماضيك عاد .

.

هذا صباح الديك : ذاب الرقاد
 وعدت من معراجي الأكبر :
 الشمس أم السنبُل الأخضر
 خلف المباني ، رغيف .

لكنها في الرصيف
 أغلى من الجوهر .

والحُب : « هل تسمعين
 هذا الهتاف العنيف ؟

ماذا علينا ؟ إن عبد اللطيف (١)

(١) اقرأ مذكراتي «كنت شيوعياً» المنشورة في جريدة الحرية العراقية.

يدري بأننا ... ما الذي تحذرين ؟
وانخطفت روعي ، وصاح القطار
ورقرقت في مقلتي الدموع
سحابة تحملني ، ثم سار .
يا شمس أيامي ، أما من رجوع ؟
.....
جيكور ، نامي في ظلام السنين .

رؤيا في عام ١٩٥٦

حطت الرؤيا على عيني صقراً من لهيب :
انها تنقض ، تجتث السواد
تقطع الأعصاب تمتص القذى من كل
جفن ، فالمغيب
عاد منها توأماً للصبح - أنهار المداد
ليس تطفئ غلة الرؤيا : صحارى من نحيب
من جحور تلفظ الاشلاء ، هل جاء المعاد ؟
أهو بعث ، أهو موت ، أهني نار أم رماد ؟
أيها الصقر الالهي الغريب
أيها المنقض من أولب في صمت المساء

رافعاً روعي لأطباق السماء
رافعاً روعي - غنيميدا^(١) جريحا ،
صالباً عينيّ - تموزاً ، مسيحاً ،
أيها الصقر الإلهي ترفق
إن روعي تتمزق ،
إنها عادت هشيماً يوم أن أمسيت ريحا .

في غيمة الرؤيا
يوم بلا ميعاد
جنكيز هل يحيا
جنكيز في بغداد ؟
عينٌ بلا أحفان
تمتدّ من روعي
شوقٌ بلا أسنان

(١) غنيميد راع يوناني شاب وقع زيوس كبير آلهة الاولمب الاغريقي في حبه ، فارسل صقراً اختطفه وطار به اليه .

ينداح في الريح
يعوي : أنا الإنسان .

٢

يا جواداً راكضاً يعدو على جسمي الطريح
يا جواداً ساحقاً عيني بالصخر السنابك
رابطاً بالأربع الأرجل قلبي
فاذا بالنبض فقرّ للدرايك
وإذا بالنار دربي .

سحّت الرؤيا ضياء من لظاها
صابغاً ما تبصر العين القريح
مازجاً بالشيء ظله
خالطاً فيها يهوذا بالمسيح ،
مدخلاً في اليوم ليله
بانياً في عروة المهد الضريح
الدماء
الدماء

الدماء

وحدت بالمجرمين الأبرياء ،

نصبت في شدقي الذئبة كرمي القضاء ،

ماذا جنى شعبي ؟

حلت به اللعنه

من زاده المحنه ،

رحماك يا ربي .

من مائه الديدان

من لبسه الأكفان

من طيره الغربان

ينقرن في قلبي .

واليوم في بيدري

لم يبقَ من حيي

شيءٌ - هنا حبتان

فأمطري أمطري

وإن يكن نيرانٌ .

وأثري أثري
وإن يكن ثعبان .

٣

ما الذي يبدو على الأشجار حولي من ظلال ؟
منجلٌ يَحْتِثُ أعراق الدوالي
قاطعاً أعراق تموز الدفينه .
وعلى القنّب أشلاء حزينه :
رأس طفلٍ سابح في دمه
نهد أمٍ تنقر الديدان فيه ، في سكينه ،
أي آهٍ من دمٍ في فمه ؟
ما الذي ينطف من حلمته ، من لحمه ؟
يا حبال القنّب التفّي كبحيات السميرِ
واخنقي روحي وخليّ الطفل والأم الحزينه ؟
يا حبالاً تسحب الموتى إلى قبرٍ كبيرِ
— جفنةٍ قد هبّأوها للوليمه —
يا حبالاً تسحب الأحياء — من شيخٍ كبيرِ ،

من فتاةٍ أو عجوزٍ ، من ضلوعٍ حطموها
علقت فيها تيمه ،
من صدورٍ مزقوها ،
زرعوا فيها بذوراً من رصاصٍ ، من حديد .
ما الذي تثمر هاتيك البذور
غير أحجار القبور ؟
غير تفاح الصديد ؟

٤

تموز هذا ، أتيس^(١)
هذا ، وهذا الربيع .
يا خبزنا يا أتيس ،
أنبت لنا الحب وأحيي اليبيس .
إلتأم الحفل وجاء الجميع

(١) أتيس يقابل تموز الإله البابلي عند سكان آسيا الصغرى القدماء .
يحتفل بعيدة في الربيع ، حيث يربط تمثاله على ساق شجرة . وحين تبلغ الحمية
أرجها عند أتباعه وعابديه ، يجرحون أنفسهم بالسيوف والمضى حق تسيل
دماؤهم قربانا دلالة الخصب .

يقدمون النذور ،
يحيون كل الطقوس
ويبذرون البذور
سيقان كل الشجر
ضارعة ، والنفوس
عطشى تريد المطر
شدوا على كل ساق
يا رب ، تمثالك
فلتسق كل العراق
فلتسق فلاحيك ، عمالك
شدوا على كل ساق
أواه ، ما شدوا ؟
أواه ، ما سمروا ؟
أغصان زيتوننا أثقلها الورد
ورد الدم ، الأحمر .

شدوا على كل ساق
يا رب تمثالك
فاسمع صلاة الرفاق
ولترع فلاحيك ، عمالك
تمثالك البعل
تمثالك الطفل
تمثالك العذراء
تمثالك الجانون والأبرياء
تمثالك الأمّ الشهابية ،
لأنها ليست شيوعيه
يقطع نهذاها
تسمل عيناها ،
تصلب صلباً فوق زيتونه ،
تهزها الريح الجنوبيه .
تمثالك الآلاف ، مجنونه
من رعبها ، تمثالك الأحمر

كَأَنَّهُ الشَّقِيقُ^(١) إِذْ يُزْهَرُ .

٥

عَشْتَارُ^(٢) عَلَى سَاقِ الشَّجَرِ

صَلَبُوهَا ، دَقُّوا مَسَارًا

فِي بَيْتِ الْمِيلَادِ - الرَّحِيمِ .

عَشْتَارُ بِحَفْصَةٍ^(٣) مُسْتَرَةٍ

تَدْعَى لَتَسُوقِ الْأَمْطَارِ

تَدْعَى لَتُسَاقَ إِلَى الْعَدَمِ .

عَشْتَارُ الْعِذْرَاءِ الشَّقْرَاءِ مَسِيلُ دَمٍ

صَلُّوا .. هَذَا طَقْسُ الْمَطَرِ

صَلُّوا .. هَذَا عَصْرُ الْحَجَرِ

صَلُّوا ، بَلْ أَصْلُوهَا نَارًا .

تَمُوزُ تَجَسَّدَ مَسَارًا

مِنْ حَفْصَةٍ يَخْرُجُ وَالشَّجَرِ .

(١) فِي الْأَسَاطِيرِ الْبَابِلِيَّةِ أَنَّ دَمَ تَمُوزَ الْقَتِيلِ أَصْبَحَ شَقَائِقَ .

(٢) إِلَهَةُ الْخَصْبِ وَالْحُبِّ عِنْدَ الْبَابِلِيِّينَ وَهِيَ حَبِيبَةُ تَمُوزَ .

(٣) حَفْصَةُ إِحْدَى شَهِيدَاتِ مَذْبَحَةِ الْمَوْصِلِ .

النهد الأعذرُ فاض ليطعم كل فم -
خبزَ الألم .

« الأقة » ، صاح القصابُ ،

« من هذا اللحم بفلسين » ،

إقطع من لحم النهدين -

اللحم لنا ، والأثواب -

ستكون لمسح السكينة

من آثار دم الأطفال -

من آثار دم المسكينة

فلتحي زنود العمال .

في قلبي دمدم زلزال

فجنائن بابل تندثر ،

في قلبي يصرخ أطفال ،

في قلبي يخنق القمر .

الظلمة تعبس في قلبي

والجو رصاص

والريح تهبُّ على شعبي
والريح رصاص
أواه لقد هجم التتر
فالصبح رصاص
والليل رصاص .

٦

الرؤيا تلمح كالقلم
في بحر يُزبد غضباناً ،
طوراً للاغوار وأحياناً
يعلو فنراه ، وفي سمعي
أصداء تصمت أو تعلو ،
وبياني يغمض أو يحلو :

أي حشد من وجوهٍ كالخات ،
من أكفٍ كالتراب
نبتها الآجرّ والفولاذ كالأرض اليباب ؟
أي حشدٍ من ذئاب ؟

يطعمون الجوع ربح العمل ؟
أي نعش ، أي شكوى ، أي دمع من نساء ثاكلات ؟
أي جمع من عذارى نادبات
أي موتٍ مشكل
يا لعشاراتنا يبكين تموز القتل .

العارز قام من النعش —
شخنوب^(١) العازر قد بعثا
حيث يتقافز أو يمشي .
كم ظلّ هناك وكم مكثا .
أترى عاماً أم عامين ؟
أم دامت ميته ساعه ؟
شخنوب العامل ، من راعه ؟
فتنكر للدينارين
وتواثب يركض مذعوراً ؟
الموت الزائف خاتمة

(١) العازر الميت الذي أحياه المسيح من قبره . وشخنوب هو عامل
السمنت الذي استأجره الفريسيون ، فتظاهر بالموت وحملوه في النعش تشهيراً
بالجيش « الذي يقتل العمال » كما قالوا ، ثم قام ماشياً حين سقط النعش .

لحياة زائفة مثله ،
والبعث الزائف عاقبة^٢
للموت الزائف من قبله .

٧

ولفني الظلام في المساء^٣
فامتصت الدماء
صحراء^٤ نومي 'تنبت الزهر'^٥ ؛
فإنما الدماء
توائم المطر .

قارو، الدم

أنا أيها الطاغوت مقتحم الرّجاج على الغيوب
أبصرت يومك وهو يآزف

هذه سحب الغروب

يتوهج الدم في حفافها وتنتثر في الدروب
شفق البنفسج والورود ولون أردية الضحايا
فتشعّ أعمدة عوابس ، والرصيف من الصبايا
والنسوة المتهامسات كحقل قمح ، والسطوح
كأن بابل أودعتها من جنائنها بقايا

لو أن غرساً كان من بشر ، وأسمع من يصيح
« هوذا يساق الى الحساب » كأن أعراق المغيب

قطعت فصاح ، كأن صوتاً على لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم - هواه ... - ا

إني شهدت سواك ينسفه اختناقٌ للصدورِ
بغليظها ، وسمعت قفقة الضحايا في القبورِ
ودم الحوامل وهو تشربه الأجنة في دجاها
فسمعت وقع خطاك خائفة تجر إلى السعيرِ
حطام جسمك ، والسعير مدى تراها
تحتز من قصبات صدرك ثار كل دم العصور ؛
إني أكلت مع الضحايا في صحاف من دماء ،
وشربت ما ترك الفم المسلول منه على الوعاء ،
وشممت ما سلخ الجُذام من الجلود على ردائي
ونشقت ماء جوارب السجناء في نفس الهواء
فشممت فيه دخان دارك واحتراق بنيك فيها
وشواء لحم بنيك ، لولا أن شيمة محرقها
ألا يذوق الأبرياء جزاء غير الأبرياء

إني شبيت مع الجياع ، مع الملايين الفقيره
فعرفت أسراراً كثيره :
كل اختلاجات القلوب وكل ألوان الدعاء :
إغضاءة المقل الضريه
يتطلع الدم في ظلام جفونهنّ إلى الضياء ،
والحاملات نذورهن إلى قبور الأولياء
الموقدات شموعهنّ تلقّ ألسنها الكثيره
كسر الرغيف ويعتصرون دم الثديّ إلى الدماء
وتأوّه المستنقعات وزفة البرديّ فيها
وطنين أجنحة البعوض كأن غرقى ساكنيها
يتنفسون من القرار ويضرعون إلى السماء
أن ينجو الأطفال من غرق وحمى في الهواء
وملأه الأكواخ تشرب كل أمطار الشتاء
حتى تغص بها فلقصب النقيع بكل ماء
شهقات محتضر يُغرّ وإن تقياً بالدواء ،
وتنهد الأشجار عطشى يابسات في الظهيره

تتكسر الورقات فيها والمناكير الصغيره ،
فكأن مقبرة الهجيره
تمتصُّ من رحم الحياة لتسقي الموتى عصيره .

أنا قارئ الدم لا تراه وأنت أنت المستريح ،
أفلس تجرؤ ان تحرق فيه علك تستريح
من ازدياد دمٍ 'تذر' على جفونك منه نار
لزوج يسلم مع الرقاد كأن بؤبؤك الذبيح
قابيل حدق في دماء أخيه أمس .
وأنت يأخذك الدوار

من رؤية الدم وهو ينزف ثم يركد فالغبار
من تحته كقم الرضيع له اختلاج وافتزار
أتخاف ان تطأ النبوة مقلتيك « هو الدمار »
أتخاف منها أن تفرّ كأن سرب قطا يثار
فأنت من هلع تجنّس إلى المشاش « هو الدمار »
إني خبرت الجوع يعصر من دمي ويمصّ مائي

وعرفت ما قلق الطريد يكاد كل فم ورائي
يعوي بـ « ها هوذا » وتوشك كل عين ألتقيها
أن يومض اسمي في قرارتها وجهلي بالدروب
ولست أسأل عابريها عن بعيد عن قريب
من منتهاها واكتئابي والحنين مع الغروب
وتوقع المتعقبين خطاي أحسب في صداها
وقع الخطى وأكاد ألتفت التفاتة مُستريبٍ
ألا تشدّ يدٌ على كتفي ، وأوشك أن أراها .
أعرفتَ ذاك ؟ فسوف تعرف منه دنيا في مداها
تصطفّ أعمدةٌ عوابسٌ ثم تسمع من يصيحُ
« هوذا يساق إلى الحساب » كأنما اطرّحت رداها
جثثُ القبور ، كأن صوتاً من لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم : هوا ... ه !

ثعلب الموت

كم يُمضُ الفؤادَ أن يُصبح الإنسانَ صيداً لرمية الصياد ؟
مثل أيّ الظباءِ ، أيّ العصافير ، ضعيفاً
قابلاً في ارتعادة الخوف ، يختصُّ ارتباعاً ، لأنّ ظلّاً مخيفاً
يرتمي ثمّ يرتمي في اتّئادٍ .

ثعلبُ الموت ، فارسُ الموت ، عزرائيل يدنو ويشحذ
النّصلَ . آه

منه آه ، يصكُّ أسنانه الجوعى ويرنو مهدّداً . يا إلهي
ليت أنّ الحياة كانت فناء
قبل هذا الفناء ، هذي النّهاية ،
ليت هذا الحتمَ كان ابتداءً .

واعذاباه ، إذ ترى أعينُ الأطفالِ هذا المهدّدَ المستبيحا ،
صابغاً بالدماء كفتّيه ، في عينيه نارٌ وبين فكّيه نارٌ .
كم تلوّتْ أكفّهم واستجاروا ،
وهو يدنو .. كأنّه احتثّ ربحاً ،
مستبيحاً ،

مستبيحاً ، مهدّداً ، مستبيحاً .
مَنْ رآها ، دجاجةَ الريف ، إذ يُمسي عليها المساءُ في بستانه؟
حين ينسلُّ نحوها الثعلبُ الفراس ، يا للصريف من أسنانه !
وهي تختضّ ، شلّتها الرعبُ ، أبقاها بحيثُ الردى —
كأنّ الدروبَ ..

.. استلّتها ماردٌ ، كأنّ النيوبا
سورُ بغداد موصد الباب ، لا منجى لديه ولا خلاصٌ يُنال .
هكذا نحن ، حينما يُقبل الصيادُ عزريل :
رجفةٌ فاغتيالٌ .

المبغى

بغداد (١) ؟ مبغىٌ كبيرٌ
(لواحظ المغنّيه
كساعةٍ تتكُ في الجدارِ
في غرفة الجلوس في محطة القطارِ)
يا جثةً على الثرى مستلقية
الدود فيها موجةٌ من اللهب والحريق .

. بغداد كابوسٌ : (ردى فاسدٌ

(١) كتبت في العهد المباد قبل ثورة سنة ١٩٥٨ .

يجرعه الراقدُ

ساعاته الأيام ، أيتامه الاعوام ، والعام نيرُ :
العام 'جرح' ناغرٌ في الضمير (

عيون المها بين الرصافة والجسرِ

ثقوب رصاصٍ رقتْ صفحة البدرِ ؛

ويسكب البدر على بغداد ؟

من 'ثقبني العينين شلاً' من الرماد :

الدور دارٌ واحده ،

وتعصر الدروب ، كالخيوط ، كلُّها

في قبضةٍ ماردة

تمطُّها ، تشلُّها ،

'تحيلها درباً الى الهجير' .

وأوجه الحسان كلُّهن وجه « ناهده »

(حبيبتي التي 'لعاها عسل' ،

صغيرتي التي أردافُها جبل

وصدرُها قُلل . (

ونحن في بغداد ؟ من طينِ
يعجنه الخزّافُ تمثالا ،
دنيا كأحلام المجانين
ونحن ألوانٌ على لجسّها المرتجّ أشلاءً وأوصالا

بالأمس كان العيد ، عيد الزهور :
الزادُ تحشوه الربى ، والخمور ،
والرقص ، والأغنيات
والحب ، والكركرات .
ثم انتهى الا بقايا طيور
تلتقط الحَبَّ ، وإلاّ دماء
مما نماه الحقلُ - طيرٌ وشاء -
وغير أطفال يطوفون أور :

— « العيد » ، من قال انتهى عيدنا ؟
فلتملاً الدنيا أناشيدنا
فالأرض ما زالت بعيداً تدور ..
بالأمس كان العيد ، عيد الزهور ،
واليوم ؟ ما نفعل ؟
نزرع أم نقتل ؟

أهذه بغداد ؟
أم أن عاموره
عادت فكان المعاد ؟
موتاً ؟ ولكنني في رنة الأصفاد ؟
أحسست .. ماذا ؟ صوت ناعوره
أم صيحة النشغ الذي في الجذور ؟

النهر والهوت

بُؤْيَبُ ...

بُؤْيَبُ ...

أجراسُ بُرجٍ ضاع في قرارة البَحَرِ .

الماء في الجرار ، والغروب في الشَّجَرِ

وتنضحُ الجرارُ أجراساً من المطرِ

بلثورها يذوب في أنينِ

« بُؤْيَبُ ... يا بُؤْيَبُ ! » ،

فیدلهم في دمي حنينِ

إليك يا بُؤْيَبُ ،

يا نهري الحزين كالْمَطَرِ .

أودُّ لو عدوتُ في الظلامُ
أشدُّ قبضتيَ تحملان شوقَ عامٍ
في كلِّ إصبعٍ ، كَأني أحملُ النذورَ
إليكِ ، من قمحٍ ومن زهورٍ ،
أودُّ لو أطلُّ من أسرةِ التلالِ
لألمحَ القمرَ
ينحوض بينَ ضفتيكِ ، يزرع الظلالَ
وعلاً السَّلالِ
بالماءِ والأسماكِ والزَّهرِ .
أودُّ لو أخوضُ فيكِ ، أتبعُ القمرَ
وأسمعُ الحصى يصلُّ منك في القرارِ
صليلَ آلافِ المصافيرِ على الشجرِ .
أغابةٌ من الدموعِ أنت أم نهرٌ ؟
والسَّمكُ الساهرُ ، هل ينام في السَّحَرِ ؟
وهذه النجومُ ، هل تظلُّ في انتظارٍ .
تطعمُ بالحريرِ آلافاً من الإبرِ ؟

وأنتَ يا بُويَّب ...
أودُّ لو غرقتُ فيكَ ، أَلِقِطُ المَহারِ
أَشِيدُ مِنْهُ دارُ
يُضيءُ فيها خُضْرَةُ المِياهِ والشَّجَرُ
ما تنضحُ النجومُ والقمرُ ،
وأغتدي فيكَ مع الجَزَرِ إلى البَحَرِ !
فالموتُ عالمٌ غريبٌ يفتنُ الصَّغارَ ،
وبأبه الخفي كان فيكَ ، يا بُويَّب ..

- ٢ -

بُويَّب .. يا بُويَّب ،
عشرون قد مضين ، كالدُّهور كلُّ عام .
واليوم ، حين يُطبقُ الظلامُ
وأستقرُّ في السرير دون أن أنام
وأرهبُ الضميرَ : دوحةٌ إلى السَّحَرِ

مرهفة الغصون والطيور والثمر -
أحسُّ بالدماء والدموع ، كالمطر
ينضحهنَّ العالمُ الحزينُ :
أجراس موتى في عروقي ترعشُ الرنينُ ،
فيدلهمُ في دمي حنين
إلى رصاصةٍ يشق ثلجها الزُّؤامُ
أعماقَ صدري ، كالبحيم يُشعلُ العظام .
أودُّ لو عدوتُ أغضد المكافحين
أشدَّ قبضتي ثم اصفعُ القدرَ .
أودُّ لو غرقتُ في دمي إلى القرار ،
لاحملَ العبءَ مع البشرِ
وأبعثَ الحياة . إنَّ موتى انتصار !

المسيح بعد الصلب

بعدهما أنزلوني ، سمعتُ الرياحُ
في نواحٍ طویلٍ تسفُّ النخيلُ ،
والخطى وهتّى تنأى . إذن فالجراحُ
والصليبُ الذي سمّروني عليه طوال الأصيلُ
لم 'تمتني' . وأنضتُ : كان العويلُ
يعبر السهلَ بيني وبين المدينة .
مثل حبل يشدّ السفينه
وهي تهوي إلى القابع . كان النواح
مثل خيط من النور بين الصباح
والدجى ، في سماء الشتاء الحزينه .

ثم تغفو ، على ما 'تحس' ، المدينه .

حينما يُزهر التوتُ والبرتقالُ ،
حين تمتدُّ « جيكور » حتى حدودِ الخيال ،
حين تخضرُ عُشباً يغني شذاها
والشموس التي ارضعتها سناها ،
حين يخضرُ حتى دجاها ،
يلمس الدفءُ قلبي ، فيجري دمي في ثراها .
قلبي الشمسُ إذ تنبضُ الشمس نورا ،
قلبي الأرض ، تنبض قمحاً ، وزهراً ، وماءً نيرا ،
قلبي الماءُ ، قلبي هو السنبُلُ
مَوته البعثُ : يحيا بمن يأكلُ .
في العجين الذي يستدير
ويُدحى كنهدي صغير ، كئدي الحياه ،
متُّ بالنار : أحرقت ظلماء طيني ، فظلَّ الإله .
كنتُ بدءاً وفي البدء كان الفقيرُ .

متُّ ، كي يؤكل الخبز باسمي ، لكي يزرعوني مع الموسم ،
كم حياةٍ سأحيا : ففي كل حفرة
صرتُ مستقبلاً ، صرت بذرة ،
صرتُ جيلاً من الناس : في كل قلبٍ دمي
قطرةٌ منه أو بعض قطره .

هكذا عدتُ ، فاصفرُّ لما رأيَني يهوذا ...
فقد كنت سرّاً .
كأن ظلاً ، قد اسودَّ ، منّي ، وتمثال فكره
'جمدت' فيه واستلّستِ الروحُ منها ،
خاف أن تفضح الموت في ماء عينيه ...
(عيناه صخره)

راح فيها يُواري عن الناس قبره (
خاف من دفنها ، من محالٍ عليه ، فخبّر عنها .
- « انتَ ! أم ذاك ظلي قد ابيضَّ وارفَضَ نورا ؟
أنت من عالم الموت تسعى ! هو الموتُ مرّة .
هكذا قال آباؤنا ، هكذا علمونا فهل كان زورا ؟ »

ذاك ما ظنّ لما رآني ، وقالته نظره .

قدمٌ تعدو ، قدمٌ ، قدمٌ
القبر يكاد بوقع خطاها ينهدمُ .
أترى جاءوا ؟ من غيرهم ؟
قدمٌ .. قدمٌ : قدمٌ
القيتُ الصخر على صدري ،
أو ما صلبوني أمس ؟ .. فها أنا في قبري .
فليأتوا - إني في قبري .
من يدري أني ... ؟ من يدري ؟؟
ورفاق يهوذا ؟ ! من سيصدق ما زعموا ؟
قدمٌ .. قدمٌ .

ها أنا الآن عريانٌ في قبري المظلم :
كنتُ بالأمس ألتفُّ كالظنِّ ، كالبرعم ،
تحت أكفاني الثلج ، يخضلُّ زهرُ الدم ،
كنتُ كالظلِّ بين الدجى والنهار -

ثم فجرتُ نفسي كنوزاً فمرَّيتها كالثمار .
حين فصلتُ جبي قهاطاً وكمي دثار ،
حين دفأتُ يوماً بلحمي عظامَ الصغار ،
حين عرَّيتُ جرحي ، وضمتُ جرحاً سواه ،
'حطمتُ السورُ بني وبين الإله' .

فاجأ الجندُ حتى جراحني ودقات قلبي
فاجأوا كلَّ ما ليس موتاً وإن كان في مقبره
فاجأوني كما فاجأ النخلة المثمره
سربُ 'جوعى من الطير في قريةٍ مقفره' .

أعينُ البندقيات يا كلنَ دربي ،
'شرع' تحلم النارُ فيها بصلي ،
إن تكن من حديدٍ ونارٍ ، فأحداقُ شعبي
من ضياء السماوات ، من ذكرياتٍ وحبٍ
تحمل العبءَ عني فيندى صليبي ، فما أصغره

ذلك الموت ، موتي ، وما أكبره !

بعد أن سمروني وألقيت عيني نحو المدينة
كدت لا أعرف السهل والسهل والمقبرة :
كان شيء ، مدى ما ترى العين ،
كالغابة المزهره ،
كان ، في كل مرمى ، صليب وأم حزينه .
قدس الرب !
هذا مخاض المدينة .

مدينة السندباد

جوعانُ في القبر بلا غذاءُ
عريان في الثلج بلا رداء
صرختُ في الشتاء :
أَقْضُ يا مطرُ
مضاجع العظام والثلوج والهباءُ ،
مضاجع الحَجَرِ ،
وأنبت البذورَ ، ولتفتَح الزَّهرُ ،
وأحرق البيادرَ العقيمَ بالبروقِ
وفجّر العروقِ
وأثقل الشجرَ .

وجئتَ يا مطرَ ،
تفجرتَ تنثك الساءُ والغيومُ
وُسَّقَّ الصخرُ ،
وفاض ؛ من هباتك ، الفراتُ واعتكرُ
وهبتِ القبورُ ، هزُّ موتها وقامُ
وصاحتِ العظامُ :
تبارك الاله ، واهبُ الدِّمِ المطرُ .
فآه يا مطرُ !
نودُّ لو ننامُ من جديد ،
نودُّ لو نموت من جديد ،
فنومنا براعمُ انتباه
وموتنا يخبيء الحياه ؛
نودُّ لو أعادنا الإله
الى ضمير غيبه المُلبَّد العميق ؛
نودُّ لو سعى بنا الطريق
الى الوراقِ ، حيث بدؤه البعيد .

مَنْ أَيْقَظَ « العازر » من رقاده الطويل ؟
ليعرف الصباح والأصيل
والصيف والشتاء ،
لكي يجوع أو 'يخس' جمرة الصدى ،
ويحذر الردى ،
ويحسب الدقائق الثقال والسراع
ويمدح الرعاع
ويسفك الدماء !
مَنْ الذي أعادنا ، أعاد ما نخاف ؟
مَنْ الإله في ربوعنا ؟
تعيش نارُه على شموعنا
يعيش حقدُه على دموعنا .

- ٢ -

أهذا أدونيس ، هذا الحواء ؟
وهذا الشحوب ، وهذا الجفاف ؟

أهذا أدونيس ؟ أين الضياء ؟

وأين القطاف ؟

مناجل ' لا تحصد ،

أزاهر ' لا تعقد ،

مزارع ' سوداء من غير ماء !

أهذا انتظار السنين الطويلة ؟

أهذا صراخ الرجولة ؟

أهذا أنين النساء ؟

أدونيس ! يا لاندحار البطولة .

لقد حطّم الموت فيك الرجاء

وأقبلتَ بالنظرة الزائغة

وبالقبضة الفارغة :

بقبضة تهدّد

ومنجل ، لا يحصد

سوى العظام والدم .

اليومَ ؟ والغدُ ؟

مقَى سيولد ؟

مقَى سنُولد ؟

- ٣ -

الموتُ في الشوارعِ ،

والعقم في المزارعِ ،

وكلُّ ما نحبّه يموتُ .

الماء قيّدوه في البيوتِ

وألهثَ الجداولَ الجفافَ .

همُّ التتارُ أقبلوا ، ففي المدى رُعافُ ،

وشمسنا دمٌ ، وزادُنا دمٌ على الصّحافِ .

محمّدُ اليتيمُ أحرّقه فالمساءُ

يضيءُ من حريقه ، وفارتِ الدماءُ

من قدميه ، من يديه ، من عيونهِ

وأُحرق الإله في جفونه .
محمد النبي في « حراء » قيّدوه
فسُمّر النهارُ حيث سمّروه .
غداً سيُصلب المسيح في العراق ،
ستأكل الكلابُ من دم البراق^(١)

— ٤ —

يا أيها الربيع
يا أيها الربيعُ ما الذي دهاك ؟
جئتَ بلا مطرٍ
جئتَ بلا زهرٍ ،
جئتَ بلا ثمرٍ ،
وكان منتهاك مثل مبتدأك
يلفّهُ النجيع ...

(١) الجواد الذي أمرى عليه النبي محمد من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى ، ليلة معراجهِ .

وأقبل الصيفُ علينا أسودَ الغيومِ
نهاره هموم ،
وليله نسهر فيه نحسب النجوم ؛
حتى إذا السنابلُ
نضجت للحصاد
وغنت المناجلُ
وغطت البيادر الوهاد ،
خيّل للجياع أن ربّة الزهر ،
عشتار ، قد أعادت الأسير للبشر ،
وكلّلت جبينه الغضير بالثمر ،
خيّل للجياع أن كاهل المسيح
أزاح عن مدفنه الحجر
فسار يبعث الحياة في الضريح
ويبرئ الأبرص أو يجدّد البصر ؟
من الذي أطلق من عقالها الذئاب ؟
من الذي سقى من الشراب ؟

وخبثاً الوباءَ في المطرُ ؟
ألموتُ في البيوت يُولدُ ،
يولد قابيلُ لكي ينتزعَ الحياه
من رَحِم الأرض ومن منابع المياه ،
فيُظلم الغدُ

وتُجهض النساء في المجازر ،
ويرقص اللهبُ في البيادر ،
ويهلك المسيحُ قبل العازر ؛
دعوه يرقدُ ،

دعوه فالمسيح ما دعاه !
ما تبتغون ! لحمه المقددُ
يُباع في مدينة الخطاه ،
مدينة الحبال والدماء والخمور ،
مدينة الرصاص والصخور !
أمس أزيح من مداها فارس النُحاس ،
أمس أزيح فارسُ الحجر ،

فران في سماءها النعاس
ورنق الضجر ،
وجال في الدروب فارس من البشر
يقتل النساء
ويصبغ المهود بالدماء
ويلعن القضاء والقدر !

٥

كأن بابل القديمة المسورة
تعود من جديد ،
قباها الطهال من حديد
يدق فيها جرس أن مقبره
تئن فيه والسماء ساح مجزرة
جنانها المعلقات زرعها الرؤوس
تجزؤها قواطع الفؤوس
وتنقر الغربان من عيونها ،
وتغرب الشمس

وراء شعرها الخضيب في غصونها .
أهذه مدينتي ؟ أهذه الطلول
'خطي' عليها : « عاشت الحياة »
من دم قتلها ، فلا إله
فيها ، ولا ماء ، ولا حقول ؟
أهذه مدينتي ؟ خناجر التتر
تعمد فوق بابها ، وتلهث الفلاة
حول دروبها ، ولا يزورها القمر ؟
أهذه مدينتي أهذه الحُفْرُ
وهذه العظام ؟
يطلُّ من بيوتها الظلام
وتُصبغ الدماء بالقتام
لكي تضيع ، لا يراها قاطع الأثر ؟
أهذه مدينتي ؟ جريحة القباب
فيها يهوذا أحمر الثياب
يسلِّط الكلاب

على مهود إخوتي الصغار ... والبيوت ،
تأكل من لحومهم . وفي القرى تموت
عشتار عطشى ، ليس في جبينها زهر ،
وفي يديها سلّة ثمارها حَجَرَ
ترجم كل زوجة به . وللنخيل
في شطّها عويل

انشودة المطر

عيناكِ غابتا نَحِيلِ ساعةَ السَّحَرِ ،
أو شُرْفَتانِ راحَ يَنأى عنها القمرُ .
عيناكِ حينَ تبسمانِ تورق الكرومُ
وترقص الأضواء ... كالأقمار في نَهَرٍ
يرجّه المجداف وهنّا ساعة السَّحَرِ
كأنما تنبض في غوريها ، النُجُومُ ...

وتغرقان في ضبابٍ من أسيّ شفيفٍ
كالبحر سرّح اليدين فوقه المساء ،
دفع الشتاء فيه وارتعاشة الخريف ،

والموت ، ، والميلاد ، ، والظلام ، ، والضياء ؛
فتستفيق ملء روعي ، رعشة البكاء
ونشوةٌ وحشيةٌ تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر !
كأن زأقواس السحاب تشرب الغيومُ
وقطرةٌ فقطرةٌ تذوب في المطر ...
وكركر الأطفال في عرائش الكروم ،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
أنشودةُ المطر ...

مطر ...

مطر ...

مطر ...

تثاءب المساء ، والغيومُ ما تزالُ
تسحُّ ما تسحُّ من دموعها الثقال .
كأنَّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام :
بأنَّ أمّه - التي أفاق منذ عامٍ

فلم يجدها ، ثمّ حين لجّ في السؤال
قالوا له : « بعد غدٍ تعودُ .. » —
لا بدّ أن تعودُ

وإن تهامس الرفاق أنّها هناك
في جانب التلّ تنام نومة اللّحود
تسفّ من ترابها وتشرب المطر ؛
كأن صياداً حزيناً يجمع الشّبّاك
ويلعن المياه والقدر
وينثر الغناء حيث يأفل القمر .

مطر ..

مطر ..

أتعلمين أيّ نحرزٍ يبعث المطر ؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر ؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع ؟
بلا انتهاء — كالدّم المراق ، كالجّيع ،
كالحبّ ، كالأطفال ، كالموتى — هو المطر !

ومقلتناك بي تطيفان مع المطر
وعبر أمواج الخليج تمسح البروق
سواحل العراق بالنجوم والمحار ،
كأنها تهمّ بالشروق
فيسحب الليل عليها من دمٍ دثار .
أصبح بالخليج : « يا خليج
يا واهب اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! »
فيرجع الصدى
كأنّه النشيج :
« يا خليج
يا واهب المحار والردى .. »

أكاد أسمع العراق يذخرُ الرعود
ويخزن البروق في السهول والجبال ،
حتى إذا ما فضّ عنها ختمها الرّجال
لم تترك الرياح من ثمود
في الوادِ من أثر .

أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تئنّ ، والمهاجرين
يصارعون بالمحاذيف وبالقلوع ،
عواصف الخليج ، والرعود ، منشدين :
» مطر ...

مطر ...

مطر ...

وفي العراق جوعٌ
وينثر الغلالَ فيه موسم الحصاد
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشّوان والحجر
رحىٌ تدور في الحقول ... حولها بشرٌ
مطر ...

مطر ...

مطر ...

وكم ذرفنا ليلة الرحيل ، من دموعٍ

ثمّ اعتلنا - خوف أن نلام - بالمطر ...

مطر ...

مطر ...

ومنذ أن كنّا صغاراً ، كانت السماء

تغيمُ في الشتاء

ويهطل المطر ،

وكلّ عام - حين يعشب الثرى - نجوعُ

ما درّ عامٌ والعراق ليس فيه جوعٌ .

مطر ...

مطر ...

مطر ...

في كل قطرة من المطر

حمراءُ أو صفراء من أجنّة الزّهر ،

وكلّ دمةٍ من الجياح والعراة

وكلّ قطرة تراق من دم العبيدُ

فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد

أو حُلْمَةٌ تَوَرَّدَتْ عَلَى فَمِ الْوَلِيدِ
فِي عَالَمِ الْغَدِ الْفَتَى ، وَاهِبِ الْحَيَاةِ !

مطر ...

مطر ...

مطر ...

سَيُعْشِبُ الْعِرَاقُ بِالْمَطَرِ ... »

أَصْبَحَ بِالْخَلِيجِ : « يَا خَلِيجِ ..
يَا وَاهِبِ اللُّؤْلُؤِ ، وَالْمَحَارِ ، وَالرَّدَى ! »
فَيَرْجِعُ الصَّدَى
كَأَنَّهُ النِّشِيجُ :
« يَا خَلِيجِ

يَا وَاهِبِ الْمَحَارِ وَالرَّدَى . »
وَيَنْثُرُ الْخَلِيجُ مِنْ هِبَاتِهِ الْكَثَارَ ،
عَلَى الرَّمَالِ ، : رَغْوَهُ الْأُجَاجَ ، وَالْمَحَارِ
وَمَا تَبَقَّتْ مِنْ عِظَامِ بَائِسٍ غَرِيقٍ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ظَلَّ يَشْرَبُ الرَّدَى

من لجة الخليج والقرار ،
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرّحيق
من زهرة يربّثها الفرات بالنّدى .
وأسمع الصدى
يرنّ في الخليج
» مطر .

مطر ..

مطر ...

في كلّ قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزّهر .
وكلّ دمة من الجياح والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد
أو حامة تورّدت على فم الوليد
في عالم الغد الفتي ، واهب الحياة . «

ويهطل المطر ..

سربروس في بابل

ليعور سربروس^(١) في الدروب
في بابل الحزينة المهْدَمَة
ويملاً الفضاء زمزمه ،
يمزّق الصّغار بالنيوب ، يقضم العظام
ويشرب القلوب .
عيناه تنزكان في الظلام
وشدقته الرهيب موجتان من مدى

(١) الكلب الذي يحرس مملكة الموت ، في الأساطير اليونانية ، حيث يقوم عرش « برسفون » آلهة الربيع بعد أن اختطفها إله الموت وقد صورته دانتي في « الكوميديا الإلهية » حارساً ومعدباً للأرواح الخاطئة .

تخبيء الردى .

أشداقه الرهيبه الثلاثة ' احتراق'

يؤج في العراق -

ليعود سربروس في الدروب

وينبش التراب عن إلهنا الدفين

تموزنا الطعين ،

ياكله : يمص عينيه إلى القرار ،

يقصم صلبه القوي ، يحطم الجرار

بين يديه ، ينثر الورود والشقيق .

أواه لو يُفريق

إلهنا الفتي ، لو يُبرعم الحقول ،

لو ينثر البيادر النضار في السهول ،

لو ينتضي الحُسام ، لو يفجر الرعود والبروق والمطر

ويطلق السيول من يديه . آه لو يؤوب !

لحافنا التراب ، فوقه من القمر

دم ، ومن نهود نسوة العراق طين .

ونحن إذ نبص من مغاور السنين

نرى العراقَ ، يسألُ الصغارُ في قراه .
« ما القمحُ ؟ ما الثمرُ ؟ »
ما الماء ؟ ما المهود ؟ ما الإله ؟ ما البشرُ ؟
فكلُّ ما نراه
دمٌ ينزُّ أو حبالٌ ، فيه ، أو حفرٌ .
أكانت الحياة
أحبَّ أن تُعاشَ ، والصغارُ آمنين ؟
أكانت الحقولُ تُزهَرُ ؟
أكانت السماءُ تمطرُ ؟
أكانت النساءُ والرجالُ مؤمنين
بأنَّ في السماء قوَّةً تدبِّرُ ،
تُحسُّ ، تسمعُ الشكاةَ ، تبصرُ ،
ترقُّ ، ترحمُ الضَّعَافَ ، تغفرُ الذنوبَ ؟
أكانت القلوبُ
أرقُّ ، والنفوسُ بالصفاء تقطرُ ؟
وأقبلتُ إلهة الحصادُ ،
رفيقةُ الزهورِ والمياه والطيوبُ ،

عُشْتَارُ رَبَّةُ الشَّامِ وَالْجَنُوبُ ،
تَسِيرُ فِي السَّهُولِ وَالْوَهَادِ
تَسِيرُ فِي الدَّرُوبِ
تَلْقُطُ مِنْهَا لَحْمَ تَمَّوَزَ إِذَا انْتَثَرُ ،
تَلْمُثُهُ فِي سَلَّةٍ كَأَنَّهُ الثَّمَرُ .
لَكِنْ سَرَبْرُوسَ بَابِلَ - الْجَحِيمِ
يَحْبُثُ فِي الدَّرُوبِ خَلْفَهَا وَيَرْكُضُ ،
يَمْزِقُ النِّعَالَ فِي أَقْدَامِهَا ، يَعْضَعُضُ
سَيْقَانَهَا اللَّدَانِ ، يَنْهَشُ الْيَدَيْنِ أَوْ يَمْزِقُ الرِّدَاءَ ،
يَلْوِثُ الْوَشَاحَ بِالدَّمِ الْقَدِيمِ
وَيَمْزِجُ الدَّمَ الْجَدِيدَ بِالْعَوَاءِ .
لِيَعْرِ سَوْبْرُوسُ فِي الدَّرُوبِ
لِيَنْهَشَ الْإِلَهَةَ الْحَزِينَةَ ، الْإِلَهَةَ الْمَرْوَعَةَ ؛
فَإِنْ مِنْ دِمَائِهَا سَتُخْصَبُ الْحُبُوبُ ،
سَيَنْبِتُ الْإِلَهُ ، فَالشَّرَائِعُ الْمَوْزَعَةُ
تَجْمَعُ ؟ تَمَلَّتْ . سَيُولَدُ الضِّيَاءُ
مِنْ رَحِمٍ يَنْزُ بِالدَّمَاءِ .

مدينة بلا مطر

مدينتنا تورق ليلها نارٌ بلا لَهَبٍ .
تحمُّ دروبها والدُّور ، ثم تزول حماها
ويصبغها الغروبُ بكلِّ ما حملته من سُحُبٍ
فتوشك أن تطيرَ شرارةٌ ويهبُ موتاها :
« صحا من نومه الطينيُّ تحت عرائش العنَبِ ..
صحا تمّوزُ ، عاد لبابلَ الخضراءِ يرعاها . »
وتوشك أن تدقَّ طبولُ بابلَ ، ثم يغشاها
صفيرُ الريح في أبراجها وأنينُ مرضاها .
وفي غرفات عُشتارِ
تظل مجامر الفخارِ خاويةً بلا نارٍ ،

ويرتفع الدعاء ، كأن كل حناجر القصب
من المستنقعات تصيح :

« لاهثة من التعب

تؤوب إلهة الدم ، 'خبز' بابل ، شمس آذار .
ونحن نهم كالغرباء من دارٍ إلى دارٍ
لنسأل عن هداياها .

جِيعٌ نحن .. وأسفاه ! فارغتان كفأها ،
وقاسيتان عيناها
وباردتان كالذهب .

سحائب 'مرعدات' 'مبرقات' دون إمطارٍ
قضيئنا العام ، بعد العام ، بعد العام ، نرعاه ،
وريحٌ تشبه الإعصار ، لا مرّت كإعصارٍ
ولا هدأت - ننام ونستفيق ونحن نخشاها .
فيا أربابنا المتطلعين بغير ما رحمه ،
عيونكم 'الحجار' نحسّها تنداح في العتمة
لترجمنا بلا نغمه ؛

تدور كأنهنّ رحيّ بطيئاتٌ تلوكُ جفوننّا ..
حتى ألفناها ،

عيونكم الحجار كأنّها لبّات أسوارِ
بأيدينا ، بما لا تفعل الأيدي ، بنيناها .
عذارانا حزاني ذاهلاتٌ حول عشتارِ
يغيض الماء شيئاً بعد شيء من محيّاتها ،
وُغصنا بعد غصن تذبل الكرمه .

بطيءٌ موتنا المنسلٌ بين النور والظلمة ،
له الويلاتُ من أسدٍ نكابد شدقه الأدرد !
أنارُ البرق في عينيه أم من شعلة المعبد ؟
أفي عينيه مبخرتان أوجرتا لعشتار ؟
أنافذتان من ملكوت ذاك العالم الأسود :
هنالك حيث يحمل ، كلّ عامٍ ، جرحه الناريّ ،
جرح العالم الدوّار ، فاديه .

ومنقذه الذي في كل عامٍ من هناك يعود بالأزهارِ
والأمطار - تجرحنا يداه لنستفيقَ على أيّاديه ؟

ولكن مرّت الأعوام ، كثيراً ما حسبنّاها ،
بلا مطرٍ .. ولو قطره
ولا زهرٍ .. ولو زهره
بلا ثمرٍ - كأنّ نخيلنا الجرداء أنصابٌ أقمنّاها
لنذبل تحتها ونموت .

سيّدنا جفانا . آه يا قبره

أما في قاعك الطينيّ من جرّة ؟
أما فيها بقايا من دماء الربّ . أو بذره ؟
حدائقه الصغيرة أمس جعنا فافترسناها :
سرقنا من بيوت النمل ، من اجرانها ، دخنّا وشوفاناً
وأوشاباً زرعناها
فوفينّا - وما وفّى لنا - نذره ! » .

وسار صغار بابل يحملون سلال صبارٍ
وفاكهةٍ من الفخّار ، قرباناً لعشتار
ويشعلُ خاطفُ البرق ،

بظلٍّ من ظلال الماء والخضراء والنار ،
وجوَّههم المدوَّرة الصغيرة وهي تستسقي .
فيوشك أن يفتح - وهي توِّمض - حقلٌ نوَّارٍ
ورفٌ - كأنَّ ألف فراشةٍ نُثرتْ على الأفقِ -
نشيدُهم الصغيرُ :

« قبورُ إخوتنا تنادينَا

وتبحثُ عنكِ أيدينا

لأنَّ الخوفَ ملأَ قلوبنا ، ورياحَ آزارٍ

تهزُّ مهودنا فنخاف . والأصواتُ تدعونا .

جِيعٌ نحنُ مرتجفون في الظلمِ

ونبحثُ عن يدٍ في الليلِ تُطعمنا ، تغطِّيْنَا ،

نشدُ عيوننا المتلفتات بزندها العاري .

ونبحثُ عنكِ في الظلماء ، عن ثديين ، عن حلمٍ

فيا مَنْ صدرُها الأفقُ الكبير وثديها الغيِّمُ

سمعتِ نشيجنا ورأيتِ كيف نموت .. فاسقينا !

نموت ، وأنتِ - وأسفاه - قاسيةٌ بلا رحمة .

فيا آباءنا ، من يفتدينا ؟ من سيُحيينا ؟
ومن سيموت : يُولمُ لحمه فينا ؟ ،
وأبرقت السماءُ كأنَّ زنبقة من النارِ
تفتّح فوق بابل نفسها . وأضاء وادينا ،
وغلغلَ في قرارة أرضنا وهجٌ فمرّأها
بكلِّ بذورها وجذورها وبكلِّ موتأها .
وسحَّ - وراءَ ما رفعتُه بابلُ حولُ حُمّاها
وحول ترايها الظمآن ، من عمَدٍ وأسوارِ
سحابٍ .. كان لولا هذه الأسوار روّأها !
وفي أبدٍ من الاصغاء بين الرعد والرعدِ
سمعنا ، لا حفيفَ النّخل تحت العارض السحّاح
أو ما وشوشته الريحُ حيث ابتلّت الادواحُ ،
ولكنْ خفقةَ الاقدام والأيدي
وكركرةٍ و « آه » صغيرة قبضتْ بيُمناها
على قمرٍ يرفرفُ كالفراشة ، أو على نجمته ..
على هبةٍ من الغيْمة ،
على رعشاتِ ماءٍ ، قطرةٌ همستْ بها نسمة
لنعلم أنَّ بابلَ سوف تُغسل من خطاياها !

بور سعيد

يا حاصدَ النار من أشلاء قتلانا
منك الضحايا ، وإن كانوا ضحايانا
كم من ردى في حياة ، وانخزال ردى
في مبة ، وانتصار جاء خذلانا !
إن العيون التي طفأت أنجمها
عجلن بالشمس أن تختار دنيانا
وامتد ، كالنور ، في أعماق تربتنا ،
غرس لنا من دم ، واخضل موتانا
فازلزلني يا بقايا كاد أولنا
يبقي عليها ، من الأصنام ، لولانا

نحن الذين اقتلنا من أسافلها
لأمة وعزّي ، وأعليناهُ إنسانا .
حيّيتِ بورتَ سعيدٍ ، من مسيلِ دمٍ
لولا افتداءُ لما يُغليه ، ماهانا
حيّيتِ من قلعةٍ صماءٍ ناطحها
عادٍ من الوحشِ يُزجيهنَّ قطعاننا
عناك في الليلِ داجٍ من جحافلها :
نورا من الله أعمها ونيراننا
ما عاد ليلٌ قد استخفى بأقنعةٍ
من أوجهِ الناس ، لولا أنتِ ، عريانا
ليلٌ نعيذُ الكهوفُ السودُ آنيةً
فيها وفكّا لموتها وصوتانا
من بعضٍ ما فيه من ظلماءٍ ، ما عُرفتُ
باسمٍ لها ، فهي قبلَ اسمٍ اذا نطقنا
حيّيتِ من قلعةٍ ما آدَ كاهلها
عبءُ السماواتِ إلا خفَّ إيماننا

أَمْسَكْتِهَا أَنْ يَمِيدَ الظَّالِمُونَ بِهَا
دِينًا لَنَا وَاتِّصَارَاتٍ وَعُنْوَانًا .
يَا مَرْفَأَ النُّورِ ، مَا أَرْجَعْتَ وَادْعَةً
مِنْ غَيْرِ زَادٍ ، وَلَا آوَيْتِ قُرْصَانَا
وَلَا تَلَفَظْتَ مِنْ مَرَسَاكٍ مَعْتَدِيًا
إِلَّا مَدَمَّتْ ذَلِيلَ الْهَامِ خَزْيَانَا
جَمَعْتَ مِنْ شَطِّ صُورٍ لَمْحَ أَحْرُفِهَا
وَاخْتَرْتَ مِنْ بَابِلٍ وَاحْتَرْتَ مِروَانَ
وَالنَّيْلُ سَاقَ الْعَذَارَى مِنْ عِرَائِسِهِ
لِلْخِصْبِ ، فِي مَوَكِبِ الْفَادِينَ ، قُرْبَانَا !
فَالْوَيْلُ .. لَوْ كَانَ لِلْعَادِينَ مَا قَدَرُوا !
لَا نَهْدُ مِنْ حَاضِرٍ مَاضٍ فَأَخْزَانَا
فَلَا ابْتَنَى هَرَمًا بَابِي ، وَلَا لَبَسْتُ
تَنِيَّانَهَا ، فِي انْتِظَارِ الرُّوحِ ، مَوْتَانَا
وَلَا تَفَجَّرَ فِي « ذِي قَارٍ » فَتَيَّتْهَا
وَلَا تَنْفَسَتْ الصَّحْرَاءُ قُرْآنَا !

'حييت موتى ، وأحياء ، وأبلىة'
 مستشهداتٍ أو استعصينَ أركاننا
 والنار والبادرون النار كم زرعوا
 من كلِّ ثكلى لعزرائيل بُستانا !
 من كلِّ وجهٍ لطفلٍ فيه زنبقة'
 قدّمتى ، وتلتمُ فيه الرّيحِ غربانا
 الجوّ مما يلزّون الحديدَ به
 قاعُ الجحيمِ التّظى وانصبَّ طوفانا
 سقّاكٍ من كلِّ غيمٍ فيه أحرزَه
 جوفُ الثرى واشتهته النارُ أزمانا
 كأسَ الرّصاصِ التي غنّى بتوأمها
 «سقراط» وابتل منها جرحُ وهرانا^(١)

من أيّها رثةٍ ؟ من أيّ قيثارٍ
 تنهلُ أشعاري ؟
 من غابةِ النارِ ؟

(١) أجبر الفيلسوف الأغريقي سقراط على تجرع كأس من السم .

أم من عويل الصبايا بين أحجار
منها تنزُّ المياه السودُ واللبن المشويُّ كالقار ؟
من أيُّ أحداق طفلٍ فيكٍ تُغتصَبُ ؟
من أيُّ خبزٍ وماءٍ فيكٍ ما صلبوا ؟
من أيُّما شُرْفَةٍ ؟ من أيُّما دارٍ ؟
تنهلُ أشعاري
كالنارِ ؟

كالنور في رايات ثوَّار ؟
من مائكِ السهران أوتاري ؟
أم بُرجكِ الهاري
يبكي دماً من جرح بحَّار ؟
أطفالكِ الموتى ، على المرفأِ
يبكون في الريح الشَّالِيه ،
والنور من مصباحه المطفأِ
قد غار كالمديه
في صدري العاري .

أطفالك الأموات عارُ الحديد
في عرسه الدامي ، وذلُّ الرصاص ،
مالوا بملك من شقاء العبيد
واستنزلوا أربابه للقصاص
في ساحة النار .
يبكون في الريح الشماليه
أسرى ، على الشفن الصليبيه ،
والريح كالمديه
تجتُّ أظفاري .
يبكون .. في داري .

بالقش* والطين سدّوا كوة القمر ،
والريحُ في الشجر
قد كمّموا فاهها ،
كي لا تصيح : اخبثوا عن أعين الفجرِ
أطفالكم ، فهي ما ترتدُّ احداها

إلا وحال الذي تلقى ، إلى حَجَرٍ ،

الريحُ قيثاري

قد كتموا فاما

هاويكِ أعلى من الطاغوت فانتصبي

ما ذلٌ غيرُ الصفا - للنار - والخشبِ

حييتِ من قلعةٍ شقَّ الفضاءَ بها

أُسُّ لها في صدور الفتيةِ العربِ

الطين فيها دمٌ منا ، وجندلُها

من عزيمةٍ ، والحديد الصلْدُ من غضبِ

أنتِ السهواتُ والأرضُ ، التي خلِقتِ

في عشرةٍ تحسِبُ الأيامُ بالحقْبِ

والصخر فيكِ استمدَّ الروحَ إذ لمستِ

عقمتِ الجماداتِ فيه إصبَعُ اللّهبِ

في كلِّ أنقاض دارٍ ، من صفاء يدٍ

جيتارةٌ تصفّعُ العادين كالشهبِ

ما انهدّ إلا وأعلى في ضمائرنا
سدّاً من النار أعى حيلة الثوب .
والماء ، حتى زلال الماء ، فيك ممدى
من فضة الله توحي جحفل الذهب
ما بل للجحفل المأجور غلته
حتى جبي قدر ماء من دم سرب
أمل على كل شيء فيك جوهره
حلف لجيشين : ذي قربي وذي أرب
إن الحديد الذي صنت الحياة به
غير الحديد الذي وافاك بالعطب
والخير في بُندقيات قذائفها
حتف المغيرين ، والميلاد في قضب
لكنه الشر في خبز حقائقه
عون لأعدائك الجوعى ، وفي قرأ
ليت المسيح الذي داجى بشرعته
من باع مثواه ، راء فيك عن كذب :

خرسٌ نواقيسكِ الثكلي ، وداميةٌ
فيكِ الأناجيلُ ، والموتى بلا صلب
والحابس الماء عن جرحاكِ حملها
عبء الصليبين : من حمّى ومن خشب
واستنطق الأمُّ ثكلي : أين جبرتها
من فتيةٍ لاصطياد العسكر اللّجب ؟
فألمٌ في مقلتيها ، وهي تنظره ،
كلُّ المخاضات والتسديد والنّصب
كأنما استودعتها كلُّ والدَةٍ
آجالَ كلِّ الذراري طيلة الحقبِ
فاختارت الموت معلوكاً مراضعها ،
معروكةً في رحيّ تقوى من الرُّكّسِ
تفدي بما يستبيح الجندُ من دمها
والنار ، أعراضَ كلِّ الخردِ العُربِ .
أبناءُ «جنكيز» في روحٍ ، وإن بعدوا
في نسبةٍ : ربُّ قُربى دون مُنتسبٍ

شرُّ اللصوص، اذا عفَّ التتارُ .. فما
عَفَّوا عن الرِّيش والأَسْمال واللُّعَبِ !
فلتَنفخ الصُّورَ في أفريقيا أممٌ
بالأمس قد أنزلوها أسفل الرُّتبِ
ولتُسْمعنَ الزوج البيض صيحتهما :
« إنا الى الله أدنى منكِ في نسب » !
حَيَّتِ فالوحش أوهى فيك مِخلبه ؛
يا غابة النار قد أثرتِ بالغَلَبِ !

من أيَّ عبءٍ على رُوحى ومسمارِ
من أعينٍ ، في صليب تحت أسواري ،
تأتيكِ أشعاري ؟
حمراءَ خضراءَ من 'جرحٍ ومن غارِ ،
خضراءَ من راية ، حمراءَ من نار ،
خضراءَ كالماء في فردوسكِ الجاري ؟
يا ليت أوقاري

خضراءُ حمراءُ من قلبي ومن ثاري !
يا ليتَ أبوابَ قلبي منكِ تلتهبُ !
يا ليتها دونَ قفْلِ ، ليتها خشبُ !
أو خرَّبَ الجندُ قلبي ، فهي تنتحبُ
في كلِّ إعصار !
سودٌ ، كما اسودَّت الأموات ، أنهارِي
فالطين فيها فمٌ يمتصُّ أسفاري ،
والريحُ في داري
سوداءُ ما رفَّ منها باللَّظى عَصَبُ .
لا تسألِي بعدُ عنها : إنها عشبُ
أعواده السود غدِّي عجلهُ الذهبُ
منها ، فخبَّاتُ في عيني قيثاري !
كوني لاشعاري
وحياً ، وشدِّي ببأسٍ منك أوتاري .
يا مرفأَ النور ، كن مرسىً لافكاري !
يا مرفأَ النار

الهبّت أغواري

بالثّارِ

مزّقت عنها سودَ أَسْتارِ

فانهلّتِ الشمسُ على داري .

كم من دفين ، كلُّ ماء القنال

في مدّة العاتي وفي جزره ،

يلقي على صدره

عبثاً من الظلماء - كان القتال

من أجل أن يرتاح في قبره !

ما كان إلاّ من دموع الرجال

والنسوة الباكين في قعره ،

هذا الذي بين العُبابينِ سال !

كالليل هذا الماءُ فوق القبور

كالنار ، كالإعصار ، كالداء :

تختضُّ في ليل الخليج الصدور ،

والشمسُ تحسو كلَّ ماءِ الصّبور
في عالم لم تمش فيه العصور —
من ملتقى للماء بالماء !
كالليل هذا الماء ، نِد الحياه :
الموت والميلاد بوّابته .
في قاعِ الموتى قد استبدلوا
بالنبض ، ما يُرغي به المرجلُ
في موقرات ، من سفين الغزاه ،
بالموتِ مما يصنع المعملُ .
حتى اذا ما رشَّ عارَ العُتاه
بالدمع من عينيهِ ، والنارِ
من قلبه المورق بالغارِ ،
انسانُكِ العملاق ظلّ الإله ،
ظلّ الملايين التي مقلّته
عنها ترى ما في خيال تراه ،
هذا الذي أعصابُها في قواه —

أحيى دمَ الموتى ، فخرَّ الطغاة !
فليحرسِ الأحياء بابَ الحياة !

غاضَ المغيرونَ عن واديكِ وانحسروا
فالأرضُ تدمى بقتلاها وتزدهرُ
وازداركِ الموتُ لا ملئسا ملامحه
بيضا ، كما تهلك الأنعام والشجرُ
حاشاك ! فالموتُ توري فيكِ حدتهُ
طعمَ الدم الحيِّ ، ما يرقى به البشرُ
أخفاهُ عنك التزامٌ واشتباكٌ يدي
في مثلها ، فهو حيثُ اجتازهُ البصرُ
حتى إذا ارتدَّ واستبشعتِ صورتهُ
أدركتِ أيَّ انتصارٍ ذلك الظفرُ !
أدركتِ أنَّ الضحايا ردةٌ كثرها
فيكِ الأقلُّ المضحِّي أنها كثرُ
من سدَّ النارَ في أيديكِ ، يُوردها
كيِّدَ المغيرينَ منه الظنُّ والنظرُ ؟

واحتاز في قلبه الاحقاب ، يزرعها
في جانبٍ منه واستبسالكِ الثمر ؟
واستنفر الشرق حتى كاد ميّته
يسعى ؟ أهذا صلاحُ الدين أم عمر ؟
هذا الذي حدثنا عنه أنفسنا
في كلِّ دهياءٍ نبلوها وننتظر
هذا الذي كلٌّ ، عن سحقٍ لبذرتِه
بالخيل والذابلات ، الرومُ والتتر
يا أمةً تصنع الأقدارَ من دمها
لا تيأسي . انّ « سيف الدولة » القدر
أعطى لكلِّ انتصارٍ فيك جدّتهُ
فاخضلْ واخضلت الآياتُ والسُّورُ
في مسجدٍ أمّ مشاءٍ بأمتيّه
فيه المصلّين ، حتى كبرّ الحجرُ
واستشرفَ الساحَ نائمٍ عنه يحمله
ما بين جنبتيه ، رامٍ فيه منتصر :

عينٌ لسيناءَ ترقى كلَّ رابيةٍ
فيها ، وعينٌ وراء النيل تنحدر
أو تنفضُ الأفقَ ، حتى ضاءَ من لهبٍ
حماقها ، فهي ممّا راءَ تستعير !
جاؤوك ! جاء الصليبيون ، قاصفة
تنقضُ في أثرٍ أخرى ، فاللفظي مطر
في كلِّ فانوس موتى من قذائفها
نورٌ له اختضت الأبعادُ والعُصرُ
فالشرق عارٍ مدى عينيه ، منبسطٌ
كالراحة : الدور ، والأكواخ والحُفر
يكاد يبصر ما أبقاه مكتدَحٌ
في جبهةٍ ، واغتذى من مقلةٍ سهرُ
إيماضة البرق : الا أنها حقبٌ
تطوى ، ومستقبل يُبثني ويدّخر !
المجد لله والإنسان : ان يداً
تحبي وقلبا يداوي ، منها أثر !

يا قلعة النور تدمي كل نافذة
فيها ، وتلظى ، ولا تستسلم ، الحُجَر
أحسستُ بالذلُّ أن يلقاكِ دونَ دمي
شعري ، وأني بما ضحيتُ أنتصر
لكنّها باقةٌ أسمى اليكِ بها
حمراءُ يخضلُ فيها من دمي زهراً !

١٩٥٦

للمومس العمياء

الليل يُطبق مرّة أخرى ، فتشربه المدينة
والعابرون ، إلى القرارة .. مثل أغنية حزينه .
وتفتحت ، كأزاهر الدفلى ، مصابيح الطريق ،
كعيون « ميدوزا »^(١) ، تحجّر كل قلب بالضغينه ،
وكأنها تدرّ قشر أهل « بابل » بالحريق

من أي غاب جاء هذا الليل ؟ من أي الكهوف
من أي وجر للذئاب ؟

(١) في الأساطير اليونانية أن عيون ميدوزا تحول كل من تلمقي بها عيناها
إلى حجر .

من أي عش في المقابر دفّ أسفع كالغراب ؟
« قابيل »^(١) أخفِ دم الجريمة بالأزاهر والشفوف
وبما تشاء من العطور أو ابتسامات النساء
ومن المتاجر والمقاهي وهي تنبض بالضياء
عمياء كالخفاش في وضوح النهار ، هي المدينة ،
والليل زاد لها عماها .

والعابرون :

الأضلع المتقوّسات على المخاوف والظنون ،
والأعين التعبى تفتش عن خيال في سواها
وتعدّ آنية تلالاً في حوانيت الخمر :
موتى تخاف من النشور
قالوا سنهرب ، ثم لاذوا بالقبور من القبور !

من هؤلاء العابرون ؟

(١) في القرآن الكريم أن الغراب هو الذي أرشد قابيل كيف يدفن
أخاه بعد أن قتله .

أحفاد « أوديب »^(١) الضير ووارثوه المبصرون .
(جوكست) أرملة كأمس ، وباب « طيبة » ما يزال
يُلقى « أبو الهول » الرهيب عليه ، من رعبٍ ظلال
والموت يلته في سؤال

باقٍ كما كان السؤال ، ومات معناه القديم
من طول ما اهترأ الجواب على الشفاء .
وما الجواب ؟

« أنا » قال بعض العابرين ...
وانسلت الأضواء من باب ثناء كالجحيم
تطفو عليهن البغايا كالفرشات العطاش
يبحثن في النيران عن قطرات ماء .. عن رشاش .

(١) تزوج « أوديب » أمه « جوكست » وهو لا يدري بأنها أمه .
وطيبة هي المدينة التي دخلها بعد أن قتل أباه ملك طيبة ، فتزوج أمه ، زوجة
الملك القتيل . وكان « أبو الهول » يحرس مدخل المدينة ويلقي على كل غريب
يدخلها سؤالاً : « ما الكائن الذي يمشي على أربع في الفجر واثنين في الظهيرة
وثلاث في المساء » وقد حل أوديب هذا اللغز وكان الجواب . « الانسان » .

لا تتقلن خطاك فالمنغى «علائي» (١) الأديم :
أبناؤك الصرعى تراب تحت نعلك مستباح ،
يتضاحكون ويعولون .

أو يهسون بما جناه أب يبرؤده الصباح
عما جناه ، ويتبعون صدى خطاك الى السكون

الحارس المكدود يعبر ، والبغايا متعبات ،
النوم في احداقهن يرف كالطير السجين ،
وعلى الشفاه أو الجبين

تترنح البسمات والأصباغ ثكلى ، باكيات ،
متعثرات بالعيون وبالخطى والقهقهيات ،
وكان عارية الصدور

أوصال جندي قتيل كملوها بالزهسور ،
وكأنها درج الى الشهوات ، تزحم الثغور

(١) قصة الى أبي العلاء المعري ، الأعمش والقاتل « ما أظن أديم الأرض
إلا من هذه الاجساد » و « هذا جناه أبي علي ... » .

حتى يهدم أو يكاد . سوى بقايا من صخور .

جيف تستر بالطلاء ، يكاد ينكر من رآها
أن الطفولة فجرتها ، ذات يوم ، بالضياء
كالجدول الثرثار - أو أن الصباح رأى خطاها
في غير هذا الغار تضحك للنسائم والسماء ،
ويكاد ينكر أن شقاً لاح من خلل الطلاء
قد كان - حتى قبل اعوام من الدم والخطيئة -
ثغراً يكركر ، أو يثرثر بالأقاصيص البريئة
لأب يعود بما استطاع من الهدايا في المساء :
لأب يقبل وجه طفله الندي أو الجين
أو ساعدين كفرختين من الحمام في النقاء .
ما كان يعلم أن ألف قم كبر دون ماء
ستمص من ذاك الحيا كل ماء للحياه
حتى يجف على العظام - وأن عاراً كالوباء
يصم الجباه فليس تغسل منه إلا بالدماء

سيحلّ من ذاك الجبين به ويلحق بالبنين -
والساعدين الأبيضين ، كما تنوّر في السهول
تفاحة عذراء ، سوف يطوّقان ، مع السنين
كالحيّتين ، خصور آلاف الرجال المتعبين
الخارجين ، خروج آدم ، من نعيم في الحقول
تفاحه الدم والرغيف وجرعان من الكحول
والحية الرقطاء ظلّ من سياط الظالمين
يا أنت ، يا أحد السكارى ،

يا من يريد من البغايا ما يريد من العذارى
(ما ظلّ يحلم ، منذ كان ، به ويزرع في الصحارى
زبد الشواطئ والمحار)

مترقباً ميلاد « أفروديت »^(١) ليلاً أو نهاراً
أتريد من هذا الحطام الآدميّ المستباح
دفء الربيع وفرحة الحمل الغرير مع الصباح
ودواء ما تلقاه من سامٍ وذلّ واكتداح

(١) في أساطير الاغريق أن « أفروديت » ولدت من زبد البحر ونزلت
محمولة على صدفة محار .

المال ، شيطان المدينة

لم يحظ ، من هذا الرهان ، بغير أجساد مهينه
« فاوست »^(١) في أعماقهن يعيد أغنية حزينه
المال ، شيطان المدينة ، رب « فاوست » الجديد
جارت على الأثمان وفرقة ما لديه من العبيد ،
الخبز والأسمال حفظ عبيده المتذللين
مما يوزع من عطايا - لا الآلىء والشباب ،
والمومس العجفاء - لا « هيلين »^(٢) ، والظمأ اللعين
لا حكمة الفرحة المجنحة والخطيئة والعذاب
الخبيل من سأم تحمحم وهي تضرب بالحوافر^(٣)

(١) تراهن الله والشيطان على فاوست ، وزعم الشيطان أنه يستطيع
شراؤه روحاً وجسداً .. وقبل فاوست بأن يبيع نفسه قوضع الشيطان نفسه
في خدمته لقاء ذلك . فرد عليه الشباب ووهبه الآلىء والمال وأراه شبح
هيلين الاغريقية .

(٢) وفي النهاية لم يحصل الشيطان إلا على جسد فاوست ، بينما صعدت
روحه إلى السماء .

(٣) البيت من « فاوست » لغوته ، بقوله الشيطان لفاوست حين كان يزور
مرغريت « التي غرر بها وقتل أخاها وولدت طفلاً فقتلته » وهي في سجنها .

حجر الطريق .

هلم : فالخوذي يبحث عن مسافر
والريح صر ، والبغي بلا زبائن منذ حين .
إن لم تضاجعها وصد سواك عنها معرضين
فكيف تحيا ، وهي ، مثلك لا تعيش بلا طعام ؟
لا تخش منها أن تُراعَ بما قاك لك الجذام
من صدرك النخر العريض . وأنت ويحك يا أخاها
ماذا تريد ، وعم تبحث في الوجوه ؟ ويا أباهما
أطعن بمنجرك الهواء .. فأنتما لن تقتلها .
هي لن تموت :

سيظل غاصبها يطاردها وتلفظها البيوت
ستظل — ما دامت سهام التبر تصفر في الهواء —
تعدو ، ويتبعها « أبولو »^(١) من جديد كالقضاء ،

(١) كانت « دفني » ابنة إله صغير ، إله أحد الأنهار وقد رآها « أبولو »
إله الشمس الجبار فأحبها وطاردها محارلاً اغتصابها . وقد استنجدت بأبيه
فرشها بحفنة من الماء وأحالتها إلى شجرة غار تضفر من أغصانها الأكاليل للأبطال .
أما سهام التبر ، الذهب ، فهي السهام التي كان كيوييد يرشق بها قلب أبولو
ليلهب الحب فيه وقد استعرقها رمزاً لسطوة المال .

وتظّل تهس ، إذ تكاد يداه أن تلتقفاها :
« أبني ... أغثني » بيد أنك لا تصيح إلى النداء ،
لو كنت من عرق الجبين ترشّها ومن الدماء
وتحيلها امرأة بحق ، لا متاعاً للشراء
كللت منها ، بالفخار وبالبطولات ، الجباها !

وكان ألاحظ البغايا .

إبرّ تسلّ بها خيوط من وشائع في الحنايا
وتظّل تنسج ، بينهن وبين حشد العابرين ،
شيئاً كبيت العنكبوت يخضّه الحقد الدفين :
حقدٌ سيعصف بالرجال

والأخريات ، النائمات هناك في كنف الرجال
والساهرات على المهود وفي بيوت الأقربين
حول الصلاة بلا أطراح للثياب ولا اغتسال
في الزمهرير ، ودون عدّة لليلي والسنين !

ويمرُّ عملاق يبيع الطير ، معطفه الطويل
حيران تصطفق الرياح بجانبه ، وقبضته
تتراوحان : فلرداء يدٌ وللعبة الثقيل
يدٌ ، وأعناق الطيور مرنحات من خطاه
تدمى كأثناء المعجزة يوم قطعها الغزاة .
خطواته العجلى ، وصرخته الطويلة : « يا طيور
هذي الطيور ، فمن يقول تعال ... »

أفزعها صداه

يأتيه من "غرف البغايا كاللهات من الصدور .
ويدٌ تشير إليه عن كذب ، وقائلة تعال !
بين التضاحك والسعال :

عمياء تطفئ مقلتها شهوة الدم في الرجال .
وتحسسته كأن باصرة تهيم ولا تدور
في الراحتين وفي الأنامل وهي تعثر بالطيور ،
وتوسلته : « فدى لعينك - خلتي . بيدي أراها .
ويكاد يهتك ما يغلف ناظرها من عماها

قلبٌ تحرق في المحاجر واشراًبٌ يريد نوراً
وتمسّ أجنحة مرقطة فتشرها يداها ،
وتظل تذكر - وهي تمسحهن- أجنحة سواها
كانت تراها وهي تحقق .. ملء عينيها تراها :
سربٌ من البطّ المهاجر ، يستحثّ الى الجنوب
أعناقهم الجذلى .. تكاد تزيد من صمت الغروب
صيحاته المتقطعات ، وتضمحل على السهوب
بين الضباب ، ويهمس البرديّ بالرجع الكثيب .
ويرج وشوشة السكون

طلّق .. فيصمت كل شيء .. ثم يلغظ في جنون .
هي بطّة فلم انتفضت ؟ وما عساها أن تكون ؟
ولعل صائدها أبوك ، فأن يكنّ فستشبعون .
وتخفّ راكضة حيال النهر كي تلقى أباه :
هو خلف ذاك التل يحصد . سوف يغضب إن رآها .
مرّ النهار ولم تُعنته .. وليس من عونٍ سواها
وتظل ترقى التل وهي تكاد تكفر من أساها به .

.....

يا ذكرياتُ علامَ جئتِ على العمى وعلى السَّهاد؟
لا تمهليها ، فالعذاب بأن تمرِّي في التَّهاد .
قصي عليها كيف مات وقد تضرَّج بالدماء
هو والسنايل والمساء -

وعيون فلاحين ترتجف المذلة في كواها
والغمغيات : «رأه يسرق...» واختلاجات الشفاء
يخزين ميتتها ، فتصرخ : « يا إلهي ، يا إلهي ...
لو ان غير «الشيخ» ! ، وانكفأت تشدُّ على القتيل
شفتين تنتقمان منه أسى وحباً والتباعا
وكان وسوسة السنايل والجداول والنخيل
أصداء موتى يهيمون : « رأه يسرق » في الحقول
حيث البيسادر تفصد الموتى فتزداد اتساعا !

.....

وتحسُّ بالدم وهو ينزف من مكانٍ في عماها
كلما من خشب السفينة ، والصيد من القبور ،

وبأدمعٍ من مقلتيها كالنّال على الصّخور
أو مثل حبات الرمال مبعثرات في عماها
يهوين منه إلى قرارة قلبها آها فأها .
وَمَنْ الملوّم وتلك أقدارٌ كُتبت على الجبين ؟
حتمٌ عليها أن تعيش بعرضها ، وعلى سواها
من هؤلاء البائسات . وشاء رب العالمين
ألا يكون سوى أبيها - بين آلاف - أبها
وقضى عليه بأن يجوع

والقمح ينضج في الحقول من الصباح إلى المساء
وبأن يلصّ فيقتلوه .. (وتشرّب إلى السماء
كالمتغيثة ، وهي تبكي في الظلام بلا دموع)
والله - عزّ الله - شاء

ان تهذف المدن البعيدة والبحار إلى العراق
آلاف آلاف الجنود ليستبيحوا ، في زقاق
دون الأزقة أجمعين

ودون آلاف الصبايا ، بنت يائعة الرقائ :

تلك الشقيّة ، ياسمين .

(ذاك اسم جارتها الجديد ، فليتها كانت تراها
هل تستحق اسماً كهذا : ياسمين وياسمين ؟)
ومن الذي جعل النساء

دون الرجال ، فلا سبيل إلى الرغيف سوى البغاء ؟
الله - عزّ وجلّ - شاء

ألا يكنّ سوى بغايا أو حواضن أو إماء
أو خادمتٍ يستبيح عفافهنّ المترفون
أو سائلاتٍ يشتهيهن الرجال المحسنون !!
لو لم تكن أنثى ! - وتسمع قهقهاتٍ من بعيد :
« عباس » عاد من الترصّد بالرجال على الوصيد
ولسوف تنزح راحته غسالة الضيف الجديد .
لو لم تكن أنثى .. وتسمع قهقهاتٍ من بعيد .
يا ليت حملاً تزوجها يعود مع المساء

بالخبز في يده اليسار وبالمحبة في اليمين .
لكن بائسة سواها حدثتها منذ حين

عن بيتها وعن ابنتها ، وهي تشق بالبكاء :
عن زوجها الشرطيّ يحمّله الغروب إلى البغايا
كالغيمة السوداء تنذر بالجماعة والرزايا ،
أزراره المتألقعات على مغالق كل باب
مقلّ الذئاب الجائعات تروّد غاباً بعد غاب
وخطاه مطرقة تسمّر ، في الظلام ، على البغايا
أبوابهنّ إلى الصباح - فلا اتّجار بالخطايا
إلا لعاهرة تجاز بأن تكون من البغايا ...
ويظلّ يخفرون من شبع ، وينثر في الرياح
أغنية تصف السنابل والأزاهر والصبايا ،
وتظلّ تنتظر الصباح وساعديه مع الصباح
تصغى - وتحتضن ابنتها في الظلام - إلى النباح
وإلى الرياح تئن كالموتى وتعول كالسبايا
وتجمّع الأشباح من حفر الخرائب والكهوف
ومن المقابر والصحارى بالمئات وبالألوف ..
فتقف من فزع وتحجب مقلتها بالغطاء ،

ويعود والغيش الحزين يوش بالطل المضاء .

سفن النخيل .. يعود من سهر يئن ومن عياء

— كالغيمة اعتصرت قواها في القفار ، وتوتجها

غير التلال قوى تجوع — لكي ينام الى المساء :

عيش "أشق" من المنية ، وانتصار كالفناء

وطوى يعب من الدماء وسم أفعى في الدماء

وعيون زان يشتها ، كالبحيم يشع فيها

سخر وشوق واحتقار ، لاحقتها كالوباء ...

والمال يمس أشتريك وأشتريك فيشتريها

... ..

... ..

يا ليتها ، إذن انتهى أجل بها فطوى أساها !

« لو أستطيع قتلت نفسي .. » همسة خنقت صداها

أخرى قوسوس : « والبحيم ؟ أتصبرين على لظاها ؟

وإذا اكفهر وضاق لحدك ، ثم ضاق ، إلى القرار

حتى تفجّر من أصابعك الحليب رشاس تار

وتساءل الملكان : فيمَ قتلتِ نفسك يا أثيمه ؟
وتخطّفاك الى السعير تكفرين عن الجريمة .
أفتصرخين : أبي ! فينفض راحتيه من الغبارِ
ويخف نحوك وهو يهتف : قد اتيتك يا سليمه ؟
حتى اسمها فقدته واستترت بآخر مستعارِ
هي - منذ أن عميت - « صباح » ...
فأي سخرية مريره !

أين الصباح من الظلام تعيش فيه بلا نهار
وبلا كواكب أو شموع أو كوى وبدون نار ؟
أو بعد ذلك ترهبين لقاء ربك أو سعيره ؟
القبر أهون من دجاك دجى وأرفق ، يا ضريره
يا مستباحة كالفريسة في عراء ، يا أسيره
تتلفتين الى الدروب ولا سبيل الى الفرار ؟
... ..

وتحسّ بالأسف الكظيم لنفسها : لم تستباح ؟
أهر نام على الأريكة قريبا .. لم تستباح ؟

شعبان أغفى ، وهي جائعة تلمّ من الريح
أصداء قهقهة السكارى في الأزقة ، والنباح
وتعدّ وقع خطى هنا وهباك : ها هو ذا زبون
هو ذا يجيء - وتشرّيب ، وكاد يُلمس .. ثم راح
وتدقّ في أحد المنازل ساعة .. لمّ تستباح ؟
الوقت آذن بانتهايم والزبائن يرحلون .
لمّ تستباح وتستباح على الطوى ؟ لمّ تستباح ؟
كالدرب تذرعه القوافل والكلاب إلى الصباح ؟
الجوع ينخر في حشاها ، والسكارى يرحلون ،
مروا عليها في المساء وفي العشية ينسجون
حلماً لها هي والمنون :

عصبات مهجتها سداه وكل عوق في العيون ،
والآن عادوا ينقضون -

خيلاً فخيلاً من قرارة قلبها ومن الجراح -
ما ليس بالحلم الذي نسجوه ، ما لا يدركون ...
شيئاً هو الحلم الذي نسجوا وما لا يعرفون ،

هو منه أكثر : كالحفيف من الخائل والرياح ،
والشعر من وزن وقافية ومعنى ، والصبح -
من شمس الوضاء... وانصروا ، سكارى يضحكون !
فلنرحلوا . ستعيش ، فهي من السعال ومن عماها
أقوى ، ومن صخب السكارى .

فامض عنا يا أساها !

ستجوع عاماً أو يزيد ، ولا تموت . ففي حشاها
حقدٌ يؤرث من قواها .

ستعيش للنار الرهيب

والداء في دمها وفي فمها . ستنفث من رداها
في كل عرق من عروق رجاها شبحاً من الدم واللهيب ،
شبحاً تخطّف مقلتيها أمس ، من رجل أتاها
سترده هي للرجال ، بأنهم قتلوا أباهـا
وتلقّفوها يعبثون بها وما رحموا صباهـا ،
لم يبتغوها للزواج لأنها امرأة فقيره ،
واستدرجوها بالوعود لأنها كانت غريره ،
وتهامس المتقولون فثار أبناء العشيره

متعطشين - على المفارق والدروب - إلى دماها .
وكان موجة حقدتها ورؤى وأساها .

كانت تقرب من بصيرة قلبها صوراً علامها
صدأ المدينة وهي ترقد في القرارة من عماها :
كل الرجال ؟ وأهل قريتها ؟ أليسوا طيبين ؟
كانوا جوعاً - مثلها هي أو أبيها - بائسين ،
هم مثلها - وهم الرجال - ومثل آلاف البغايا
بالخبز والأطهار يُؤْتَجَرُونَ ، والجسدُ المهين
هو كل ما يتملكون ، هم الخطاة بلا خطايا
وهم السكارى بالشروع كهؤلاء المساكين
من السكارى ، بالخمور.. كهؤلاء الفاجرين بلا فجور
الشاربين - كمن تضاجع نفسها - ثمن العشاء
الدافنين خروق بالية الجوارب في الحذاء ،
يتساومون مع البغايا في العشي على الأجور
ليوفثروا ثمن الفطور !

ليس الذين تغصّبوها من سلالة هؤلاء :
كانوا كآلهة مقطّبة الجباه من الصخور

تتص من فزع الضحايا زهوها ومن الدماء
متطلعين الى البرايا كالصواعق من علاء !
وتحس ، في دمهـا ، كآبة كل أمطار الشتاء
من خفتق أقدام السكارى ، كالأسير وراء سور
يصفي الى قرع الطبول يموت في الشفق المضاء .
هي والبغايا خلف سور ، والسكارى خلف سور ،
يبعثن هن عن الرجال ، ويبعثون عن النساء ،
دميت أصابعهن : تحفر والحجارة لا تـلين ،
والسور يـضعهن ثم يقيـثن ركام طين :
نصباً يخلد عار آدم واندحار الأنبياء ،
وطالول مقبرة تضم رفـات « هابيل » الجنين !
سور كـهذا ، حدثـثوها عنه في قصص الطفولة :
« يـأجوج » (١) يـغرـز فيه ، من حنق ، أظافره الطويلة

(١) قصة يـأجوج ومـأجوج يعرفها كل من قرأ القرآن الكريم ، ولكن
الاساطير الشعبية تضيف اليها انها يـاحـسان السور بلسانيها كل يوم حتى يصبح
في رقة قشرة البصل ، ويدركها التعب فيقولان « غدا سنتم العمل » وفي الغد
يـحـدان السور على عمـده من القوة والمتانة .. وهكذا . حتى يولد لها طفل
يسميانه « ان شاء الله » فيحطم السور .

ويعضّ جندله الأصم ، وكفّ « مأجوج » الثقيله
تهوي ، كأعنف ما تكون ، على جلامده الضخام ،
والسور باقٍ لا يُثَلّ .. وسوف يبقى ألف عام ،
لكنّ (إن - شاء - الإله)
- طفلاً كذلك سمّياه -

سيهبّ ذات ضحىّ ويقلع ذلك السور الكبير .
... الطفل شاب وسورها هي ما يزال كما رآه
من قبل يأجوج اله انا . توأمٌ هو للسعير !
لصّ الحجارة من منازل في السهول وفي الجبال
يتوائب الاطفال في غرفاتها ويكركرون ...
والأمهات يلدن والآباء للغد ييسمون ،
لم يُبتقِر من حَجَرٍ عليها ، فهي ريح او خيال .
وأدار من مُحطَمِ البلاط رحي ، وساط من البطون
ما ترتعیه رحاه من لحم الأجنسة والعظام ،
وكشاطئين من النجوم على خليج من ظلام
يتحرّقان ولا لقاءً ويخمدان سوى ركام -

شق الرجالَ عن النساءِ : 'سلالتين من الانام
تتلاقيان مع الظلام وتَفْصِلان مع الشروق :
زانٍ وزانية ، وبائعة وشارٍ - والطعام
لا الحبُّ والأحقاد لا الأشواق - تنبض في العروق !
زان وزانية ؟ .. أيمكن ذاك وهي بلا عشاء ؟
لمَ يُعرض الزانون عنها وحدها ؟ لمَ يعرضون
وهي الفقيرة فقر شحاذ ؟ أما هي كالنساء ؟
أو ما لها جسد كناضجة الثمار ؟ أيعثرون
لو يقطعون الليل بحثاً والنهار - على سواها
في حسننها هي ؟ في غضارة ناهديها أو صباها
وبسعرها هي ؟ أيَّ شيء غير هذا يبتغون ؟
أ « زهور » أجمل أو « سعاد » ؟ بأي شيء جارتها
تتفوقان ؟

وعضت اليد وهي تهمس : بالعيون ... !
عمياء أنت وحظك المنكود أعمى يا سليمه .
... وتلوب أغنية قديمة

في نفسها وصدى يوشوش : يا سليمة ، سليمة (١)
نامت عيون الناس . آه.. فمن قلبي كي ينيمه ؟
ويل الرجال الأغبياء ، وويلها هي ، من عماها !
لم أصبحوا يتجنبون لقاءها ؟ أيضا جعون
عيونها ، فيخلّفوها وحدها إذ يعلمون
بأنها عمياء ؟ فم يكابرون ومقلتاها
ما كانتا فخذين أو ردفين ؟

وهي بهؤلاء

أدرى ، وتعرف أي شيء في البغايا يشتهون .
بالأمس ، إذ كانت بصيره ،

كان الزبائن بالملئات ، ولم يكونوا يقنعون
بنظرة قمراء تفصّبها من الروح الكسيرة
لترش أفئدة الرجال بها ، وكانوا يلهثون
في وجهها المأجور ، أبخرة الخمر ، ويصرخون

(١) أغنية شعبية « سليمة يا سليمة . نامت عيون الناس . كلي (قلبي)
ش ينيمه ؟ »

كالرعد في ليل الشتاء :

عبرَ ابتسامتها أو الفخذ التي زلق الرداء
عنها ، أو النهدين نمَّ عليها قلق الضياء -
« إن كنتِ لا تتجردين كما أتيت إلى الوجود ،
إن كنتِ لا تتجردين .. فلا نقود ! »

ولعلَّ غيرة « ياسمين » وحقدَها سبب البلاء :
فهي التي تضع الطلاء لها وتمسح بالذرور
وجهاً تطفأت النواظر فيه ...

- « كيف هو الطلاء ؟

وكيف أبدو . ؟ »

- « وردة .. قمر .. ضياء ! »

زور .. وكل الخلق زور ،

والكون مَينٌ وافتراء .

لو تبصر المرآة - لحظة مقلتها - لو تراها

- لمح النيازك - ثم تغرق من جديد في عماها !

.. برقٌ ويُطفأ ... ثم تحكم فرقها بيدٍ ، وفاما

بيدي ، وترسم بالطلاء على الشفاه لها شفاها .
شفتاك عارية وخذك ليس خدك يا سليمة ،
ماذا تخلف منك فيك سوى الجراحات القديمة ؟
وتضمُّ زهرة قلبها العطشى على ذكرى أليمه :
تلك المعابشة اللعوب ... كأنها امرأة سواها !
كالجدولين تحوض ماءهما الكواكب - مقلتاها ،
والشعر يلث بالרגائب والطراوة والعبير
وبمثل أضواء الطريق نعشن في ليل مطير ،
والشعر بين الجلتار وزهرة النهدي الصغير .
كانت إذا جلست إلى المرأة يفتنها صباها
فتظل تعصر نهديها بيدي ، وتحملها رؤاها
من مخدع الآثام في المنفى ، إلى قصر الأمير :
تقتات بالعسل النقي ، وترتدي كسل الحرير .
ليت النجوم تخسر كالفحم المطفأ ، والسماء
ركام قاري أو رماد ، والعواصف والسيول
تدق راسية الجبال ولا تخلف في المدينة من بناء !

أن يعجز الإنسان عن أن يستجير من الشقاء
حتى بؤهم أو برؤيا ، أن يعيش بلا رجاء ...
أو ليس ذاك هو الجحيم ؟ أليس عدلاً أن يزول ؟
شبح الذئاب من القمامة في المدينة ، والخيول
سرحن من عرباتهن إلى الحظائر والحقول ،
والناس ناموا - وهي ترتقب الزناة بلا عشاء .
هذا الذي عرضته كالسبع القديمة : كالحذاء ،
أو كالجرار الباليات ، كأسطوانات الغناء ...
هذا الذي يأبى عليها مشتر أن يشتريه
قد كان عرضاً - يوم كان - ككل أعراض النساء !
كان الفضاء يضيق عن سعة ، وترتخص الدماء
إن رنق النظر الأثيم عليه . كان هو الإباء
والعزة القعساء والشرف الرفيع . فشاهديه
يا أعين الظلماء ، وامتلاي بغیظك وارجميه
بشواظ عارك واحتقارك يا عيون الأغبياء !
- « لا تتركوني يا سكارى

للموت جوعاً ، بعد موتي - ميتة الأحياء - عارا .
لا تعلقوا .. فعماي ليس مهابة لي أو وقارا .
ما زلت أعرف كيف أُرْعش ضحكك في خلل الرداء
= إبتان خلعي للرداء - وكيف أرقص في ارتخاء
وأمسُ أعطية السرير وأشرئبُ إلى الوراء .
ما زلت أعرف كل ذلك ، فجربوني يا سكارى !
من ضاجع العربية السهراء لا يلقى خسارا .

كالقمح لونك يا ابنة العرب ، (١)

كالفيجر بين عرائش العنب

أو كالفرات ، على ملامحه

دعة الثرى وضراوة الذهب .

لا تتركوني .. فالضحى نسي :

(١) ضاع مفهوم القومية عندنا بين الشعوبيين والشوفيين . يجب أن تكون القومية شعبية ، والشعبية قومية . يجب جعل اتحاد محمد وعمر وعلي وأبي ذر والخوارج والشيعة الأرائل والمعتزلة يعيشون عيشة تليق بهم كبشر وكرامة لاجهاد الأمة العربية .

من فاتح ، ومجاهد ، ونبي ا

عربية أنا : أمتي دمها

خير الدماء .. كما يقول أبي .

في موضع الارجاس من جسدي ، وفي الثدي المذال

تجري دماء الفاتحين . فلوؤها ، يا رجال

اواه من جلس الرجال ... فأمس عاث بها الجنود

الزاحفون من البحار كما يغور قطيع دود

يا ليت للموتى عيوناً من هباء في الهواء

تري شقائي

فيري أبي دمه الصريح يعبُ أوشال الدماء

كالوحد في المستنقعات . فلا يرد الخاطبين

أبٌ سواء : لأن جدة أمٌ ذاك من الأماء

ولأن زوجة خال ذلك بنت خالة هؤلاء

أنا يا سكارى لا أرد من الزبائن أجمعين

إلا العفاة المفلسين .

أنا زهرة المستنقعات ، أعبُ من وحل وطن

وأشعّ لونَ ضحىّ ... »

وذكرها بجمعة السنين

سعالها . ذهبَ الشباب !!

ذهب الشباب !! فشيعيه مع السنين الأربعين
ومع الرجال العابرين حبال بابك هازئين .
وأتى المشيب يلف روحك بالكآبة والضباب ،
فاستقبله على الرصيف بلا طعام أو ثياب ،
يا ليتك المصباحُ يخفق ضوءُهُ القَلِقُ الحزين
في ليل نخذعك الطويل ، وليت أنك 'تخرقين'
دماً يحفُّ فتشترين

سواه : كالمصباح والزيت الذي تستأجرين (١) .
عشرون عاماً قد مضين ، وشئتِ أنت ، وما يزالُ
يذرذر الأضواءَ في مُقل الرجال .
لو كنت تدخرين أجرَ سنسناه ذاك على السنين

(١) تدفع البنايا للسمسارات أجراً ليلاً عن المصابيح في غرفاتهم قدره
ربع دينار لكل مصباح

أثرَيتِ ...

ما هو ذا يُضيءُ فأَيُّ شيءٍ تملكين ؟
ويح العراق ! أكان عدلاً فيه أنك تدفعين
سُهاد مقلتك الضريرة

ثُمَّ لملء يديك زيتاً من منابعه الغزيرة ؟
كي يثمرَ المصباحُ بالنور الذي لا تبصرين ؟
عشرون عاماً قد مضين ، وأنت غرثى تأكلين
بنيك من سَغَبٍ ، وظمأى تشربين

حليب ثديك وهو يتزف من خياشيم الجنين !
وكزارعَ لهمَ البذورَ
وراح يقتلع الجذورَ

من جوعه ، وأتى الربيع فما تفتّحت الزهورُ
ولا تنفّست السنابل فيه ...

ليس سوى الصخورِ

سوى الرمال ، سوى الفلاة -

خُنتِ الحياةَ ، بغير علمك ، في اكتداحك للحياة !

كم ردّ موتك عنك موت بنيك . إنك تقطعين
 حبل الحياة لتنقضيه وتضفري حبلاً سواه ،
 حبلاً به تتعلقين على الحياة : تضاجعين
 ولا ثمار سوى الدموع ، وتأكلين ،
 وتسهرين ولا عيون ، وتصرخين ولا شفاه ،
 وغداً بجبلك تشنقين !
 وغداً . وأمس . وألف أمس - كأنما مسح الزمان
 حدوداً ما لك فيه من ماض وآت
 ثم دار ، فلا حدود
 ما بين ليلك والنهار ، وليس ، ثم ، سوى الوجود ...
 سوى الظلام ، ووطء أجساد الزبائن ، والنقود ،
 ولا زمان ، سوى الأريكة والسرير ، ولا مكان !
 لم تحسبين ليالي السأم المسهدة الرتيبسه ؟
 ما العمر ؟ ما الأيام ؟ عندك ، ما الشهور ؟ وما السنين ؟
 ماتت « رجاء » فلا رجاء . ثكلت زهرتك الحبيبه !
 بالأمس كنت إذا حسبت فعمرها هي تحسبين .

ما زال من فمها الصغير

طراوة في حلمتيك ، وكركرات في السرير .
كانت عزاءك في المصيبة ،
وربيع قفرتك الجديد .

كانت نقاءك في الفجور ، ونسمة لك في الهجير ،
وخلصك الموعود ، والغبش الالهي الكبير !
ما كان حكمة أن تجيء إلى الوجود وأن تموت؟
ألتشرب اللبن المرنق بالخطيئة واللعباب :
أو شال ما تركته في ثديك أشداق الذئاب ؟
كان الزئناة يضاجعونك وهي تصرخ دون قوت .
فكأنها ، وهي البريئة ،

كانت تشاركك العذاب لكي تكفر عن خطيئته !
أفترضين لها مصيرك ؟

فاتركيها للتراب

في ظلمة اللحد الصغير تنام فيه بلا مأب .
فالنور والأطفال والبسات حظ المترفين ،

والجوع والأدواء والتشريد حظ الكادحين ..
وأنت بذت الكادحين .

... ..

مات الضجيج. وأنتِ ، بَعْدُ ، على انتظارك للزناه ،
تتنصّتين ، فتسمعين

رنين أقفال الحديد يموت ، في سأم ، صداه :
الباب أُوِصد .

ذاك ليل مرّ ...

فانتظري سواه .

حفار القبور

- ١ -

ضوء الأصيل ينم ، كالحلم الكئيب ، على القبور
واه ، كما ابتسم اليتامى ، أو كما بهتت 'شموع'
في غيبب الذكرى 'يوّم ظلّهنّ' على دموع
والمدرج 'النائي تهبّ' عليه أسراب الطيور ،
كالعاصفات السود ، كالأشباح في بيت قديم
برزت لتُرعب ساكنيه
من غرفة ظلمات فيه .
وتشاءب الطلّل البعيد - 'يحدّق الليل البهيم'

من بابه الأعمى ومن شباكه الخرب البليد .
والجو يملؤه النعيب ..
فتُردُّدُ الصحراءُ ، في يأسٍ وإعوالٍ رتيبٍ ،
أصداءه المتلاشياتُ ،
والريح تذروهنَّ ، في سأمٍ . على التل البعيدِ !
وكانَّ بعض الساحراتُ
مدَّت أصابعها العجاف الشاحباتِ الى السماءِ :
'تومي إلى سربٍ من الغربان تلويحه الرياحُ'
في آخر الأفقِ المضاءِ -
حتى تعال ثم فاض على مراقبه الفساحُ
فكان ديدانَ القبورِ
فارتُ لتلتهم الفضاءَ وتشربَ الضوءَ الغريقُ
وكانما أزفَ النشورُ
فاستيقظَ الموتى عطاشى يلهثون على الطريقِ !
وتدفعُ السربُ الثقيلُ ،
يطفو ويرسب في الأصيل ،

لجبا يرتقى بالظلام على القبور البالياتِ
وظلاله السوداء تزحف ، كالليالي الموحشاتِ ،
بين الجنادل والصخورِ

وعلى القبور !

وتنفس الضوء الضئيلُ

بعد اختناقٍ بالطيوفِ الراحاتِ وبالجمامِ ،
ثم ارتخت تلك الظلال السود وانجأب الظلام :

فانجأب عن ظلٍ طويل

'يلقيه حفارُ القبور' :

كفَّانٍ جامدتان ، أبرد من جباه الحاملين ،
وكانَّ حولهما هواء كان في بعض اللحودِ

في 'مقلةٍ جوفاءٍ خاويةٍ يهوّم في ركودِ'
كفَّانٍ قاسيتان جائعتان كالذئب السجينُ ،

وفمٌ كشقٍّ في جدارِ

'مستوحدي بين الصخور الصمّ من أنقاض دارِ'
عند المساء .. ومقلتان تحدقان ، بلا بريقِ

وبلا دموعٍ ، في الفضاء : -

هكذا المساء

يدنو ، وأشباح النجوم تكاد تبدو ، والطريق

خالٍ - فلا نعشٌ يلوح على مَداه.. ولا عويلٌ -

إلا النعيبُ

وتنهَّدُ الريح الطويل !

وعلامَ تنعب هذه الغربان ، والكون الرحيبُ

بأق يدور .. يعجُّ بالأحياء : مرضى ، جائعين

بيضَ الشعور كأعظمُ الأموات - لكن خالدين

لا يهلكون ؟ علامَ تنعب ؟ إنَّ عزرائيلَ مات !

وغداً أموتُ ، غداً أموت ! »

وهزَّ حفارُ القبورُ

يُمناه في وجه السماء ، وصاحَ : ربُّ ! أما تثور

فتبيدَ نسلَ العار .. "تحرق" ، بالرجوم المهلكات ،

أحفادَ عادٍ ، باعةَ الدمِ والخطايا والدموعِ ؟

يا ربَّ .. ما دام الفناءُ

هو غاية الأحياء ، فأمر يهلكوا هذا المساء !

سأمت من ظمأ وجوع

إن لم يمت - هذا المساء إلى غدٍ بعض الأنام؛

فابعث به قبل الظلام !

يا رب .. أسبوع طويل مر كالعام الطويل ،

والقبر خاوي ، يفغر الفم في انتظار .. في انتظار ،

ما زلت أحفره ويطمره الغبار -

تتأهب الظلماء فيه ويرشح القاع البليل

بما تعصر أعين الموتى وتنضحه الجلود :

تلك الجلود الشاحبات وذلك اللحم النثير !

حتى الشفاه يمس من دمها الثرى - حتى النهود

تذوي ، ويقطر ، في ارتخاء من مراضعها ، المغير^(١) !

واها لهاتيك النواهد ، والمآقي ، والشفاه !

واها لأجساد الحسان ! أيا كل الليل الرهيب

والدود ، منها ، ما تمناه الهوى ؟ واخيبتاه !

(١) اللبن المزوج دماً .

كم جثةٍ بيضاء لم تفتضها شفتا حبيبٍ ،

أمسى يضاجعها الرغام ؟

هل كان عدلاً أن أحنّ إلى السراب ، ولا أنال

إلاّ الحنين - وألف أنثى تحت أقدامي تنام ؟

أفكلّها اتّقدتْ رغباً في الجوانح شحّ مال ؟

ما زلت أسمع بالحروب - فأين أين هي الحروب ؟

أين السنايك والقذائف والضحايا في الدروب ..

لأظلّ أدفنها وأدفنها .. فلا تسع الصحارى

فأدسُ في قمم التلالِ عظامهنّ وفي الكهوف ؟

فكأن قعقة المنازل في اللظى - نقر الدّفوفِ

أو وقع أقدام العذارى

يرقصن حولي لاعباتٍ بالصنوج وبالسيوف !

نُبئتُ عن حربٍ تدور - لعلّ عزرائيل فيها ..

في الليل يكدح والنهار ، فلنّ يمرّ على قرانا

أو بالمدينة وهي توشك أن تضيقَ بساكنيها !

نبئت أن القاصفاتِ هناك ما تركتْ مكاناً

إلاّ وحلّ به الدمار .. فأى سوقٍ للقبور !
حتى كأن الأرض من ذهب يُضاحك حافريها ،
حتى كأن معاصرَ الدم دافقاتٌ بالحمور !
أوّااه لو أنى هناك أسدّ ، باللحم النثير ،
جوعَ القبور وجوعَ نفسي .. فى بلادٍ ليس فيها
إلاّ أراملَ ... أو عذارى غاب عنهنّ الرجالُ
وافترضهنّ الفاتحون إلى الدماء - كما يُقال !
ما زلت أسمع بالحروب . فما لأعين موقديها
لا تستقرّ على قرانا ؟ ليت عيني تلتقيها
وتخضّهنّ إلى القرار - وكالنيازك والرعودِ
تهوي بهنّ على النخيل ، على الرجال ؛ على المهودِ !
حتى تحدّق أعين الموتى ، كآلاف الآلى ،
من كل شبرٍ فى المدينة .. ثم تنظم كالعقودِ
فى هذه الأرض الخراب - فيا لأعينها ويا لى !
رباه ! إنى أقشعرُ ... أكاد أسمع فى الخيال
أغنيةً تصف العيون ...

تنثال من مقهى ، فأنصت في الزحام ، وينصتون !
وكان ما بيني وبين الآخرين من الهواء
ثدي سخي بالحليب وبالحمية والأخاء .
يا رب .. أسبوع يمر ولست أسمع من غناء
إلا النعيب

وتنهّد الريح الرتيب !

واخيبتاه ! ألن أعيش بغير موت الآخرين ؟
والطيبات : من الرغيف ، إلى النساء ، إلى البنين
هي منة الموتى علي . فكيف أشفق بالأنام ؟
فلتمطرنهم القذائف بالحديد وبالضرام ،
وبما تشاء من انتقام :

من حميات أو جذام !

نذر علي : لئن تشب لازرعن من الورود
ألفاً تروى بالدماء ... وسوف أرصف بالنقود
هذا المزار ... وسوف أركض في الهجير بلا حذاء
وأعد أحذية الجنود ...

وأخطُّ ، في وحل الرصيف وقد تلتخ بالدما ،
أعدادهنَّ ... لأستبيحَ عداذهنَّ من النهودِ !
وسأدفنَ الطفلَ الرميَّ وأطرح الأمَّ الحزينه
بين الصخور على ثراه ...

ولسوف أغرز بين ثدييها أصابعي اللعينه .
ويكاد يخنقها لهائي وهي تسمع ، في لظاه ،
قلبي ووسوسةَ النقودِ .. نقودها ! واخجلتاه !
أنا لست أحقرَ من سواي . وإن قسوت فلي شفيحُ
أني كوحشٍ في الفلاء ...

لم أقرأ الكتبَ الضخام - وشافعي ظمأ وجوع .
أو ما ترى المتحضرين

المزدهين من الحديد بما يطير وما يذيع ؟
مها ادنأت فلن أسفَّ كما أسفُّوا ... لي شفيح
أني نويت .. ويفعلون ؛ وإنَّ من يئد البنين
والأمهات ويستحل دم الشيوخ العاجزين
لأحطُّ من زانٍ بما انتهك الغزاة وما استباحوا !

والقاتلون هم الجناة وليس حفار القبور ؛
وهم الذين يلوّثون لي البغايا بالخمر ،
وهم المجاعة ، والحرائق ، والمذابح ، والنواح ،
وهم الذين ستركون أبي وعمته الضريه
بين الخرائب ينبشان ركامهن عن العظام ،
أو يفحصان عن الجذور ، ويلهثان من الأوام...
والصخر كالمقل الضريه .

وسيوثقون بشعر أختي قبضتي .. وكالظلام
وكخضّة الحمى ، تسمّرها على دمها صدور
تعلو وتهبط باللهات ، كأنهن رحيّ تدور .
يا مجرمون ، إلى الوراء ! فسوف تنتفض القبور
وتقيء موتاهها . ويا موتى ، على اسم الله ثوروا
رباه ، عفوك .. ان « قابيل » المكبّل بالحديد
في نفسي الظلماء هبّ وقرّ يعصره المسلال !
فالليل جاء ، وما أزال

توحدأ أرعى القبور وأنفض الدرب البعيد .

وكان يا بشرى ! كأنّ هناك في أقصى الجنوب
خطاً كأذيال الظلام ولمعة كدم الغروب !
لكأنه ضيفٌ جديد ! »

وبدا الجنازُ ، وراح يشفق وهو يدنو في ارتخاء ،
الأوجه المتحجّرات يضيئها الشفق الكئيب ،
والغمغمات الخافتات من انفعالٍ أو رياء ،
والنعشُ يحجبه غطاءُ

الوانه المترنّحات كأنما اعتصرَ المغيّبُ
فيها قواه ، وذاب فيها كوكب واهي الضياء ،
حتى إذا انهل الترابُ وصُفحَ القبر الجديد ،
وتراعى الألقُ الضئيل ، على الظهور المتعباتِ
حتى اضمحل ، وغيّبتها ظلمةُ الأفق البعيد -
كانت مصابيح السماء تذرُ ضوءاً كالضبابِ
بين القبور الموحشاتِ

وعلى الخرائب والرمال . وكان حفار القبورِ
متعثر الخطوات يأخذ دربه تحت الظلام ...

يرعى مصابيح المدينة وهي تحفق في اكتئاب ،
ويظل يحلم بالنساء العاريات وبالخمر ،
وتحسست يده النقود وهياً الفم لابتسام -
حتى تلاشى في الظلام !

٢

النور ينضح من نوافذ حانة عبر الطريق ،
وتكاد رائحة الخمر

تلقي ، على الضوء المشبع بالدخان وبالفطور
ظلاً كألوان حيارى واهيات من حريق
نار . تهوّم ، في الدجى الضافي ، على وجه حزين .
وتلوح أشباح عجاف

خلف الزجاج .. تهيم في الضوء السرابي الغريق .
ويشد حفار القبور على الزجاجاة باليمين ،
وكمن يحاذر أو يخاف

يرنو إلى الدرب المنقط بالمصابيح الضئال ،
وتحركت شفتاه في بطاء وغمغم في الخذل :

« أظننت أنك سوف تقتحم المدينة كالغزاه ...
كالفاتحين . وتشترىها بالذي ملكت يداك :
بأقل من ثمن الطلاء القرمزي على شفاه
أو في أظافر لاحقتها ، ذات يوم ، مقلتك ،
سأعود ، لا نهديّ عصره يدي حتى الدهول ،
حتى التأوه ، والأنينِ وصرخة الدم في العروق
والسكرة العمياء .. والحدرد المضعضع . والأفول !
والأذرع المتفتّرات - يلوّن الضوء الخفوق
هزاتها المستسلمات ، وينفح الدم والعبير
ظلّهن على السرير .
الأذرع المتفتّرات ، وزهرتان على الوساد
نستجتها كفّ مخضبة الأظافر - زهرتان
تتفتحان على الوسادة كالشفاه ، وتهمسان
نغماً يذوب إلى رقاد .
ونعومة الكتفين ، والشعر المعطر ، والشحوب ،
وتألق الجيد الشهيّ ، ولفحة النفس البهير .

والنور منفلتاً من الأهداب .. تثقله الطيوب ،
قلقاً كمصباح السفينة راوحته صبا لعوب ،
وتخافق الأظلال في دعة ، ووسوسة الحرير .
والحمتان : أشد فوقها بصدري في اشتهاؤ -
حتى أحسها بأضلاعي وأعتصر الدماء
باللحم والدم والحنايا ، منها - لا باليدين ،
حتى تغيبا فيه - في صدري - إلى غير انتهاء ،
حتى تمصا من دماي .. وتلفظاني ، في ارتخاء ،
فوق السرير ...

وتشرئباً

ثمّ نشوي جثتين ! »

٣

دربٌ كأفواه اللهود -
لولا التماعات الكواكب ، وانعكاس من ضياء
تلقية نافذة - ووقع خطى تهاوى في عياء
يُصدي له الليل العميق ، وحارسٌ تعبٌ يعود

وسنان يحلم بالفراش وزوجيه : 'تذكي السراج'
وتؤجج التنور صامته .. وأخيلة' اللهب
'تضفي عليها ما تشاء' من اكتباب وابتهاج .
ثم اضمحل الحارس المكدود ، والنغم الرتيب :
- وقع الخطى المتلاشيات . كأنه الهمس المريب -
ما زال يخفق من بعيد .

وتملت قدمان ، وارتفعت يد بعد انتظار
وهوت على الباب العتيق ، فأرسل الخشب البليد
صوتا كايقاع المعاول حين إدبار النهار
بين القبور الموحشات . وأطبق الصمت الثقيل ،
وأطل من إحدى النوافذ، وهي 'تفتح في ارتياب' ،
وجه حزين .. ثم غاب !

وتحرك الباب المضغضع وهو 'يحش بالعويل' .
وتقول أنثى في اكتباب :

« ضيف جديد ! » ثم تفرك مقلتيها في فتور .
ويظل يزحف كالكُسوف - 'يحجب الألق الضئيل'

عن وجهها - ظلٌ بقيدها بحفّار القبور !

٤

في زهوة الشفقِ الملوّنِ حيثُ يحترق النهارُ -
في عودة الرّعيانِ أشباحاً يظللها الغبار -
في ساعة الشوقِ الكئيبِ إلى شواطئ كالضبابِ ،
وإلى أكفٍ 'مخلصات' ،

وإلى أغاني 'مبهاتٍ' هائتٍ في شعابِ
أنأى من الأصداءِ .. تغشاها 'نجومٌ' ساهات -
في ساعة الشفقِ الملوّنِ كان إنسانٌ يثورُ
بين الجنادل والقبورُ ،

نفسٌ معذّبة تثورُ

بين الجنادل والقبور :

« أأظلُّ أحلم بالشعوش ، وأنفضُ الدرب البعيدُ
بالنظرة الشزراء ، واليأسُ المظللُ بالرجاءُ
يطفو ويرسب ، والسماء كأنها صمٌ بليدٌ
لا مأملٌ في مقلتيه .. ولا شواظ .. ولا رثاء ؟

لو أنها انفجرت 'تَقْهَقْه' بالرعود القاصفات !
لو أنها انكشت 'وصاحت كالذئاب العاويات :
« فات الأوان » ، فخطَّ لحدَّك واثور فيه إلى النشور !
لو أنها انطبقت عليَّ كأنها قم' أفعوان !
لو أنها اعتصرت 'قواي ! .

. وماتَ ظلُّ الأرجوان

في آخر الأفق البعيد ، ولآلات قطرات نور
مما 'تبعثره المدينة' وهي تبسم في فتور .
وكانما رضعت مصابيح المدينة 'مقلتها
فسرت' لهيباً في دماها 'وألغمتها بالرغاب ،
وكانهنَّ ، على المدى المقرور ، آلاف الشفاه
تدعوه ظمأى ، لاهثات .. مثل أحداق الذئاب :-
« مازلت تحترقين من فرح » ، وأحترق انتظاراً ،
'صبي سناك على التراب

وعلى الكؤوس الفارغات : وبَعَثْريه على كتاب
أو بين أغطية الموائد وهي تنتظر النهار ..

ظَلَّتْ "تَعَابِثُهَا شِفَاهَ الرِّيحِ"، وَانصَرَفَ السَّكَارَى!
رَاحُوا إِلَيْهَا مُسْرِعِينَ - إِلَى الَّتِي ارْتَعَشَتْ قَوَاهَا
بَيْنَ التَّوَجُّعِ وَالذُّهُولِ ، عَلَى يَدَيَّ وَفِي دِمَائِي .
لَيْلٌ وَأَعْقِبُهُ الصَّبَاحُ .. وَنَبَّأَتْنِي مَقْلَتَاهَا
أَنَا أَنْتَهينَا .

يَا سَمَاءُ ، وَيَا قُبُورُ .. أَمَا أَرَاهَا ؟
لَا بُدَّ مِنْ هَذَا ! - وَصَوَّبَ مَقْلَتِيهِ إِلَى السَّمَاءِ
حَنِقًا يُزَجِّرُ ، ثُمَّ أَطْرَقَ وَهُوَ يَحْمِلُ بِاللِّقَاءِ :
بَابٌ تَفْتَحُ فِي الظَّلَامِ . وَضَحْكَةٌ . وَشَذَى ثَقِيلٌ ..
وَيَدَانِ تَجْتَذِبَانِ أَغْطِيَةَ السَّرِيرِ وَتُرْخِيَانِ
إِحْدَى السَّائِرِ ...

ثُمَّ تَتَطَفَّئَانِ فِي الضُّوءِ الضَّئِيلِ !
وَتَغِيْمُ أَخِيْلَةٌ وَتُجَلِي - ثُمَّ تَبْرُزُ حَامِتَانِ ...
وَيُطْلُ وَجْهُ شَاحِبِ الْقَسَمَاتِ مُخْتَلِجِ الشِّفَاهِ .
وَتَغِيْمُ أَخِيْلَةٌ وَتُحْلِي - ثُمَّ تَفْتَحُ مَقْلَتَاهُ :
فِي رِى الْقُبُورِ ،

ويرى المصاييح البعيدة كالمجامر في اتقاد ،
ويرى الطريق إلى القبور

يكتظّ بالأشباح زاحفة إليه على اتقاد ،
فيصيح من فرح : « سألقاها ، فإن على الطريق
نعشاً .. وإن حفّ النساء به وأملق حاملوه !
إني سألقاها ! » - وينهض وهو يرفع باليمين
فانوسه الصدى العتيق ..

يلقي سناه على الوجوه

وعلى الدثار القرمزي وفي عيون القادمين .
لو أنه اخترق الدثار بمقلتيه وبالضياء -
لو حدثّ التابوت عمن فيه .. أو رفعت يداها
« أو هبة » للزعزع النكباء حاشية الغطاء
تحت النجوم الساهات ...

لكاد ينكر من رآها !

ماتت كمن ماتوا ، وواراها كما وارى سواها :
واسترجعت كفتاه من يدها المحطمة الدفينه

ما كان أعطاها - وإن حملت يد امرأةٍ سواها
تلك النقود .. بل البقايا من نفايات المدينة -
وتظل أنوار المدينة وهي تلمع من بعيد ،
ويظل حفار القبور
ينأى عن القبر الجديد
متعثر الخطوات .. يحلم باللقاء ، وبالخمر !

الأسلحة والأطفال

١

عصافيرُ ؟ أم صبية ترحُ
عليها سناً من غدٍ يلمح ؟
وأقدامها العارية
محارٌ يُصلصل في ساقيه .
لأذياهم رفّةُ الشمالِ
سرتُ عبر حقلٍ من السنبِلِ ،
وهسيسةُ الخبز في يوم عيدٍ ،
وغمغمةُ الأمِّ باسم الوليد
تناغيه في يومه الأولِ .

كَأَنِّيَ أَسْمَعُ خَفَقَ الْقُلُوعِ
وَتَصْخَابَ بِحَارَةِ السَّنْدِبَادِ...
رَأَى كَنْزَهُ الضَّخْمَ بَيْنَ الضَّلُوعِ
فَمَا اخْتَارَ إِلَّا كَنْزاً... وَعَادَ!

صَدَىَّ عَابِرٌ مِنْ وَرَاءِ الْعُصُورِ :
مِنَ الْكَهْفِ ، وَالْغَابِ ، وَالْمَعْبَدِ ،
سَرَى دَافِئًا مِنْ عُرُوقِ الصَّخُورِ
وِإِزْمِيلَ نَحَاتِهَا الْمُجْتَهِدِ ،
يَفْنِي بِأَشْوَاقِهِ الْعَاتِيهِ
إِلَيْنَا : إِلَى الْقِمَّةِ الْعَالِيهِ ...
إِلَى أَنْ يَفْلُ الرَّدَى بِالْحَيَاةِ
وَتَلْقَاهُ أَجْيَالُهَا الْآتِيهِ
عَلَى صَخْرَةٍ حَمَلَتْهَا يَدَاهُ
تَحَايَاهُ : فِي بَسْمَةٍ فِي الشِّفَاهِ
وَفِي أَعْيُنِ حَجَرَتْ مَقْلَتَاهُ
عَلَيْهَا دُمُوعُهَا الْجَارِيهِ .

صديّ رجّعتَه الأَكُفّ الصغارُ
يصفّقن في الشارع المشرقِ
كخفق الفراشات مرّ النهار
عليها بفانوسه الأزرق.

وكم من أبٍ آيبٍ في المساء
إلى الدار من سعيه الباكرِ ،
وقد زمّ من ناظره العناء
وغشّاهما بالدم الخائر ؛
تلقّاه ، في الباب ، طفلٌ شرود
يكرّك بالضحكة الصافية ،
فتنهّل سمحاء ملء الوجود ،
وتزرع آفاقه الداجية
نجوماً ، وتنسيه عبء القيود .

وهُمّ في ليالي الشتاء الطوال

ربيعٌ من الدفء والعافيه ،
تلمّ العجائزُ فيه الورود
ويلحن عهد الصبا ثانيه ،
ويرقصن بين التلال
يرجحن أرجوحة في الخيال:
بعذراءَ في ليلةٍ مقمره
وفي ظلّ تفاحةٍ مُزهره
تنام العصافير فيها ...

وهم في الصباح
خطى خافقاتٌ على السلمِ ،
وأيدٍ على أوجهِ النومِ
يدغدغنّها في مزاح !
وأغنيةٌ من أغاني الطريق
بلحن سوى لحنها الأول
وشأوى من الصوت مستعجل .
وهم رِفقة الأم إذ تستفيق

وإذ تُشعل النارَ في الموقد
كخيطٍ ترى فيه بدء الغد !

٢

عصافيرُ ؟ أم صبيةٌ ترح ؟
أم الماء : من صخرة ينضح
فيخضلُ عشبٌ وتندى زهور
زهورٌ ونور

وقبرةٌ تصدح
وتفاحةٌ مزهرة

لحق العصافير فيها
صديُّ قبلة الأم تلقى بنيتها
- « دعيني .. فما تلك بالقبرة !
دعيني أقل أنه البلبلُ
وإن الذي لاح ليس الصباح »^(١)

(١) شكسبير : روميو وجوليت .

أَتَلَسَّكَ السَّفِينُ الَّتِي تُعَوِّلُ
عَلَى مَرْفَأٍ نَافِثَةٍ الرِّيحُ ؟
تُلَوِّحُ مِنْهَا أَكْفُ الْجُنُودِ
لَأَلْفِ كـ «جُولِيَّت» فَوْقَ الرِّصِيفِ :
« وَدَاعاً وَدَاعَ الَّذِي لَا يَعُودُ ! »
وَأُمٌّ كَمَا اسْتَوْحِشْتُ فِي الْخَرِيفِ
وَرَاءَ الدَّجَى ، دُوحَةً عَارِيَةً
وَفَرَّتْ عَصَافِيرُهَا الشَّادِيَةَ !

عَصَافِيرُ ؟ أُمُّ صَبِيَّةٍ تَمْرَحُ ؟
أُمُّ الْمَاءِ مِنْ صَخْرَةٍ يَنْضَحُ
وَلَكِنْ عَلَى جُثَّةٍ دَامِيَةٍ ؟
وَقَبْرَةٍ تَصْدَحُ
وَلَكِنْ عَلَى خَرْبَةِ بَالِيَةٍ ؟
عَصَافِيرُ ؟ !

بَلْ صَبِيَّةٌ تَمْرَحُ
وَأَعْمَارُهَا فِي يَدِ الطَّاغِيَةِ ؛
وَأَلْحَانُهَا الْحُلُوةُ الصَّافِيَةِ

تغلغل فيها نداء بعيد :

« حديد عتيق ... ييق

رصا ... ص

حديد يد :

وكالظلّ من باشق في الفضاء

— إذا اجتاحت، كالمدينة الماضية،

عصافير تشدو على رايه —

ترامى إلى الصبيبة الأبرياء

نداء تنشقت فيه الدماء

» حديد عتيق ..

حديد عتيق !

رصا... ص، فحتى كأن الهواء

رصاص، وحتى كأن الطريق

حديد عتيق .

وينقضّ، كالمعول الحافر،

صدي راعب من خطى التاجر.

له الويل .. ماذا يريد ؟
« حديد عتيق

رصا ... ص

حديد ! »

لك الويل من تاجرٍ أشأمِ
ومن خائضٍ في مسيل الدمِ
ومن جاهلٍ أن ما يشتريه
- لدرء الطوى والردى عن بنيه -
قبورٌ يوارون فيها بنيه !
« حديد عتيق

رصاص .. ص

حديد .. »

حديدٌ عتيقٌ لموتٍ جديد !

- ٣ -

« حد . . يد »

لمن كل هذا الحديد !

لقيدٍ سُلوى على معصمٍ ،
وتصلٍ على حُلْمَةٍ أو وريدٍ ،
وقُفْلٍ على الباب دون العبيد ،
وناعورةٍ لاغترافٍ الدم .
« رصا .. ص »

لمن كل هذا الرصاص ؟
لأطفال كوريّة البائسين ،
وعُمَّال مرسيليا الجائعين ،
وأبناء بغدادَ والآخرين
إذا ما أرادوا الخلاص
حديد

رصاص

رصاص

رصاص !

(حديد ...)

وأصغي إلى التاجرِ ،

وأصغي إلى الصبية الضاحكين؛
وكالنصل قبل انتباه الطعين ،
وكالبرق ينفض في خاطري
ستار ، وكالجرح إذ ينزف -
أرى الفوهات التي تقصف
-تسد المدى- واللظى، والدماء.
وينهل كالغيث ، ملء الفضاء ،
رصاص ونار : ووجه السماء
عبوس لما اصطك فيه الحديد.
حديد ونار ، حديد ونار ..
وثم ارتطام ، وثم انفجار ،
ورعد قريب ، ورعد بعيد
وأشلاء قتلى ، وأنقاض دار !
حديد عتيق لغزو جديد
حديد .. ليندك هذا الجدار
بما خط في جانبيه الصغار

وما استودعوا من أمان كبار:

« سلام »

كان السنا في الحروف
تخطى اليها ظلام الكهوف
بأمال انسانها الأول
وما اختط من صورة في الحجار
تحدث بها الموت: فهي انتصار
وتتوق إلى العالم الأفضل؟

« حديد »

رصاصا ... ص

حديد عتيق

رصاصا... « ليخلو هذا الطريق
من الضحكة الثرة الصافية
ونخفق الخطى والهتاف الطروب.
فمن يملأ الدار عند الغروب
بدفء الضحى واخضلال السهوب؟

لظى الحقد في مقلة الطاغية
ورمضاء أنفاسه الباقية
يطوفان بالدار عند الغروب
وأطلالها البالية !

حديد عتيق

نحاس عتيق ،
وأصداء صفارة للحريق !

٤

« حديد ، حديد »
وأمّ تبيع السرير العتيق ،
تبيع الحديد الذي أمس كان
مهاداً عليه التقى عاشقان
وشدّ نداء الحياة العميق
دراعاً بأخرى ، فما تخفقان !
فيا حسرتاً حين يمسي غداً
شظايا تدوي وبعض المدى

تُنحى بها عن ذراع ذراع
وينهد مهده ، ويخبو شعاع

أمن حيث ' كان التقاء الشفاه
على الحب : ينسجن خيط الحياه -
يحوك الردى غزله الأسودا
دماً أو دخاناً ؟ . يحوك الردى
شباكاً من النار حول البيوت
على صبيةٍ أو صبايا تموت ؟
ويرقد حتى حديد السرير
جناحاً عليه المنايا تغير ،
وحتى الذي في عيون الدُمل
من المعدن الزئبقي الحسير .
رصاصاً أباح الصدى مُرّزماً

٥

» حديد ، عتيق ، حديد ، حديد
وأقدامها العارية

محارٌ يصلصل في ساقيه ،
ويعتاد بالي - كرعدٍ بعيد -
ضجيج الخطى وانهيار الصخور
وخفق الفوانيس في المنجم ،
وما نض من عاريات الظهور
وما انسح في سعة من دم !
وملءُ السنن من غبار الحديد ،
نواقيسُ فيها يرن السكون ..
وأجراسُ مركبة من بعيد
يخف لها صبية يلعبون :
نواقيس في الفجر ، واليوم عيد ،
وفي الماء أظلال جسر جديد ،
وهمس النواعير ، والزارعون ،
وفي كل حقل - كنبض الحياة -
تهتز المحاريث قلب الثرى
وتسبني القرى :

قرى طينها من رميم الطفاه .
وتخضلّ حتى الصخور الضئينه ،
ويثمر حتى سراب الفلاه
مدينه

فأخرى ، فأخرى ، إلى منتهاه !
« حديد ... حديد ! »
وأقدامها العاريه ،

وخفق الفوانيس في المنجم ،
وأعماقه الرطبة الداجيه
كظلّ الردى - فاغرات الفم ،
كبثري من الظلمة الطاميه
ستمتاح منها ألوف القبور ،
ويهوي - مع الزعزع العاتيه -
عمى من دجاها على كل نور :
على النور من باب كوخ مضاء
ومن كوة في خيام الرعاء

ومن شرفة ظلّتها الياسمين
- « دعيني أقلّ انه البلبل »
وان الذي لاح ليس الصباح -
على النور من موقد السامرين
ومن مدرج بالسنا يُغسل ؛
على كلّ نور ، تذرّ الرياح
ظلال الطواغيت في المنجم
كناعورة لاغتراف الدم .
تذرّ الرياح ، الرياح ، الرياح ،
أراجيح في الملعب المظلم
وخفق الفوانيس والأنجم
وخفق الخطى والأكف الصغار
وخفق الفراشات مرّ النهار
عليها بفانوسه المعتم .
فمن يملأ الدار عند الغروب
بدفء الضحى واخضلال السهوب ؟

رصاص، حديد، رصاص، حديد
وآهات، ثكلى، وطفل، شريد!

ومن يُفهم الأرض أن الصغار
يضيقون بالحفرة الباردة؟ (١)
إذا استنزلوها وشطّ المزار
فمن يتبع الغيمة الشاردة؟
ويلهو بـلقط المحار؟
ويعدو على ضفّة الجدول؟
ويسطو على العشّ والبلبل؟
ومن يتهجّى — طوال النهار —
ومن يلثغ الراء، في المكتب؟
ومن يرتقي فوق صدر الأب
إذا عاد من كدّه المتعب؟
ومن يؤنس الأمّ في كل دار؟

(١) ايدىث سيتويل في قصيدتها أم ترثي طفلها : « ان الأرض عجوز
شاخه حق لا تعلم بأن الصغار حركون كظلال الربيع . »

أسىّ موجع أن يموت الصغار .
أسىّ ذقتُ منه الدموع ، الدموع
أجاجاً ومثل اللظى في الفم ،
وأحسستُ فيه اشتعال الدم
بعينيّ ، من نازفات الضلوع :
عويل من القرية النائية
وشيوخ ينادي فتاهُ الغريق
بهذا الطريق وذاك الطريق ،
ويسعى إلى الضفة الخالية
يسائل عنه المياه

ويصرخ بالنهر .. يدعو فتاه ؛
ومصباحه الشاحب
يفنّي سدىّ زيتته الناضب :
« محال تراه ! »

ويحنو على الصفحة القاتمة
يحدّق في لفة عارمه

فما صادفت مقلتناه

سوى وجهه المكفهر* الحزين
ترجرجه رعشة في المياه
تغمغم : « لا ، لن تراه ! »

٦

« حديد عتيق » ورعب جديد !
« حديد

رصا ... ص ،

لأن الطغاه

يريدون ألاّ تتم الحياة
مداها ، وألاّ يحسّ العبيد
بأنّ الرغيف الذي يأكلون
أمرّ من العلقم.

وأنّ الشراب الذي يشربون
أجّاج بطعم الدم

وأنّ الحياة الحياة انعتاق ،

وأن ينكروا ما تراه العيون:
فلا بيدراً في سهول العراق ،
ولا صبية في الضحى يلعبون
ولا همس طاحونة من بعيد ،
ولا يطرق الباب ساعي البريد
ببشرى ، ولا منزل

يضيء الدجى منه نورٌ وحيد
سخيٌّ كما استضحك الجدول ،
ولا هدهدات ، ولا جلبة
يرنّ بساق الوليد

وبين الربى في رقاب الجداء ،
ولا وسوس الشاي فوق الصّلاء ،
ولا قصة في ليالي الشتاء .
لأن الطواغيت لا يسمعون
صداح العصافير في المغربِ
- كما صلصل الفضة القامرون -

ولا زفة السبل المذهب .
لأن الطواغيت لا يحملون
بغير المبيعات والأسهم .
وان الطواغيت لا يسمعون
سوى رنة الفلس والدرهم .
لأن الطواغيت لا يبصرون
على الشاطئ الأسنوي البعيد
سوى أن سوقاً يباع الحديد
وتستهلك الريح والنار فيها .
تدرّ العطايا على فاتحيها .

- ٧ -

بأقدام أطفالنا العارية
يميناً ، وبالخبز والعافية :
إذا لم نعفر جباه الطغاة
على هذه الأرجل الخافية
وأن لم ندوب رصاص الغزاه

حروفاً هي الأنجم الهادية
(فمنهنّ في كل دارٍ كتاب
ينادي : قفي واصدأي يا حراب)
وان لم نضو القري الداجية
ولم نخرس القوتّات الغضاب
ونجل المغيرين عن آسيه ..
فلا ذكرتـنا بغير السباب
أو اللعن أجيالنا الآتية !

سلام على العالم الأرحب ،
على الحقل ، والدار ، والمكتب ،
على معمل الدثمي والنسيج ،
على العش والطائر الأزغب ،
على التوت وسان فيه الأريج
ووقع المجاديف في المغرب ،
على زهرة في وساد العروس ،
على صبية في انتظار الأب ،

على شاعر تستحجّ الشموس
بعينه ، يصفي إلى جندب ؛
سلام على العالم الأرحب .
سلام على (الكنج) فاض النعم
ورنت أغاريد ، في ضفتيه :
قرى من سنا عاصرات عليه
عناقيد من ضوئهنّ العظيم .
سلام على الصين والحاصدين
وصياد أسماكها الأسمر ،
وما أنبتت من دم الثائرين
وما افترّ في البيرق الأحمر ؛
على صبية في قراها البعاد
وفي ظلّ تفتحها المزهر
وما جرّرت في ليالي الحصاد
ثياب العذارى على البيدر .
سلام لأن الربيع

يمرّ بودياننا كل عام ،
وما زال قوس الغمام .

ولولا الذي كدّسوا من نضار
به يستضيئون دون النهار
تجوع الملايين عن جانبيه
وينحطّ ، في كل يوم ، عليه
دمّ من عروق الورى أو نثار
كذرّ الغبار —

لما هزّت الأمّات المهود
على هوة من ظلام اللحد ،
ولم تذرف الدمع عبر البحار
وعبر الصحارى ، نساء الجنود ،
ولم يرفع الزراع الاشيب
إلى مقلتيه ، اليد الراجفه
يحدّق في عتمة العاصفه
ويصغي وفي روعه «القاصفه» ،

ولم يبكِ صرعى بنيه الأب
جزوعاً بأن يشكل الآخرين ،
ولا شرّدت نومة العاشقين
كوابيس من أعين الهالكين
وإرثان صفارة تنعب :
«وغى...» ، فاستفاقوا ولا كوكب
ولا لمعة من سراج تبين
سوى قعقات السلاح
وعصف الرياح ،
ولا ساءل الأم طفل غريب :
ألا بلدة ليس فيها سماء ؟
— فلا قاذفات المنايا تغير
ولا من شظايا تسد الفضاء —
ولا اختض في الصرصر اللاجئون
ولألاء « يافا » تراه العيون
وقد حال من دونه الغاصبون

بما أشرعوا من عطاش الحراب
وما استأجروا من شهود كذاب
وما صفتحوا بالردى من حصون .
سلامٌ على العالم الأرحب
على مشرق منه أو مغرب .
سلامٌ لآفون^(١) روى عروق
شكسبير والزهر والدالية .
أفقٌ شاعرٌ النور ، أن الشروق
تهده غيمة داجية ،
سمى « مكبث »^(٢) تحتها في احتراس
لقتل النعاس ...
لقتل النعاس البريء :

(١) آفون : نهر في بريطانيا ، يمر بقرية شكسبير .
(٢) مكبث : بطل إحدى مسرحيات شكسبير وقد قتل دنكان وهو
نائم في ضيافته مطمئن إليه : « لقد قتل مكبث النعاس ، النعاس البريء »
شكسبير .

سلام لباريس «روبسيير»^(١)

و «إلوار» والغابة الحالمه

وعشاقها في المساء الأخير

تذريهم قوة ظالمه

كدوامه من رياح السعير:

على «تونس» من لظاها ظلال

وحول «الرباط» المدمى هدير

وفي جيرة الصين حل الخذال

بقطعائها الفضة الضارية

لك المجد يا آسيه !

سلام لفينيس^(٢) والكرنفال

(١) روبسيير : بطل الثورة الفرنسية وإلوار : الشاعر الفرنسي الحر
العظيم .

(٢) فينيس : مدينة البندقية بإيطاليا .

وأضوائه الثرة الزاهية ،
وهمس المحبين بين الظلال
وفي دفء قرائه الضاحية .

٨

عصافير ؟ أم صبية ترح ؟
أم الماء من صخرة ينضح ؟
وأقدامها العارية
مصابيح ملء الدجى تلمح ،
هتكنا بها مكن الطاغية
وظلماء أوجاره البالية .
علينا لها : انها الباقية
وأنّ الدواليب في كل عيد
سترقى بها الريح .. جذلي تدور !
ونرقى بها من ظلام العصور

إلى عالم كل ما فيه نور .

(رصاص، رصاص، رصاص، حديد

حديد عتيق) ..

لكونٍ جديد !

شناشيل ابنة الجلي

شَنَاشِيلُ ابْنَةُ الْحَيَّي

و

اَقْبَسَالُ

شناشيل ابنة الجلي (١)

وأذكرُ من شتاء القريةِ النضاحِ فيه النورُ
من خلل السّحابِ كأنّه النّغمُ
تسرّبَ من ثقوب المعزف - ارتعشتْ له الظلمُ
وقد غنّى - صباحاً قبلَ ... فيم أعدُّ ؟ طفلاً كنت
أبتسمُ
لليلي أو نهاري أثقلتْ أغصانه النشوى عيونُ الحورِ .
وكنا - جدّنا الهدّار يضحك أو يغني في ظلال الجوسق
القصبِ

(١) الشناشيل : شرفة مغلقة ، مزينة بكثير من الخشب المزخرف
والزجاج الملون ، كان شائعاً في البصرة وبغداد قبل مائة سنة .
والجلي لقب هو عند المصريين « شلي » وعند الأوربيين « ماركيز » .

وفلاحيه ينتظرون : « غيثك يا إله » وإخوتي في
غابة اللعيب

يصيدون الأرانبَ والفراش ، و (أحمد) الناطور -
نحدق في ظلال الجوسق السمرء في النهار
ونرفع للسحاب عيوننا : سيسيل بالقطر .

وأرعدت السماءُ فرنَّ قاعُ النهر وارتعشتُ ذرى السَّعَفِ
وأشعلهنَّ ومضُ البرقُ أزرقَ ثمَّ أخضرَ ثمَّ تنطفئُ
وفتحت السماءُ لغيثها المدرار باباً بعد بابٍ
عاد منه النهر يضحك وهو ممتلئُ

تكلُّه الفقائعُ ، عاد أخضرَ ، عاد أسمرَ ، غصَّ
بالأنغام واللَّهْفِ

وتحت النخل حيثُ تظلُّ تمطرُ كلُّ ما سقته

تراقصتِ الفقائعُ وهي تُفجِّرُ - إنَّه الرُّطْبُ

تساقطَ في يد العذراء (١) وهي تهزُّ في لهفه

يجذع النخلة الفرعاء (تاجٌ وليدك الأنوارُ لا الذهبُ ،

(١) « وهزي إليك يجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » (سورة
مريم - القرآن الكريم) .

سيصلب منه 'حب' الآخرين ، سيُبرىءُ الأعمى
ويبعث من قرار القبر ميتاً هداه التعب
من السفر الطويل إلى ظلام الموت ، يكسو عظمه اللحم
ويوقد قلبه الثلجي فهو بحبه يشب' !) .

* * *

وأبرقت السماء ... فلاح ، حيت تعرج النهر ،
وطاف معلقاً من دون أسّ يلثم الماء
شناشيل' ابنة الجلي نور حوله الزهر'
(عقود ندى من اللبلاب تسطع منه بيضاء)
وآسية الجميلة كحل الأحداق منها الوجد والسهر' .

* * *

يا مطراً يا حلي
عبّر بنات الجلي
يا مطراً يا شاشا
عبّر بنات الباشا^(١)
يا مطراً من ذهب .

* * *

(١) هكذا يعني الأطفال في قرى البصرة حين تمطر السماء : « مطر ،
مطر ، حلي . عبر بنات الجلي » الخ ..

تقطّعتِ الدروب ؛ مقص هذا الهاطلِ المدرارِ
قطّعها ووراها ،

وطوّقتِ المعابرُ من جذوع النخل في الأمطارِ
كفرقى من سفينةِ سندبادَ ، كقصّةِ خضراء أرجأها وخلأها
إلى الغديرِ (أحمدُ) الناطورُ وهو يدِيرُ في الغرفةِ
كؤوسَ الشاي ، يلمس بندقيته ويسعل ثم يعبر طرفه
الشُرْفه

ويخترق الظلامَ .

وصاح « يا جدي » أخي الثرثارُ :
« أنمكث في ظلام الجوسقِ المبتلِ » ننتظرُ ؟
متى يتوقفُ المطرُ ؟ »

* * *

وأرعدتِ السماءُ ، فطار منها « ثمة » انفجرا
شناشيلُ ابنةِ الجليّ ..

ثمّ تلوحُ في الأفقِ
« ذرى قوس السحاب . وحيث كان يُسارق النّظرا
شناشيلُ الجميلةِ لا تصيبُ العينُ إلا حمرةَ الشّفقِ .

* * *

ثلاثون انقضت ، وكبرتُ : كم حبٍّ وكم وجدٍ
توهج في فؤادي !
غيرَ أني كلما صفقتُ يدا الرُّعدِ
مددتُ الطَّرفَ أرقبُ : ربما ائتلقَ الشناشيلُ
فأبصرتُ ابنةَ الجلي مقبلةً إلى وعدي !
ولم أرها . هواءٌ كلُّ أشواقٍ ، أباطيل
ونبتٌ دونما ثمرٍ ولا ورْدٍ !

لندن ١٩٦٣/٢/٢٤

إرم خات العماد

(عند المسلمين أن « شداد بن عاد » بنى جنة
لينافس بها جنة الله ، هي « إرم » . وحين أهلك
الله قوم عاد ، اختفت « إرم » وظلت تطوف ،
وهي مستورة ، في الأرض لا يراها إنسان إلا مرة
في كل أربعين عاماً . وسعيد من انفتح له بابها) .

من خلَّلِ الدُّخان من سيَّكاره ،
من خلَّلِ الدخان

من قدَحِ الشاي وقد نشَّر ، وهو يلتوي ، إزاره
ليحجبَ الزمان والمكان ،
حدثنا جدُّ أبي فقال : « يا صغار » ،
مقامراً كنتُ مع الزمان ؛

نقودي الأسماك ، لا الفضة والنضار ،
والورق الشباك والوهار (١) .
وكنت ذات ليله
كأنما السماء فيها صدأ وقار ،
أصيد في الرمثيله
في خورها العميق ، أسمع المحار
موسوساً كأنما يبوح للحصى وللقفار
بموطن اللؤلؤة الفريده ،
فأرهف السمع لعلّي أسمع الحوار .
وكان من ندى الخريف في الدجى بروده
تدب منها رعشة في جسدي فأسحب الدثار .
وانفرج النيم فلاحت نجمة وحيده
ذكرت منها نجمتي البعيده
تنام فوق سطوحها وتسمع الجرار
تنضح (يا وقع حوافر على الدروب
(١) الوهار : أداة لصيد السمك تصنع من أغصان الشجر .

في عالم النُّعاس ؛ ذاك عنترٌ محبوب
دجى الصُّحارى . إن حيَّ عبلةَ المزارِ) .
فسرتُ والسَّماءُ وجهتي ، ولا دليلُ ،
أرقبُ نجمها الوحيدُ ، والشُّعاعُ
يخفتُ أو يؤجُّ مانعاً ومانحاً ، وكالشُّراع
ترفع أو تحطُّه الرِّيحُ في الصُّراع .
أسرتُ ألفَ خطوة ؟ أسرتُ ألفَ ميلٍ ؟
لم أدرِ إلا أنِّي أمالي السُّحرُ
إلى جدارِ قلعةٍ بيضاءٍ من حَجَرٍ ،
كأنما الأَقمارُ منذ ألفِ ألفِ عامٍ
كانت له الطُّلاءُ ،
كأنما النجومُ في المساءِ
سلنَ عليه ثمَّ فاض حوله الظُّلَامُ .
وسرتُ حول سورها الطويلُ
أعدُّ بالخطى مداه (مثلَ سندُ بادُ
يسيرُ حول بيضة الرُّخِّ ولا يكاد

يعود حيث ابتداءً

حتى تغيب الشمس ، غشى نورها سواداً ،

حتى إذا ما رفع الطرفَ رأى ... وما رأى ؟ (

حتى بلغتُ في الجدار موضعَ العمادِ

تقوم فيه ، كالذئبي ، بؤابةً رهيبه

غلّفها الحديدُ ، مدّاً حولَها نحيبه

أراه بالعيون لا تحسُّه المسامعُ .

وقفتُ عندها أدقُّ ..

يا صدىّ أراجعُ

أنت من المقابر الغريبه ؟

أحسُّ في الصدى

برودةَ الرّدى ،

أشمُّ فيه عَفَنَ الزّمان والعوالمِ العجيبه

من إرَمٍ وعادٍ .

وحين كلُّ ساعدي

وملّني الوقوفُ في الظلامِ

(كناسك ، كعابد
يرفضه الإله في معبده ، يظل لا ينام
ولا يريد الماء والطعام ،
يصيحُ : « كن على الهوى مساعدي
يا رافعَ السماء ، يا موزعَ الغمام ») .
جلستُ عند بابها كسائلٍ ذليلٍ
جلستُ أسمع الصدى ، كأنه العويلُ ،
يلهثُ خلفَ حائطٍ من حَجَرٍ ثَقِيلٍ .
كانَ بين دَقَّةٍ ودَقَّةٍ يمرُّ ألفُ عامٍ
وما أجاب العدمُ الخواءُ .
وحين أوشك الصبحُ يهمس الضياءُ
نعستُ ، نمتُ ... واستفقتُ : مر ألفُ جيلٍ !!
الشمسُ والفلاة
والغيثُ والسماءُ
وكل ما أراه
هناك حيث كان سورُها ، المياه

تشمُّ في الخليجُ .
وقال جدُّنا ولجَّ في النشيجُ :
« ولن أراها بعدُ ، إنَّ عمريَّ انقضى
وليس يُرجع الزمان ما مضى .
سوف أراها فيكم ، فأنتم الأريج
بعد ذبول زهرتي . فإن رأى إرم
واحدكم فليطرق البابَ ولا ينم .
إرم ...
في خاطري من ذكرها أَلَمُ ،
حلمُ صباي ضاعَ ... آهِ ضاع حين تمَّ
وعمري انقضى . »

لندن ٢١/٢/١٩٦٣

في الليل

الغُرْفَةُ موصدة البابِ
والصمتُ عميقُ
وستائرُ شبّاكي مرخاةٌ ..
رُبَّ طريقٍ
يتنصّتُ لي ، يترصدُ بي خلفَ الشبّاكِ ، وأثوابي
كمفرّجٍ بُستانٍ ، سودُ
أعطاها البابُ المرصودُ
نَفَسًا ، ذرّ بها حسّاً ، فتكادُ تفيقُ
من ذاك الموتِ ، وتهمس بي ، والصمتُ عميقُ :
« لم يبقَ صديق

ليزورك في الليل الكابي
والغرفة' موصدة' الباب' .
ولبست ثيابي في الوهم
وسريت' : ستلقاني أمي
في تلك المقبرة الشكلي ،
ستقول : « أتقتحم' اللئلا

من دون رفيق ؟
جوعان' ؟ أنا كل من زادي :
خروب' المقبرة الصادي ؟
والماء' ستنهله نهلا
من صدر الأرض :
ألا ترمي

أثوابك ؟ والبس' من كَفَنِي ،
لم يبَلَّ علي مر' الزَمَنِ ؛
عزريل' الحائك' ، إذ' يبلى ،
يرفوه . تعال ونَم' عندي :

أعددتُ فراشاً في لَحْدِي
لَكَ يَا أَعْلَى مِنْ أَشْوَاقِي
لِلشَّمْسِ ، لَأَمْوَاهِ النَّهْرِ
كسلى تجري ،
لهُتَافِ الدَّيْكِ إِذَا دَوَّى فِي الْآفَاقِ
فِي يَوْمِ الْحَشْرِ .
سَأَخْذُ دَرْبِي فِي الْوَهْمِ
وَأُسِيرُ فِتْلِقَانِي أُمِّي .

لندن - ٢٧ / ٢ / ١٩٦٣

هي انتظار رسالة

وذكرتها ، فبكيت من ألمي :
كالماء يصعد من قوار الأرض ، نزل إلى العيون دمي
وتحرقت قطراته الملاحقات لتستحيل إلى دموع
يخنقني فأصك أسناني ، لتنقذ الضلوع
موجاً تحطم فوقهن وذاب في العدم .

دخان من القلب يصعد
ضباب من الروح يصعد
دخان . . . ضباب
وأنت الخطاف وراء البحار ، وأنت انتحاب

ونوحٌ من القلب كالمُدَّ يصعد
ودمعٌ تجمدُ
وغصت به الآهُ في الحنجُرهِ .
ذكرتُك يا كلُّ رُوحِي ويا دفءَ قلبي إذْ الليل يبرد
ويا روضةً تحت ضوء النجوم بقدرِ احبها مُزهره .

وذكرتُ كلَّتنا يهف بها ويسبحُ بي مداها
قمرٌ تحيرَ كالفراشةِ ، والنجومُ على النجوم
دندنُ كالأجراس فيها ، كالزنابق إذْ تعومُ
على المياهِ ... وفضضَ القمرُ المياهَ .
وكانَ جسمك زورقُ الحبِّ المحمّلُ بالطيوبِ
والدَّفءِ ، والمجدافُ همسٌ في المياهِ يرن آها
فآها والنشعاس يسيل منكِ على الجنوبِ
فينامُ فيه النشخلُ تلتمعُ السطوحُ بنومهنَّ إلى الصباحِ .
أواه ، ما أحلاكِ ! نام النورُ فيكِ ونمتِ فيه ،
والليلُ ماءً ، والنشباح
مثل الحصى ينداح فيه ، وأنتِ أوَّلُ وارديه .

هو الصَّيْفُ يَلْتُمُ شَطَّ العراقِ
بغياته ذاب فيها القَمَرُ ،
وتوشِكُ تسبح بيضُ النجوم لولا برودة ماء النهرِ
وهفَّ شراعٌ لأضلاعه في الهواء اصطفاقٌ ،
وغنى مغنٍ وراء النخيل
يغمغمُ : « يا ليلُ » ، طال السَّهرُ
وطال الفراق !
كانَ جميعَ قلوبِ العراقِ
تنادي ، تريد انهارَ المطرِ .

وصعدتُ نَحْوَكِ والنَّعاسَ رياحُ فائزاتُ تحملُ الورقا
لتمسَّ شَعْرَكَ والنَّهْودَ به ، تموتُ
حيناً وتلهثُ في النوافذِ من بيوت
ألقاكِ في عُرفاتها ، وأشدُّ جسمكِ فاراً واحترقا .
إنسي أريدكِ ، أشتيكِ أمسُ ثغركِ في رساله
: طال انتظاري وهي لا تأتي ، وتحترقُ الزوارقُ والتخوت

في ضفّة العشار تنفضُ ، وهي لاهثةٌ ، ظلّاله
علّ الرّياحَ حملنَ منكِ لها رساله .
لمَ تبخلين عليّ بالورقات ، بالحبر القليل وسحبة القلم الصّموت ؟
إني أذوب هوىً ، أموتُ
وأحنُّ منكِ إلى رساله .

لندن ١٩٦٣/٣/٩

الباب تفرعه الرياح

البابُ ما قرعته غيرُ الرِّيحِ في اللَّيْلِ العميقِ ،
البابُ ما قرعته كفُّك .
أين كفُّك والطَّرِيقُ
نائمٌ ؟ بحارٌ بيننا ، 'مدُن' ، صحارى من ظلامِ
الرِّيحِ تحمل لي صدى القُبُلَات منها كالحرِّيقِ
من نخلةٍ يعدو إلى أخرى ويزهو في الغمامِ

* * *

البابُ ما قرعته غيرُ الرِّيحِ ...
آهٍ لعلَّ روحاً في الرِّيحِ
هامت تمرّ على المرافئ أو محطاتِ القطارِ

لتُسائل الغرباء عني ، عن غريبٍ أمسٍ راح
يمشي على قدمين ، وهو اليوم يزحفُ في انكسارٍ .
هي روحُ أُمِّي هزها الحب العميق ،
حب الأمومة فهي تبكي :

« آه يا ولدي البعيدَ عن الديار !
ويلاه ! كيف تعودُ وحدك ، لا دليلَ ولا رفيقَ ؟ »
أماه .. ليتك لم تغيبِ خلف سورٍ من حجارٍ
لا بابَ فيه لكي أدق ولا نوافذَ في الجدارِ !
كيف انطلقتِ على طريقٍ لا يعود السَّائرونُ
من ظلمةٍ صفراء فيه كأنها غسقُ البحارِ ؟
كيف انطلقتِ بلا وداع فالصَّغار يولولون ،
يتراكضون على الطريق ويفزعون فيرجعون
ويُسائلون الليلَ عنك وهم ليعودك في انتظارٍ ؟
الباب تقرعه الرياح لعلَّ روحاً منك زارُ
هذا الغريب !! هو ابنك السهرانُ يحرقه الحنين .
أماه ليتك ترجعينُ

شبحاً . وكيف أخافُ منه وما امتّحتُ رغم السنينُ
قسّاتُ وجهيك من خيالي ؟
أين أنتِ ؟ أسمعينُ
صرخاتِ قلبي وهو يذبحه الحنينُ إلى العراقِ ؟

* * *

الباب تقرعه الرياحُ تهبّ من أبدِ الفراقِ .

لندن ١٣/٣/١٩٦٣

من ليالي السهاد

١ - ليلة في لندن

كما ينسلُّ نورٌ خائفٌ من 'فرجةِ البابِ
إلى الظلماءِ في 'غرفه
سمعتُ 'هتافَه المجرَّوحَ يعبرُ نحويَ الشَّرْفَه
ليرفعَ من سماوةِ لندنَ اللَّيْلَ المَطِيلَ بلونه الكاوي
على الطُّرُقَاتِ ترقدُ في دثارِ الثلجِ ملتفَه .
وأمسَ سمعتُ في إيرانَ صوتَ الديكِ في الفجرِ ،
ومن أفقِ المنائرِ في الكويتِ وزرقةَ البحرِ
أهابَ ، فرشٌ جفني بالنَّعاسِ (رنينُ أكوابِ
بماءِ البصرةِ الرِّقراقِ 'تملاً ثم تسقيني) ،
نداءٌ راح ينثره المؤذِّنُ . . : أطفئِءَ الفانوسَ ، رفَّ ضياؤه رفَّه

وبعثه الظلام .

وليلي الأواه في بيروت 'يحييني

لأبصرَ فيه وجهَ الموت ، راح يُذيبُه نبعٌ من اللّهُفهِ
تدفّقَ من فؤاد البلبُل المسكوب بين غصون البَلابِ

ليالٍ من عذابٍ ، من سقامٍ ، لستُ أنساها :

غريباً كنتُ حتى حين أحلمُ ، لستُ في جيکور

ولا بغداد ، أمشي في صحارى قلبي المسعور

يُريد الماءَ فيها : « ماءٌ ... أين الماء ؟ » وهي تُتريه أفواها

على آفاقها الرّبداء ظمأى تشرب الدّيجور

فلا تروى . أقضي العمر في صحراء ، في ليلٍ من العطّشِ ؟

أفتشُ عن عيون الماء ، عن إشراقة الغبّشِ ؟

كأعمى نال منه الشّكرُ صاح ، ورفرفت كفاه بين مساند الماخور

ليبحثَ عن رفيقٍ : « أين جاري ؟ أين داري ؟ أين — أواه —

أميرتي التي كانت تناولني كؤوسَ النّورِ ؟

فيُبصرُ قلبي الدنيا ويلقاها ؟ »

كأنّ الصّبحَ أشرقَ في العراق ، وتعبّر الرُّؤيا

بِجَارٍ أَبِى وَتَطْوِي أَلْفَ دَرَبٍ فِي الدَّجَى تَاهَا :
تَرَاوَعَ عَالَمٌ وَأَطْلُ ثَانٍ : عَالَمٌ يَحْيَا
عَلَى الْأَقْمَارِ تُوَلَّدُ ثُمَّ تَكْمَلُ ثُمَّ تَنْدَثِرُ ،
وَمَا لِبَسِ الْجَدِيدَ بَغَيْرِ يَوْمِ الْعِيدِ ، يَدْتَخِرُ
وَيَجْمَعُ ثُمَّ يَنْفَقُ ثُمَّ يَضْحَكُ وَهُوَ يَفْتَخِرُ
بِأَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ حِينَ يَرْزُقُ ... هَكَذَا الدُّنْيَا
شَتَاءٌ ثُمَّ صَيْفٌ . لَيْسَ فِي جَيْكُورٍ مُحْتَكِرٍ
وَلَا فِيهَا مَصَارِفٌ أَوْ جَرَائِدُ : « لَيْلٌ كُورِيًّا
يُرَى شَفَقًا مِنَ النِّيرَانِ » .

فَالنِّيرَانِ فِيهَا حِينَ تَسْتَعْرِ
تَضِيءُ لِحَى الشُّيُوخِ بِحَدَّثُونَ ، وَأَعْيُنَ النِّسْوَةِ
تَحْدَقُ فِي الطَّعَامِ وَتَرْقُبُ الْأَطْفَالَ فِي نَشْوِهِ .
أَعِدْنِي يَا إِلَهَ الشَّرْقِ وَالصَّحْرَاءِ وَالنَّخْلِ
إِلَى أَيَّامِي الْحُلُوهِ ،
إِلَى دَارِي ، إِلَى غِيلَانَ الثَّمَةِ ، إِلَى أَهْلِي !

لندن ٣ / ٢ / ١٩٦٣

٢ - ليلة في باريس

وذهبتِ فانسحب الضياء ،
أحسستُ بالليل الشتائي الحزين ، وبالبكاء
ينثال كالشلال من أفقٍ تحطّمه الغيوم .
أحسستُ وخزّ الليل في باريس ، واختنقَ الهواء
بالقهقهات من البغايا ... آه ! ترتعش النجوم
منها كبثور الثريات الملطّخ بالدماء
في حانةٍ لمدى السكارى في جوانبها انتضاء .
لم يبقَ منك سوى عبير
يبكي وغيرُ صدى الوداع : « إلى اللقاء ! » .
وتركتِ لي شفقاً من الزّهرات جمّعها إناء

كالأنجم الزرقاء والحمراء في أفقٍ به حلم الصغير ،
أرجعن لي 'عمرَ الطفولة : يا محاراً في غدير
تتقارعُ الأقداحُ فيه ، ترن أجراسُ كثار :
خوخٌ وأعنانٌ ورمّانٌ ... وتمتليءُ الجرار
عند الغروب ؛ هو الخريف ونحن نسمر حول نار .
وكمستفيقٍ في العراء

من حلمه : هو شهريار وتلمس الكفُ الخواء
ذهبَ التُّرابُ ... ورنٌ في الليل النشباحُ أو العواء ،
عانقتُ كفّك باليدين : « إلى اللقاء »
- « إلى اللقاء » !

وذهبتِ فانسحبَ الضياء .
لو صحَّ وعدك يا صديقه ،
لو صحَّ وعدك . آه لانبعثتُ وفيقه
من قبرها ، ولعاد عمري في السنين إلى الوراء .
تأتين أنتِ إلى العراقِ ؟
أمدُّ من قلبي طريقه

فامشي عليه . كأنما هبطت عليه من السماء
عشتار فانفجر الربيع لها وبرعت الغصون :
توت ودفلى والنخيل بطلعه عبق الهواء ،
وهو الأصيل وتلك دجلة

والنواتي الخفاف يردون :

« يا ليتني نجم الصباح

آه لأسقط يا حبيبي ، إذ تنام ، على الغطاء ،
أعتل بالبرد : ارتجفت فلفني ، برّد الهواء ! ،
وهو الأصيل وأنت في جيّكور تجتذب الرياح
منك العباءة ، فاخليها ...

ليس يدثر الضياء !

يتماوج البلسم^(١) النحيل بنا ، فتنتثر النجوم
من رفّة المجداف كالأسماك تغطس أو تعوم ،
ويحار بين الضفتين بنا كأننا منه في أبد الزمان :
زمن ولا ماضٍ يعود له ، ولا غدّ كي يسير

١ - البلم: زورق البصرة ذو الشكل الشبيه، إلى حد ما، بجندول (البندقية).

إليه . تنطفئُ النجومُ ونحن نحن العاشقان .

وذهبتِ فانسحب الضياء ،

لم يبق منك سوى عبير

يبكي وغير صدى الوداع : « إلى اللقاء ! »

وتركت لي شفقاً من الزهرات جمعها إناء ...

باريس ١٨/٣/١٩٦٣

٣ - ليلة في العراق

وألهبَ كل ألواح الزجاج الزُّرق في الظلماءُ
فَنورَ غرَفتي ، إِيماضُ برقيٍّ ثم رشٌّ مدارجَ الأفقِ
نُشارٌ من حُطام الرعد فارتعشتْ له الأصدا
وحفٌّ ، على الدجى ، غابٌ من الأمطار والأزهار والورقِ ،
وكنْتُ أصيح من أرقى
ومن مرضي : « أريد الماء ! »
وتحنق صوتي الظمآن وهوَّه الدجى والماء .
ويعول من بعيدٍ بوقٌ سيَّاره
يجيءُ إليَّ عبرَ الماء في الحاره ،
يجيءُ إليَّ من أعماق بحرٍ شمسهُ الخضراء

تنثُ على شراع السندباد أزاهرَ الشَّفَقِ .

وكنْتُ أصبحُ من أرقى

ومن مرضي : « أريد الماء ! » .

كأني وسط هذا الكون حيث يسوطني العطشُ

نواةٌ حولها ارتجفَ العصيرُ الحلوُ في ثمره

ويحرقها صداها .

وانتظرتُ : سيغسل الغبشُ

صداي ، يحيلني شجره

تمصُّ الماءَ ، يقرع في مداها النشغُ !

* * *

وألقى البرقُ ، أرقصَ ، ظلُّ نافذتي على الغرفة

فذكرني بماضٍ من حياتي كله ألمُ :

طفولتي الشقيسةُ ، والصبي ، وشبابي المفجوع تضطرمُ

مشاعري البريئة فيه : كيف يجوع آلافُ من الأطفال ملتفتة

بآلاف الخُروق تعريد الريح الشتائيّة

بها وأظلُّ أحلمُ بالهوى ، والشطُّ والقمرِ ؟

وتزحم كل دربٍ من دروبي هذه الخُوَذُ الحديدية
وتتبعني عيون الموت من زُمَرِ البنادق نَزَّ بالشررِ
كواها ... في دروب الجوع ألُهت زائغَ النظر .
وإذ يتمرّد الإنسانُ فيّ على العبودية
أثور على الشيوعيّة .

ولكنّ البنادقَ ما تزال عيُونُها الغضبيّة
تطارِدني لأنّي غيرَ ربّي وحده ، لم أتَّخذ ربا .

* * *

وحين تنفست عند انحصار اللَّيل عُشتار
تنفّضُ جرحَ تمّوزَ المدمى ، تغسل التّربا
عن الجنّيات منه ، وحين هدّ البغي ثَوَّارُ ،
أرحتُ جبينِي المحمومُ

على شبّاك داري أرقب الدّربا
تدفّق بالحبال وبالعصيّ يشدّها العار
لتسحبَ أو تمزّقَ جسمَ طفلٍ ثغره المحروم
من القبلات والغنوات والزادِ

ينادي دون صوتٍ :
« آه يا أمّتي ! عرفتُ الجوع والآلام والرُّعبا

ولم أعرف من الدنيا سوى أيتام أعياد
فتحت العين فيها من رقادي لم أجد ثوباً
جديداً أو نقوداً لامعاتٍ تملأ الجيبا
لأن أبي فقيراً كان . »

يا لك ثورةً تتأكلُ القلب
فأصرخ : « أيها الجبناء كفتوا ! »

ثم تزحم دربي الخوذ الحديدية
وتخنق من فم التنور في داري
فألهث في دروب الجوع أطحن من حصاها ثم أعجنه
وأقذفه إلى النارِ
لأطعم منه زغباً يطلبون الزاد في قر العشيات الشتائية .

* * *

ويمضي بالأسى عامان ، ثم يهدّني الداءُ ...
تلاقفني الأسرّة بين مستشفى ومستشفى
ويعلكني الحديد .
ومن دمي ملأ الأطباء

قنانيّ وزعوني في القناني : تصبغ الصيفا
دمائي والشتاء .

و ذات صبح قيل إن الشرّ قد دحرا
ودكّ معاقل الطاغوت في بغداد أبطال
فقلت : سأوقد القمر
سراجاً عند بابي : إنّه ظفري ، أما قالوا
بأن الشرّ قد دحرا ؟

* * *

وعدتُ إلى بلادي . يا لنقالات إسعاف
حملن جنازتي !! متمدّداً فيها أئنُ رأيتُ (غيلانا)
يحدّق ، بانتظاري ، في السّماء وغيمها السّافي .
وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا
ويفجأني النّذير بأنّ أعواماً من الحرمان والفاقة
ترصدُ بي هنا ، في غابة الخوْذِ الحديديّ

* * *

غريقٌ في عباب الموج تنحبُ عنده الغاقه (١)
تئنُّ الريح في سَعَف النخيل ، عليه .. ترثيه .
قصائده الحزينة بين أوراقٍ من الدفلى أو الصفصاف تبكيه !

البصرة ١٩٦٣/٤/٨

١ - الغاقه : النورس ، طائر بحري

خلا البيت

خلا البيت ، لا خفقة من نعال
ولا كركات على السُّلَّم ،
وأنت على الباب ريح الشمال
وماتت على كرمه المظلم :
تلاشت خُطى موكب الدافنين
ومن مسجد القرية المعتم
تلوى ، كما رف فوق السفين
شراع حزين ،
أذان (هو الله باقٍ ، و زال
عن الأرض إلا هـ) : الله أكبر ؛

وفي قبره اهتزّ ، كالبرعم
إذا الصُّبْحُ نوّر ،
دفينٌ ... وأصغى : أنين الرمال
وتهويدهُ النّخل ينعّس والليلُ أقمر .
وفي بيته الآن — خلّ العويلُ
ونوحَ اليتامى وندبَ النساءُ —
لقد فتّح الآن زهرُ الشتاء
ليملأ تنوره بالشذى والضياء ،
أنار وجوهاً وأخفى وجوهاً ، فسال الأصيل
ينثُ سنابله الدافئه ،
وسمراء تُصغي إلى الشاي فوق الصّلاء
يوسوس عن خيمةٍ في العراء
وعن عيشةٍ هانئة .

* * *

خلا البيت وانسلّ لونُ المغيب
إلى المخدع المقفر ؛
هنا كان يطوي خيوط الدروب

صغيران تطفئُ شمس الغروب
بشمريهما نار فانوسها الأحمر ؛
إذا ما ارتخت تحت ظل الهجير
جفونٌ يرتقٍ فيها النعاس
أفاء إلى قصّةٍ عن أمير
تخطّفه الجنُّ حتى أتى منزلاً من نحاس
تلامح شباكهِ عن أميرهِ
تدلّي إليه الضفيرهِ
ليرقى إليها .
خلا البيت إلا أنينٌ يابقا
يصعّدها شاطئٌ من حنين .

البصرة ٢٦/٧/١٩٦٤

جيكور واشجار المدينة

أشجارها دائمة الخضرة
كأنها أعمدة من رخام
لا عري يعرفها ولا صفره ،
وليلها لا ينام
يطلع من أقداحه فجره .
لكن في جيكور
للصيف ألوانا كما للشتاء ،
وتغرب الشمس كأن السماء
حقل يمص الماء ،
أزهاره السكرى غناء الطيور .

فأحلة كالصدي
أنغامه البلور ،
كأن فيها مدى
يجرّ حنّ قلبي فيستنزفنّ منه النور .
وتغرب الشمسُ وهذا المساء
أمطر في جيّكور ...
أمطر ظلًا ، نثّ صمتًا - مساء
غافٍ على جيّكور .
والليلّ في جيّكور
تهمس فيه النجوم
أنغامها ، تولد فيه الزهور
وتتحقق الأجنحة
في أعين الأطفال ، في عالمٍ للنّوم - مرّت غيوم
بالدرب مبيضًا بنور القمر ،
تكاد أن تمسحه ،
تسرق منه الزّهْر ...

البصرة ٢٢/٤/١٩٦٣

ها .. ها .. هوه

تنامين أنت الآن واللَّيلُ 'مقمر'
غانيه أنسام وراعيه مزهر ،
وفي عالم الأحلام ، من كلَّ دَوْحَةٍ
تلقَّاكِ مَعْبَرٍ
وبابٌ غفا بين الشجيرات أخضر .
لقد أثمر الصمتُ (الذي كان يُثمر
مع الصُّبْحِ بالبوقات أو نوحِ بائعِ) ،
بتينٍ من الذكرى وكرمٍ يقطرُ
على كلِّ شارعٍ
فيحسو ويسكر

برفقٍ فلا يهذي ولا يتنمرُ .

* * *

رأيتُ الذي لو صدق الحلمَ نفسهُ
لدا لك الفها

وطوقَ خصرًا منك واحتاز معصا ؟
لقد كنتَ شمسَه

وشاء احتراقًا فيك ، فالقلبُ يُصهر
فيبدو ، على خديكِ والثغرِ ، أحمر
وفي لَهْفٍ يحسو ويحسو فيسكرُ .

* * *

لقد سثم الشعرَ الذي كان يكتبُ
كما ملَّ أعماقَ السماء المذنبُ
فأدمى وأدمعا :

حروب وطوفان ، بيوتٌ تدمرُ
وما كان فيها من حياةٍ تصدعا .
لقد سثم الشعرَ الذي ليس يذكرُ

فأغلقَ للأوزان باباً وراءه
ولاح له بابٌ من الآسِ أخضر
أراد دخولاً منه في عالم الكرى
ليصطاد حلاً بين عينيك يخطر
وهيات يقدر !

* * *

من النفس ، من ظلماتها ، راح ينبع
وينثال نهرٌ سال فأنحلٌ مزر
من النور عن وضاءٍ تحبو وتظهر .
وفي الضفة الأخرى تحسّين صوته
(فما كان يُسمعُ)
كما يشعر الأعمى إذِ النور يظهر ،
يناديك :

« ها .. ها .. هوه »

ماءٌ ويقطر

من السّعة النّشوى
بما شربت من غيمةٍ نشأ نجوى

وأصداً أقدامٍ إلى الله تعبرُ .

* * *

وناديتِ : « ها .. ها .. هوه » لم ينشرِ الصدى
جناحيه أو يبكِ الهواء المثرثرُ .

ونادي وردّدا :

« ها .. ها .. هوه ! »

وفتحتِ جفناً وهو ما زال ينظرُ ،
ينادي ويجار .

لندن ٢٩ / ٢ / ١٩٦٣

أحبيني ... !

وما من عادي نكرانُ ماضيّ الذي كانا ،
ولكن .. كلُّ من أحببتُ قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ ؛ عشقتُ سبعا كنّ أحيانا
ترف شعورهن عليّ ، تحملني إلى الصينِ
سفائنُ من عطور نهودهن ، أغوص في بحرٍ من الأوهام والوجد
فالتقط الحمار أظنُّ فيه الدُرَّ ، ثم تطلّني وحدي
جدائلُ نخلةٍ فرعاء
فابحث بين أكوام الحمار ، لعلَّ لؤلؤة ستبزغ منه كالنَّجمه ،
وإذ تدمى يداي وتنزِع الأظفار عنها ، لا ينزُّ هناك غيرُ الماء
وغير الطين من صدَفِ الحمار ، فتقطر البسمه

على ثغري دموعاً من قرار القلب تنبثق ،
لأن جميع من أحببتُ قبلك ما أحبوني .
وأجلسهنَّ في شرف الخيال .. وتكشف الحرق
ظلالاً عن ملامحهنَّ : آه فتلك باعني بأفون
لأجل المال ، ثم صحا فطلّتها وخلاها .
وتلك .. لأنها في العمر أكبرُ أم لأنَّ الحُسنَ أغراها
بأنني غير كفءٍ ، خلّفتني كلما شرب الندى ورقاً
وفتّح برعمٌ مثلتها وشمّت ريناها ؟
وأمس رأيتها في موقف للباص تنتظرُ
فباعدتُ الخطى ونأيتُ عنها ؛ لا أريد القربَ منها ،

هذه الشمطاء

لها الويلات ؟ ثم عرفتُها : أحسبتُ أن الحسنَ ينتصرُ
على زمن تحطّم سور بابلَ منه ، والعنقاء
رمادٌ منه لا يُذكّيه بعث فهو يستعر ؟
وتلك كأنَّ في غمازتيها يفتح السحرُ
عيونَ الفلِّ واللبّاب ، عافتني إلى قصر وسيّاره ،

إلى زوج تغير منه حالٌ ، فهو في الحارة
فقير يقرأ الصحف القديمة عند باب الدار في استحياء ،
يحدثها عن الأمس الذي ولّى فياكل قلبها الضجرُ .
وتلك وزوجها عبداً مظاهراً ليلها سهرُ
وخمرٌ أو قمارٌ ثم يوصدُ صُبْحُها الإغفاء
عن النهر المكرّر للشرائع يرفّ تحت الشمس والأنداء .
وتلك ؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها ،
شربتُ الشّعْر من أحداقها ونعستُ في أفياء
تنشرّها قصائدُها عليّ : فكل ماضيها
وكل شبّابها كان انتظاراً لي على شطّ يهوّم فوقه القمرُ
وتنعس في حماه الطيرُ رشّ نُعاسها المطرُ
فنبهها فطارت تملأ الآفاق بالأصداءِ ناعسةً
تؤجّج النور مرتعشاً قوادمها ، وتحققُ في خوافيها
ظلالُ الليل . أين أصيلُنَا الصيفيُّ في جيّكور ؟
وسار بنا يوسوس زورقٌ في مائه البلسور ؟
وأقرأ وهي تُصغي والربى والنّخل والأعناب تحلم في دواليها ؟

تفرقت الدروب بنا نسير لغير ما رجعه ،
وغيبها ظلام السجن تؤنس ليلها شمه
فتذكرني وتبكي . غير أني لست أبكيها
كفرت بأمة الصحراء
ووحى الأنبياء على ثراها في مغاور مكة أو عند وادها .
وآخرهن ؟؟

آه .. زوجتي ، قدري . أكان الداء
ليقعدني كاني ميت سكران لولاها ؟
وهأنا ... كل من أحببت قبلك ما أحبوني .
وأنت ؟ لعلته الإشفاق !!
لست لأعذر الله
إذا ما كان عطف منه ، لا الحب ، الذي خلّاه يسقيني
كؤوساً من نعيم .
آه ، هاتي الحب ، روّيني
به ، نامي على صدري ، أنيمي
على نهديك ، أوّاهي

من الحرق التي رصعت فؤادي ثمة افترست شراييني .
أحبيني

لأني كل من أحببت قبلك لم يحبوني .

باريس ١٩ / ٣ / ١٩٦٣

يقولون تحيا ...

لاحيبتُ لو أن في القلبُ بقيا
— وقد لفّه اللّيلُ — للمشرقِ ،
يقولون « ما زلت تحيا ، .. أحييا
كسيح إذا قام أعيان
به الداءُ فانهار ، لم تخفقِ
على الدرب منه الخطى ؟ يا أساه
ويا بؤس عينيه ممّا يراه ؟

* * *

يقولون : « تحيا » فيبكي الفؤادُ
فلو لم يكن خافقاً لاستراح ؛

كطير رمي بحجر الجناح
وقد مد ، عبر الربى والوهاد ،
بعينه : في دوحة خلف تلك الظلال
سجا عشه ، فيه زغب جياح
إذا حجب الغيم ضوء الهلال
يقولون « هذا جناح أبينا وقد عاد بعد الصراع
بزهره ،
بقطره

من الطل » .. حتى يُطلّ الصباح .
كطير رمي بحجر الجناح ،
أقضي نهاري بغير الأحاديث ، غير المنى ،
وإن عسّس الليل نادى صدى في الرياح :
« أبي .. يا أبي ، طاف بي وانثنى ،
« أبي .. يا أبي »
ويجش في قاع قلبي نواح :
« أبي .. يا أبي » .

« أبي .. يا أبي » في صغير القطار
« أبي .. يا أبي » في صياح الصغار
(خفاف الخطى يعبرون الدروب

بلا غاية ، يقطفون الثمار
ولا يطعمون ابنة جائعه .

ولي منزل في سهل الجنوب
إذا كنتُ أسمى ، من السابعة
إلى أوبة الطير عند الغروب ،
فكي أطعم الجائعين
وراء نوافذه شاخصين

إلى الدرب : « أين الأب المطعم »
« أبي .. يا أبي » والدجى مظلم

وجيكور خلف الدجى والدروب وخلف البحار .

لندن ٢٣ / ٢ / ١٩٦٣

وغدا سألها

وغداً سألقاها ،
سأشدّها شداً فتهمس بي
« رحماك » ثم تقول عيناها :
« مزّق نهودي » ، ضمّ - أوّاها -
ردفيّ ... واطور برعشة اللّهبِ
ظهري ، كأنّ جزيرة العربِ
تسري عليه بطيب ريتاها .
ويموج تحت يدي ويرتجفُ
بين التمنّع والرضا ردّفيّ ،
وتشب عند مفارق الشّعريّ

نارٌ تدغدغها : هو السَّعَفُ
من قريتي رعشتُ لدى النَّهْرِ
خوصاته ؛ وتلين لا تدري
أَيَّان تنقذف .
ويهم ثغري وهو منخطفُ ،
أعمى تلمسُ دربه ، يقفُ
ويجسُ : نهذاها
يتراعيان ، جوانب الظَّهْرِ
تصطكُ ، سوف تبلُ بالقطرِ ؛
سأذوب فيها حين ألقاها !

لندن ٢٧/٢/١٩٦٣

ليلة وداع

(إلى زوجتي الوفية)

أوصدي الباب ، فدنيا لست فيها
ليس تستأهل من عيني نظره .
سوف تمضين وأبقى .. أي حسره ؟
أتمنى لك ألا تعرفيها ؟
آه لو تدرين ما معنى ثوائي في سرير من دم-
ميّت الساقين محموم الجبين
تأكل الظلماء عيناى ويحسوها في
قائها في واحدة خلف جدار من سنين
وأنين

مستطار اللبّ بين الأنجم .

* * *

في غدر تمضين صفراء اليدِ
لا هوى أو مغنمٌ ، نحو العراقِ
وتحسّين بأسلاك الفراقِ
شائكات حول سهلٍ أجرد
مدّها ذاك المدى ، ذاك الخليج
والصحارى والروابي والحدود
أي ريشٍ من دموع أو نشيج
سوف يُعطينا جناحين نرود
بهما أفق الدجى أو قبة الصبح البهيج
للتلاقي ؟

كلّ ما يربط فيما بيننا محضُ حنينٍ واشتياقٍ
ربما خالطه بعضُ النفاق !
آه لو كنتِ ، كما كنتُ ، صريحه
لنفضنا من قرار القلب ما يحشو جروحه

ربما أبصرت بعض الحقد ، بعض السأم
خصلةً من شعر أخرى أو بقايا نغمٍ
زرعتها في حياتي شاعره
لست أهواها كما أهواك يا أغلى دمٍ ساقى دمي .
إنها ذكرى ولكنك غيرى تأثره
من حياةٍ عشتها قبل لقانا
وهوىٌ قبل هوانا .
أوصدي الباب . غداً تطويك عني طائفة
غير حبٍّ سوف يبقى في دمانا .

الكويت ٢١/٨/١٩٦٤

اغنية بنات الجن

شعورنا بلسلها المطر
وأشعل القمر
فيها فوانيس ، فيا قوافل الفجر
بشعرنا اهتدي ،
سيري إلى السحر ،
سيري إلى الغد ؟
نحن بنات الجن لا ننام ،
نهم في الظلام
على ذرى التلال أو نركض في المقابر ،
نعشق كل عابر ،

نسمعه أغانيَ الشباب والغرام .
إن نزلتُ صبيّةٌ فيها من البشرُ
وأوحشتها وحدةُ القبور أو دجنةُ الحفر
سرتُ أغانينا إليها تعبر الترابُ
تقول : « إن عريتِ فالثياب
تنسجها عناكبُ الشجرِ
وكلُّ خيطٍ من خيوطها يرنُّ كالوتر .
نامي إلى أن يؤذنَ القَدَرُ
ويُحشر الموتى إلى الحساب .
حبيبك الوفيُّ مسَّ ثغره ابتسام ،
فقد رأى سواك .
بل رآك في قوامها النديّ كالزهرة
وهديها ومقلتيها . أشعل الهيام
في عينه السهر ،
رآك فيها فاشتباك . ليته انتظر ؟ »

* * *

نلوح للطَّفل فراشاتٍ من الشعاع
تُحققُ في ذوائب الشجرِ ،
ويلمحُ العاشقُ في عيوننا الوداع
إذْ يصفرُ القطارُ أو يصفقُ الشراع .
ونحنُ للشاعر إن شعر
نلوح في الدُخانِ والعقارِ ،
نُشد : « فلكُ سَنَدْبَادَ ضلَّ في البَحَرِ
حقً أتى جزيرةً يهمس في شطآنها الحار ،
يهمس عن مليكة يحبها القمر
فلا يغيب عن سماء دارها النضار » .
فيهتف الشاعر : « خذني إلى حماها
لأنني أهواها
لأنني القمر ! ،
وُجنَّ وانتحر .

* * *

شعورنا بللها المطرُ ،

ويرشف القمر
منها إلى أن يُقبل السَّحَرُ .
نركض في المقابرِ
نُضلُّ كلُّ شاعر
وكلُّ من عبر ؟

لندن ٢٦/٢/١٩٦٣

جيكور أمي^(١)

تلك أمي ، وإن أجثها كسيحا
لائماً أزهارها والماء فيها ، والترابا
ونافضاً ، بمقلي ، أعشاشها والغابا :
تلك أطيّار الغد الزرقاء والغبراء يعبرن السطوحا
أو ينشترن في بويّب^(٢) الجناحين : كزهري يفتح الأفوافا .
ها هنا ، عند الضحى ، كان اللقاء
وكانت الشمس على شفاها تكسر الأطيافا
وتسفع الضياء .
كيف أمشي ، أجوب تلك الدروب الخضر فيها وأطرق
الأبواب ؟

أطلب الماء فتأتيني من الفخار جرّه
تنضح الظلّ للبرود الحلوّ ... قطره
بعد قطره .

تمتد بالجرة لي يدان تنشران حول رأسي الأطيابا :
(هالتي) تلك ، ام (وفيقة) ام (إقبال) ،
لم يبقَ لي سوى اسماء
من هوى مرّ كرعدي في سمائي
دون ماء .

كيف أمشي ! خطاي مزقها الداء . كأي عمود
ملتح يسير ..

أهي عامورة الغويّة أم سادوم ؟
هيهات .. إنّا جيكور ؛
جنّة " كان الصبي فيها وضاعت حين ضاعا .
آه لو انّ السنين السود قمحٌ أو صخورُ
فوق ظهري حملتهنّ ، لألقيتُ بحملي فنفضتُ جيكورُ
عن شجيراتّها تراباً يغشّيها وعانقتُ معزّي ملتنا ،

يُجْهَشُ الحَبَّ ، به ، لَحْنًا فَلَحْنًا
ولقاءً فوداعاً .

آه لو أن السنين الخُضر عادت ، يوم كُنَّا
لم نزل بعدُ فتَيْنِ لَقَبْتُ ثُلَاثًا أو رُبَاعًا
وجنّتي (هَالَةً) والشَّعْر الذي نَشْر أمواج الظلامِ
في سيولٍ من العطور التي تحمل نفسي إلى بحارٍ عميقة
ولَقَبْتُ ، برغم الموت ، ثغراً من وفيقه
ولأوصلتُك يا (إقبال) في ليلة رعدٍ ورياح وقتامٍ ،
حاملًا فانوسيَ الخفّاق تمتدُّ الظلالُ
منه أو تقصر ، إذ يرعش في ذاك السكون ،
ذلك الصمتِ سوى قَسْعَةِ الرعد ،

سوى خفّاق الخطى بين التلال
وحفيف الريح في ثوبك ، أو وهوة الليل مشى بين
الغصون ،

ولعانقتُك عند الباب ، ما أقسى الوداع !!
آه لكنّ الصَّبى ولّى وضاع ؛

الصَّبِي والزَّمانُ لن يرجعا بعدُ ،
فقرّتي يا ذكريات ونامي .

لندن ٥ / ٢ / ١٩٦٣

(١) إذا كان ٣ (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) = ٣ فاعلاتن، ٣ مستفعلن ،
٣ فاعلاتن مثلاً فإن الفرضية التي تقوم هذه القصيدة موسيقياً، عليها صحيحة. ارجو
ان تتاح الفرصة لتجربة هذه الفرضية على جهاز الأصوات الذي سبق للدكتور
محمد مندور ان قام ببعض التجارب عليه في باريس . غير اني لم التزم بذلك
إلا في الأجزاء الأولى من القصيدة .
(٢) نهر في جيکور .

يا غربة الروح

يا غربة الروح في دنيا من الحَجَرِ
والثلج والقار والفولاذ والضجر ،
يا غربة الروح .. لا شمس فأتلق
فيها ولا أفق

يطير فيه خيالي ساعة السحر .
نار تضيء الخواء البرد ، تحترق
فيها المسافات ، تدنيني ، بلا سفر ،
من نخل جيکور أجني داني الثمر .
نار بلا سمر

إلا أحاديث من ماضي تندفق
كأنهن حفيف منه أخيلة
في السمع باقية تبكي بلا شجر .
يا غربة الروح في دنيا من الحجر !

* * *

مسدودة كل آفاق بأبنية
سود ، وكانت سمائي يلهث البصر
في شطها مثل طير هدء السفر :
النهر والشفق
يميل فيه شراع يرجف الألق
في خفقه ، وهو يحثو ، كلما ارتعشا ،
دنيا فوانيس في الشطين تحترق ،
فراشة بعد أخرى تنشر الغبشا
فوق الجناحين .. حتى يلهث النظّر .

* * *

الحب كان انخطاف الروح ناجاها
روح سواها ، له من لمسة بيد
ذخيرة من كنوز دونما عدد .
الحب ليس انسحاقاً في رحي الجسد
ولا عشاء وخمراً من حمياها
تلتف ساق بساق وهي خادرة

تحت الموائد 'تحفي نشوة البشر
عن نشوة الله من همس ومن سحر
في خيمة القمر .
يا غربة الروح لا روح فتهاواها .

* * *

لولا الخيالات من ماضي تنسرب
كأنها النوم مغسولاً به التعب
لم يترك الضجر
مني ابتساماً لزوج سوف ألقاها
ان عدت من غربة المنفى : هو السحر
والحلم كالطل مبتلاً به الزهر
يمس جفنين من نور وينسكب
في الروح أفرحها حيناً وأشجاها .
تسللت طرقتي للباب تقرب
من وعيها وهو يغفو ثم تنسحب ،
ونشر الحلم أستاراً فأخفاها

ورف جفناها
حتى كأن يدي

إذ تطرق الباب مسّت منها : « واها !
من دقّ بابي ؟ أهذا أنت يا كبدي ؟ »
وذاب في قبلي ما خلف السّهر
في عينها من نعاس ، فهي تزدهر
كوردةٍ فتّحت للفجر عينها .

لندن ٢٦/٢/١٩٦٣

ام كلثوم والذكرى

وأشربُ صوتَها .. فيغوص من روعي إلى القاعِ
ويُشعل بين أضلاعي
غناءً من لسان النار ، يهتف « سوف أنساها
وأنسى نكبتى يحفائها وتذوب أوجاعي » .
وأشرب صوتها .. فكان ماء بُويبَ يسقيني
وأسمع من وراء كرومه ورباه « ها .. ها .. ها »
ترددها الصبايا السُّمرُ من حينٍ إلى حين .
وأشربُ صوتها فكان زورقَ زفّةٍ وأنينَ مزمارةٍ
تجاوبه الدرابكُ ، يعبران الروح في شفقٍ من النار
يلوح عليه ظل وفيقة الفرعاء أسودَ يزفر الآها

سحائب من عطورٍ ، من لحونٍ دون أوتارٍ .
وأشرب صوتها .. فيظل يرسم في خيالي صفً أشجارٍ
أغازل تحتها عذراءٌ ؛ أوتاهَا
على أياميَ الخضراءِ بعثرها وواراهَا
زواجٌ . ليت لحن العُرس كان غناء حفّارٍ
وقرعاً للمعاولِ وهي تحفر قبريَ المركوم منه القاع بالطين
وأذكرها ، وكيف (وجسّمُها أبقى على جسمي
عبراً منه ، دفناً غلّف الأضلاع) أنساها ؟
أنساها ؟ أنسى ضحكةً رعشت على لمي
وأعصابي ، وكفّاً مسّحت وجهي بريّاهَا ؟؟
قساة كلُّ من لا قيتُ : لا زوجٌ ولدُ
ولا خيلٌ ولا أب أو أخ فيزيل من همّي ..
ولكنُ . ما تبقى بعدُ من 'عمري' ؟ — وما الأبدُ ..
بعمري -

أشهرٌ ويريني موتٌ فأنساها .

لندن - ١٩٦٣/٣/٩

كيف لم أحبك ؟

كيف ضيَّعتك في زحمة أيامي الطويلة ؟
لم أحلَّ الثوبَ عن نهديكِ في ليلة صيف مُقنَّمرَه ؟ !
— يا عبير التَّوت من طوقِها .. مرَّغتُ وجهي في خميله
من شذى العذراء في نهديك —

ضيَّعتك ، آهٍ يا جميله !

إنه ذنبي الذي لن أغفره !

كيف لم أحبكِ ؟ ! يا لهفة ما بعد الألوان
في فؤادٍ لم تكوني فيه إلا جذوةً في بجمره !
شعرك الأشقر شعَّ اليوم شمشاً في جناني
يتراءى تحتها ساقاكِ ، يا للزنبقِ

رفاً من ساقينك ؟!
آه كيف ضيّعتك يا سرحة خوخٍ مُزهره ؟
آه لو عندي بساط الريح !!
لو عندي الحصان الطائر !!
آه لو رجلاي كالأمس تُطيقان المسيرا !
لطويت الأرضَ بحثاً عنك .
لكنّ الجسورا
قطعتها بيننا الأقدار . مات الشاعرُ
فيّ وانسدّت كوى الأحلام .

آه يا جميله !

البصرة - ٦٣/١١/٨

أسير القراصنة

أجنحةٌ في دوحةٍ تحفق
أجنحةٌ أربعة تحفق
وأنت لا حبٌ ولا دارٌ ،
يسلمك المشرقُ
إلى مغيبٍ ماتت النارُ
في ظلته ... والدرب دوّار
أبوابه صامتةٌ تغلقُ !

جيكور في عينيك أنوارُ

خافته تهمس :

« مات الصبي ! »

لم تبق آثار

من فجره ، وانقرط المجلس ،

فالتل لا ساق ولا سامر باق وسمار :

وأراهم في سفحه الموحش المهجور حفار !

وتحسد الشحاذ إن لاحا

يمشي على عكازه البالي .

مشولة رجلاك مشدودة عيناك بالآل

وألف درب دونك انداحا

يدعوك أن تقطعه في الدجى

وتقطف الأثمار عن جانبيه

وأنت لا تملك غير الشجى

ودمعة تجري اشتياقاً إليه .

عامان من نزع بلا موت

وأنت ما كنت سوى صوت ،

صوتٍ يدوي في قلاع الرياح .
يا ليتك المشاء في صمتٍ
لا عازف القيثارة باسم الجراح ؟
وأنت في سفينة القرصان
عبدٌ أسيرٌ دون أصفادٍ
تقبع في خوفٍ وإخلاقٍ
تصغي إلى صوت الوغى والطمان :
سال الدم ،
اندقت رقاب ومال
ربّانها العملاق
وقام ثانٍ بعده ثم زال
فامتدت الأعناق
لأي قرصان سيأتي سواه
وأي قرصانٍ ستعلو يداه
حيناً على الأيدي ؟

(وليأت من بعدي ...)

من بعديَ الطوفان «
تسمعها تأتيك من بُعدٍ
يحملها الأعصار عبر الزمان !

البصرة - ١٩٦٣/١٠/٢٩

نسيم من القبر

نسيم الليل كالأهات من جيکور يأتيني
فبيكيني
بما نفثته أمني فيه من وجدٍ وأشواقِ
تنفس قبرها المهجور عنها ، قبرها الباقي
على الأيتام يهمس بي : « تراب في شراييني
ودودٌ حيث كان دمي ، وأعراقي
هباءٌ من خيوط العنكبوت ؛ وأدمعُ الموتى
إذا اذكروا خطايا في ظلام الموت .. ترويني .
مضى أبدٌ وما لمحتك عيني ! »
— ليت لي صوتا

كنفح الصور يسمع وقعَه الموتى . هو المرّاضُ
تفكك منه جسمى وانحنت ساقى
فما أمشي ، ولم أهجرِكِ ، إني أعشق الموتى
لأنك منه بعض ؛ أنت ماضٍ الذي يمضُ
إذا ما اربدت الآفاق في يومي فيهديني !

* * *

أما رنّ الصدى في قبرك المنهار ، من دهليز مستشفى ،
صداي أصبح من غيبوبة التخدير ، أنتفضُ
على ومض المشارط حين سفت من دمي سفًا
ومن لحمي ؟ أما رنّ الصدى في قبرك المنهار ؟
وكم ناديتُ في أيام سُهدي أو لياليه :
أيا أمي ، تعالي فالمني ساقى واشفيني .
يشن الثلج والغربان تنعب من طوى فيه ،
وبين بهريّ المبتلّ حتىّ القاع بالأمطار
وقبرك ، تهدرُ الأنهارُ

وتصطحب البحار إلى القرار يخضها الإعصار .

* * *

أما حملت إليك الريحُ عبْرَ سَكينةِ الليلِ
بكاء حفيدتيكِ من الطوى وحفيدك الجوعانُ ؟
لقد جمعنا وفي صمتٍ حملنا الجوع والحرمان ،
ويهتك سرنا الأطفال ينتحبون من ويلِ
أفي الوطن الذي آواك جوع ؟ أيُّها أحزان
تورق أعين الأموات ؟

لا ظلم ولا جورُ
عيونها زجاجٌ للنوافذ يخنقُ الألوانُ .
هناك لكل بيت منزلٌ بالصمت مستورُ ،
ولكننا هنا عصفت بنا الأقدارُ من ظلٍ
إلى ظلٍ ومن شمسٍ إلى شمسٍ يغيب النورُ
على شرفات بيتٍ ضاحكاتٍ ثم يُشرق وهي أطلالُ
ويخفق حيث كر كر أمسٍ أطفالُ

صريرٌ للجنادب هامسات : « إنه المقدورُ
تصدّعُ برجُ بابل منه وانهدمت صخور السور ! »

* * *

أما حملت إليك الريحَ عبرَ سَكينة الليلِ
بكاءَ حفيدتيك من الطوى يعلو من السَّهْلِ ؟

البصرة - ١٨/٤/١٩٦٣

في المستشفى

كمستوحداً أعزلي في الشتاء
وقد أوغل الليل في نصفه ،
أفاق فأوقظ عين الضياء
وقد خاف من حقيقته ،
أفاق على ضربة في الجدار -
هو الموت جاء !
وأصغى : أذاك انهيار الحجار
أم الموت يحسو كؤوس الهواء ؟
لصوصٌ يشقون درباً إليه
مضوا ينتقبون الجدار .

وظلَّ يعدُّ انهيار التراب
ووقعَ الفؤوس على مسمعيه .
يكاد يحس التماع الحِراب
وحزاتها فيه .. يا للعذاب !!
وما عنده غير محض انتظار :
هو الموت عبر الجدار !

* * *

كذاك انكفأتُ أعضُ الوساد
وأسمتُ للمشرط القارس
قفاي المدمى بلا حارس .
— بغير اختياري ، طبيبي أراد ! —
لقد قصَّ .. مدَّ المحسَّ الطويل ...
لقد جره الآن . أواه .. عاد .
ولا شيء غير انتظار ثقيل .
ألا فاخرقوا ، يا لصوص ، الجدار
فهيئات ، هيئات ، مالي فرار !

لندن — ١٩٦٣/٢/٥

سلوى

ظلامُ الليلِ أوتارُ
يدندن صوتك الوسنان فيها وهي ترتجف ،
يرجع همسها السعفُ
وترتعش النجوم على صدهاء : يرن قيثار
بأعماق السماء . ظلام هذا الليل أوتار !

* * *

وكم عبر الخليج إلىَّ والأنهار والترعا ،
يدغدغ بيض أشرعة يهيم وراءها القمر
وينشج بينها المطر ؛
وأوغل في شعاب البرق ، يرجف كلما لما

ليحمل من قرارة قلبك الآلام والفرزعا .

* * *

أشمُ عبيركِ الليليّ في نبراتك الكسلى
يناديني ويدعوني
إلى نهدين يرتعشان تحت يدي وقد حلا
عُرى الأزرار من ذاك القميص ، ويملاً الليلا
مشاعلَ في زوارق ، في عرائشَ ، في بساتينِ

* * *

شذى الليمون يصرع كلّ ظلّ في دواليها .
أراكِ على السرير وأنت بين الليل والفجر :
يكاد النجم في الشباك والمصباحُ في الخدرِ
يمسّها النعاس ، وأنت زنبقةٌ حواشيها
ينبّتها هتاف الديكِ يعبر ضفّة النهر .

* * *

ويهمس بي صدى : « سلوى

تغنّي . كلُّ سلوى في خيالي تكشف الأضواء عنها

وهي تبتسم :

صديقةٌ كلُّ فحلٍّ من سدوم ، في يدٍ قلَمٌ

يسطرُّ في الجريدة أنها تهوى ولا تهوى ،

هي امرأتان في امرأة ... ويسرب في دمي ضرمٌ

* * *

وجارتنا الصبيّة في حرير النوم تنسرب ،

يشف الثوب عن نهدين طوذيّين كم رجفا

من الأحلام تحت يدٍ تعصر بردّها لهبٌ .

لها من فورة العذراء عطرٌ يرتخي ، يشب ،

يمارِجُ نفحَ ما نفحَ الحشيشُ ، يسيلُ مرتجفا .

* * *

والمحُ في سماء الصيف عبرَ تماوجِ الشجرِ

سماوةَ لندنَ المنهلُ فيها الثلج كالطر ،

ونافذةٌ تعلّق في الظلام زجاجُها الألق ،

ومدفأةٌ وراء الليل تحترق ،

وأسمع من يحدث عن هوى سلوى ويرقبُ طلعةَ السَّحَرِ:

* * *

« وأشعلتِ الظهيرةُ نارها في الشارع الممتدَّ بين حدائق
النارنج والعنَّابِ

وأصدتُ في رحابِ المنزل الخالي
خطى سلوى ، وأرخيتُ الستائر يا لشلالٍ
من الألوان والحدَر البرود .

ومسَّها كَهَبِي
فارْعشَ كلَّ عرق في صباها ، كلَّ ما عَصَبِ

* * *

ويزرع ألفَ غابٍ للنخيل غناؤك المكسالُ
ترقرقتِ الجداولُ بينهنَّ وأزهرَ اللِّيمونُ ...
وأنسامُ الربيعِ تمرُّ تنثرُ زهره في مائها السلْسال
يا حَمَلَ الوجوهِ إليَّ ماءُ غنائكِ المكسال
ويحملني النُّعاس إلى جزائرَ في مدى محزون !

البصرة ٩ / ٩ / ١٩٦٣

متى نلتقي ؟

ألا يأكلُ الرعبُ منا الضلوعُ
إذا ما نظرنا إلى ظلِّ تينه ،
فلاحتُ لنا ، من ظلامٍ ، قلوب
تهدهدُها غمغماتٌ حزينة ؟
ألا يأكلُ الرعبُ منا الضلوعُ ؟
ألا تتحجَّرُ منا العيونُ
إذا لاح في الليل ظل البيوتُ
هزيلة كما ينسجُ العنكبوت
ألا تتحجَّرُ منا العيون
ويلمع فيها بريقُ الجنون ؟

وبالأمس كنتا يُذيبُ العناقُ
دماً في دمٍ ،
كنورٍ ونارٍ ، سناً واحتراقُ
يحولان في منزلٍ مُظلمٍ
ولكن ما بيننا كان بحرُ
تغنيك أمواجه العاتية :
« سرعاك من قلعةٍ شدَّ منها حديدٌ وصخرُ
فما الحب هدمٌ لجدرانكِ العاليه » .
ولكن ما بيننا كان بحرُ
وصحراء تنشجُ فيها النجومُ
ولا نلتقي في دجىٍ أو صباحٍ ،
تموت على رملها عاصفاتُ الرياحِ
وتأكل غينَ الدليلِ التخومِ
وصحراءُ تنشجُ فيها النجومُ

وطارتُ بي الريحُ عبرَ البحارِ
إلى الليلِ والثلجِ والمجهلِ ،

فصرنا إلى واقعٍ لا نحر

بالتغازه فاسألني :

- وطارت بي الريحُ عبر البحارُ -

« أما من لقاءٍ لنا في الزمان ؟ »

بلى .. حينما تفهمين اللقاءُ

فيأوي إلى اللوحة المُغرَقان

يشدانها ، يرفعان الدعاء :

« ألا نجننا يا إله السماء ! »

ألا يأكل الرعب منا الضلوع

إذا ما نظرنا إلى ظلٍ تينه

فلاحت لنا ، من ظلام ، قلوب

تهدهدها غمغات حزينه ؟

ألا يأكل الرعبُ منا الضلوع ؟

لندن - ١٠/٣/١٩٦٣

أظلم من بشر^(١)

يا رب لو جدت على عبدك بالرقاد
لعله ينسى
من عمره الأما
لعله يحلم أنه يسير دونما عصا ولا عماد
ويذرع الدروب في السحر
حتى تلوح غابة النخيل
تنوء بالثمر
بالخوخ ؛ والرمان ، والأعناب فيها يعصر الأصيل
رحيقه المشمس أو تألق القمر

(١) كانت هذه القصيدة مشطوبة .

يدخلها فيختفي تحت ذوائب الشجر
ويقطف الجنى .

علق في رمانة عصاه وانثنى
ياكل أو يجمع الزهر :

حتى إذا ما انطلقا

وراح يطوي الطرُّقا

أحسن أو ذكر

بأنه بلا عصا سار وما شعر !

يا رب لو جدت على عبدك بالرقاد

لأنه يُذكره السَّهر

بأنه أقلُّ من بشر !

لندن ١٩٦٣/٢/٢٥

الفن والمجزة

ولولا زوجتي ومزاجها الفوار' لم تنهد' أعصابي^(١)
ولم ترتد' مثل الخيط رجلي دونما قوّه ،
ولم يرتج' ظهري فهو يسحبني إلى 'هوّه ،
ولا فارقت' أحبابي ،
ولا خلّفت' اود'سيوس^(٢) يضرب في دجى الغابِ
وتقذفه البحار إلى سواها دونما مرسى .
هناك تركته وطويت' عنه كتابي المهجور ،
سأكمل سفرتي معه ، ستحملني إلى جيکور
سفينته ، ولن أنسى
بأنّ وراء رغو البحر قلباً هدّه القلق'

وعيننا كلما زرع الغروبُ حدائقَ الدُّيُجُورِ
بأنجمها الصبايا شدَّ من حلاقها الشَّفَقُ
على الافق البعيد لعل خفقاً من شراع أو سنا مصباح
على اللُّجَجِ الضواري لاح .
فآه لو كنبلوبَ الحزينة زوجتي تترقبُ الأنسامُ
لعلَّ جناح طياره
كمحراثٍ من الفولاذ ، شقق بينها الأثلامُ
ليزرع ، ثم ، أزهاره .

* * *

ألا تبّاً لحبِّ هذه الآلامُ من عُقباه !
كأنَّ شفاهنا ، حين التقت ، رسمت من القُبُلِ
سريراً نمتُ فيه أنثُ منه الآه بعد الآه ،
وعكّازاً عليه مشيتُ ثم هويتُ في ثقل .
كأنَّ حجارة السور الذي ما بيننا قاما .
لها من هذه القبلات طينٌ شدّها شدّا .

أدهراً كان أم سبعا من النكبات أعواما ؟

* * *

ولكن ما عليها من جُنَاحٍ ؛ كنتُ معتدّاً
بذهني أو شبابي :

سوف أصهرها ، أغيرها كطينٍ في يد الفتنان .
وقد غيّرتُ . لكنّ الذي غيّرتُ ماذا كان ؟
فؤاداً ضيقاً كاللحد ... كيف اوسّعُ اللحد ؟
ونفساً حدّها بين السرير وبين قائمة الحساب كأنها قنّ
من الأقنان

مداه يمد بين البيت والحقل
حبالاً قيدت قدميه وهو يردد الألحان
ولم يكُ يفهم الكلمات (ليس لقطرة الطلّ
مكان إذ يجوع البطن يا لتلف الظمآن !!
أترويه المجرة وهي بحر - هكذا زعموا - على الشطآن
منه تناثرت كسرّ الكواكب فهي كالرمل

هنالك ، والمحار ؟ أكل هذا يشبع الجوعان ؟ (

* * *

ولكنني أحنُّ .. فهل أعود غداً إلى أهلي ؟

نعم سأعود ،

أرجع ، لا إليها بل إلى غيلان ؟

لندن - ١٩٦٣/٢/٢

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة في سورة غضب ، إذ ان زوجته أصرت عليه بالرجوع إلى العراق وقد ساءت صحته بعد ذلك: فتشائم واعتبر زوجته مسؤولة عن تدهور صحته « وكان من المفروض أن تنشر هذه القصيدة في « شناسيل ابنة الجلبي » ولكنه طلب عدم نشرها حينذاك ووضع مكانها قصيدة ليلة الوداع المنشورة في صفحة (٧٠) والتي أهداها إلى زوجته الوفية ؛ وفي قصيدة « ليلة الوداع » وقصائد أخرى نشرت في مجموعاته المختلفة ما يدل على أن قصيدة القن والمجرة بنت سورة غضب وتشائم . ونحن ننشرها هنا احتراماً لتراث الشاعر الذي يجب ألا يضيع منه شيء .

مكاز في الجحيم

وبقيت أدور
حول الطاحونة من ألمي
ثوراً معصوباً ، كالصخرة ، هيهات تثور
والناس تسير إلى القمم
لكني أعجز عن سير - ويلاه - على قدمي
وسريري سجنني ، تابوتي ، منفاي إلى الألم
وإلى العدم !!
وأقول سيأتيني يوم من بعد شهر
أو بعد سنين من السقم
أو بعد دهور !!

فأسير ... أسير على قدمي
عكازٌ في يديّ اليمنى
عكاز ؟ .. بل عكازانِ
تحت الإبطين يعينان
جسماً من أوجاع ... يفنى
طللاً يغشاه مسيل دمٍ
وأسير ... أسير على قدمي !! ...
لو كان الدرب إلى القبرِ
الظلمة والدود الفرّاس بألف فمٍ
يمتد أمامي في أقصى أركان الدنيا .. في نحرٍ
أو وادٍ أظلم أو جبلٍ عالٍ
لسعيت إليه على رأسي أو هديّ أو ظهري
وشققت إلى سقر دربي ودحوت الأبواب السوداء
وصرخت بوجه موكلّها
لم تترك بابك مسدوداً ؟؟ ...
ولتدعُ شياطين النار

تقتص من الجسد الهاري
تقتص من الجرح العاري
ولتأتِ صقورك تفترس العينين وتنتهشُ القلب
فهنا لا يشمتُ بي جاري
أو تهتف عاهرة مرّت من نصف الليل على داري :
« بيت المشلول هنا ، أمسى لا يملك أكلاً أو شرباً
وسيرمون غداً بنتيه وزوجته دربا
وفتاه الطفل إذا لم يدفع متراكم إيجارٍ »
انثري ، ويكّ ، أباديدا
وافتح بابك لا تتركه أمام شقائي مسدوداً
ولتطعم جسمي للنار !!

لوي مكنيس

أتى نعيه اليوم ، جاب الديار
وجاب المحيطات حتى أتاني ،
فلم تجر بالأدمع المقلتان
فقد غلغلت من دمي في القرار .
(أبي مات لم أبك حزنًا عليه
وإن جنّ قلبي
من الهمّ وانهد شوقاً إليه) .
نعتة إلينا مجلته ،
نعاه مقال حزين
نعتة لنا آدمياً مؤله

سماواته الشّعْر يصرخ بالغافلين ؛
وأحسستُ بالشوق (كالمدمنين
إلى جرعة من طليّ ظامئين)
إلى شعره ..
لأحرق ، قربانَ وجدٍ وحبٍّ ،
فؤادي في جمره .
ولكنّ ديوانه
دفيناً غدا بين أكداس كتبٍ
تلصّ العناكبُ ألوانه
ويقرأه الصمتُ للآخرين .
ومن لي بإخراج كنز دفينٍ
تهاوى عليه الحجارة ؟
كسيحٌ أنا اليوم كالميتين
أنادي فتعوي ذئاب الصدى في القفار :
« كسيحٌ
كسيحٌ وما من مسيحٍ » (١)

* * *

وتقرع - للصدى في خيالي - :
نواقيس من شعره في الضباب
أمن بعد عشرين مثل الحراب
يمزقن جنبي . مثل النصال
ارجي اذّكاراً لأبياته ؟
وهل يتذكر طفلٌ ملامح أمواته
وقد بعثرتها صروف الليالي ؟
« وبين المحبين ، زوجين عادا ،
يُدحرجُ شايُ الصباحُ
صحارى يضيع الصدى في دجاها الفساح ،
وعند المساء تقوم الجريده
جداراً يدقانه بالأكف الوحيده
فتضحك ، إذ يضربان ، الرياح ! » (٢)

* * *

وما بين زوجي وبينني خواء ،
فليت الصحارى وليت الجدار

توحّد ما بين زوجي وبينني ببرد الشتاء
وصمت الحجار !
ويا ليتني مت . إن السعيد
من اطّرحَ العبء عن ظهره
وسار إلى قبره
ليولد في موته من جديد !

البصرة - ٩ - ١ - ١٩٦٤

- (١) توفيق صايغ ؛ معلقة توفيق صايغ .
(٢) الأصل للوي مكنيس .

حميد

« حميد ، أخي في البلاء الكبير
— فقد كان مثلي كسيحا
يدب بكرسيه مستريحا
تساءلت عنه فقالوا « يسير
على قدميه فقد عاد روحا
لقد مات »

يا ويلنا للمصير !!
ينام ورجلاه مطويتان
شهوداً على الداء ، في قبره
إذا ما رأى الله رأي العيان

وقد سار زحفاً على صدره
فأي انسحاقٍ وأي انكسار
يشعان من عينه الضارعه !!
سيبكي له الله من رحمة واعتذار .

* * *

وفي الساعة السابعة
إذا ذرت الريح ورد الغروب .
سأجلس في الشرفة الخالية
ومن تحتيّ الدرب يخفق ، ينأى ، يذوب :
ألوف من الأرجل الماشيه
إلى أي مبنًى وراء الدروب
وخمارة في الدجى نائية !!
إلى اللغو والقهقهات الكذوب
والمح فيما وراء الظلال
حميداً وكرسیه في الخيال
فتخنقني اللوعة الباكية

فأواه لو توقدين الشموع
لدى مسجد القرية المترب
تمد من النور خيطاً تعلق فيه الدموع ،
ولو تضرعين ، مع المغرب ،
إلى الله : « يا رب رفقاً بطفلي الصغير
وابقِ أباه
وجنبه ، يا رب ، هذا المصير ! »
ولكنني متة ... واحسرتاه !

المعول الحجري

رنين المعول الحجري في المرتج من نبضي
يدمر في خيالي صورة الأرض
ويهدم برج بابل ، يقطع الأبواب ، يخلع كل آجره
ويحرق من جنائنها المعلقة الذي فيها
فلا ماء ولا ظل ولا زهره
وينبذني طريداً عند كهف ليس تحمي بابه صخره
ولا تدمي سواد الليل نار فيه يحيني وأحييها .
تعالى يا كواسر يا أسود ويا نمور ومزقي الإنسان
إذا أخذته رجفة ما يبث الليل من رعب
فضجى بالزئير وزلزي قبره

دماغى وارث الأجيال ، عابر لجة الأكوان
سأكل منه داءٌ شلّ من قدمي وشديداً على قلبي
كلامٌ ذاك أصدق من نبؤة أيّ عرّافٍ
تريه مسالك الشهبِ
حمى الأسرار ، تطلعه على المتربص الخافي
إذا نطق الطبيبُ فأسكتوا العرّاف والفوّال
رنين المعول الحجري يزحف نحو أطرافى
سأعجز بعد حين عن كتابة بيت شعر في خيالي جالٍ
فدونك يا خيال مدى وآفاق وألف سماءٍ
وفجّر من نجومك ، من ملايين الشمس من الأضواء
وأشعل في دمي زلزال
لأكتب قبل موتى أو جنونى أو ضمور يدي من الإعياء
خوالج كل نفسي ، ذكرياتي ، كل أحلامي
وأوهامي
وأسفع نفسي الشكلى على الورقِ
ليقرأها شقي بعد أعوام وأعوام

ليعلم أن أشقى منه عاش بهذه الدنيا
وآلى رغم وحش الداء والآلام والأرق
ورغم الفقر أن يحيا
ويا مرضي ، قناع الموت أنت ، وهل ترى لو أسفر الموت
أخاف ؟ ألا دع التكشيرة الصفراء والثقبين ،
حيث امتصت العينين
جحافل من جيوش الدود يحثم حولها الصمت ،
تلوح لناظري . ودع الدماء تسحّ من أنفي من الثقبين
فأين أبي وأمي .. أين جدي . أين آبائي
لقد كتبوا أساميهم على الماء
ولست براغب حتى بخط اسمي على الماء
وداعاً يا صحابي ، يا أحبائي
إذا ما شئتمو أن تذكروني فاذكروني ذات قمر
وإلا فهو محض اسم تبدد بين أسماء
وداعاً يا أحبائي ..

في غابة الظلام

عيناي "تحرقان غابة الظلام"
يحمرتها اللتين منها سقر ،
ويفتح السهر
مغالق الغيوب لي .. فلا أنام .
وأسبر الأرض إلى قرارها السحيق
ألم في قبورها العظام
فطالعتني - كالسراج في لظى الحريق -
تكشيرة رهبة "رهبة"
"تليحها جمجمتي الكئيبة"
سخرية الإله بالأنام

* * *

عيناى من سريري الوحيد
تحدقان في المدى البعيد ؛
الليل وحش تطفنانه ، مع النجوم ،
بخنجرىها وخنجر السحر ،
الليل خنزير الردى ، العنيد
يشق خنجراهما إهابه الغشوم
لألمح العراق مرغ القمر
على ترابه البليل ضوءه الحزين .

* * *

ومقلتا غيلان تومضان بالحنين ،
يرقب من فراشه ذوائب الشجر ،
أمضته السهاد ، عذبتة زحمة الفكر
(أين من الطفولة السهاد والفكر ؟)
عيناه في الظلام تسربان كالسفين .
بأي حقل تحلمان ؟ أيما نهر ؟
بعودة الأب الكسيح من قرارة الضريح ؟

(أُميَّتْ فيهِتَفَ المسيحُ
من بعد أن يزحزح الحَجَرُ :
« هلم يا عازر » ؟)
عيناه لظى وريحُ
تُحرق في أضالعي مضارب الفَجَرِ !

* * *

أليس يكفي أيُّها الآلهُ
أنَّ الغناء غايةُ الحياه
فتصبغَ الحياةَ بالقتامِ ؟
تحيلني ، بلا ردى ، حطام :
سفينةُ كسيرةٍ تطفو على المياه ؟
هاتِ الردى ، أريد أن أنام
بين قبور أهلي المبعثره
وراء ليل المقبره
رصاصه الرحمة يا إله !

الكويت ١٩٦٤/٧/٩

رسالة

رسالة منكِ كاد القلبُ يلثمها
لولا الضلوع التي تثنيه أن يشبا
رسالة لم يهبَّ الورد مشتعلا
فيها ؛ ولم يعبق النارج ملتهبا
لكنها تحمل الطيب الذي سكرت
روحي به ليل بتنا نرقب الشها
في غابةٍ من دخان التبغ أزرعها
وغابةٍ من عبير منكِ قد سربا
جاءت رسالتك الحضراء كالسَّعَفِ
بل الحيا منه والأنسام والمَطَرُ

جاءت لمرتبجفِ
على السرير ، وراء الليل 'يحتضر'
لولا هواك وبُقياء فيه من أسفِ
أن لم يروا هواه منك فهو على الشطين ينتظر
سفينة يتشهى ظلها النهر
فيها الشفاء هو الربان ، والقدر
فيها المغني
لكان مما عراه الداء ينتحر !
جاءت تحدثني عني
عن شهقة الصيف في جيکور 'يحتضر'
عن صوت أغربة تبكي ، وأصداء
تذر ذر الظلمة الصفراء في السعفِ
وعن بنات لاوى خلف منعطفِ
تعوي فتهتف أم ! « أين أبنائي ؟؟ ! »
وتنفذ الدرب عيناها وتهتف !
« يا محمود ... علوان ! »

لا رد ولا خبر !

* * *

ويا حديثك عن « آلاء » يلذعها
بعدي فتسأل عن بابا « أما طابا »^(١)
أكاد أسمعها

رغم الخليج المدوّي تحت رغوته
أكاد ألتئم خديها وأجمعها
في ساعدي ...

كأنني أقرع البابا

فتفتحين ...

وتخفي ظلنا الستّر !!

الكويت ١٩٦٤/٨/٣

١ - « آلاء » طفلة الشاعر ، و « أما طاب » أي أما أبل من مرضه
وقد أوردها علي ما يبدو كما تلفظها طفلة ، وهي عامية .

ليلة انتظار

يدُ القمر النديّةُ بالشذى مرّتْ على جرحي ،
يدُ القمر النديّةُ مثلَ أعشاب الربيع لها إلى الصّبحِ
خفوقٌ فوق وجهي ، كفٌ طفليّ الصغيرة ، كفٌ آلامٍ !
وهمسٌ حول جرحي : كفٌ طفليّ الكبيرة ، كفٌ غيداءِ
تدغدغني ونحنُ على السرير معاً ، على السطحِ
هناك !! وآه من ذاك المدى النائي ،
لأقربُ منه بجمرةُ الثريّا وهي تلتهبُ
بعيدٌ بُعدٌ يوم فيه أمشي دون عكازٍ على قدمي
يُثست من الشفاء ، يثست منه وهدّني التعبُ
وحلّ الليلُ ما أطويه من سهرٍ إلى سهرٍ ومن ظلمٍ إلى ظلمٍ

ولكنّ اليد النديانة الكسلى ترشّ سنابل القمح
على دربٍ من الهمسات في حلمٍ
بلا نومٍ يرفّ على جفوني ثم يحشوهنّ بالملح.

* * *

غداً تأتين يا إقبال ، يا بعثي من العدم.
ويا موتي ولا موت .
ويا مرسى سفينتي التي عادت ولا لوحٌ على لوح.
ويا قلبي الذي إن متُّ أتركه على الدنيا ليبكي
ويجأ بالرثاء على ضريحي وهو لا دمع ولا صوت
أحبّيني ! إذا أدرجت في كفني ... أحبّيني
ستبقى - حين يبلى كل وجهي ، كل أضلاعي
وتأكل قلبي الديدان ، تشربه إلى القاع.
قصائد .. كنت أكتبها لأجلك في دواويني
أحبها تحبيني !!

الكويت - المستشفى الأميري ١٩٦٤/٨/٥

نفس وقبر

نفسي من الآمال خاويةٌ
جرداء لا ماءٌ ولا عُشبٌ
ما أرتجيه هو المحال وما
لا أرتجيه هو الذي يجبُ
قدرٌ رمى فأصاب صادحة
في الجوَّ خرَّتْ وهي تلتحبُ
من ذا يُعيدُ إلى قوادمها
أفق الصباح تضيئه الشحبُ

* * *

صليبُ المسيحُ فأَيُّ معجزة
 تأتي ؟ وأيُّ دعاءٍ ملهوفٍ
 ستزيج أبوابُ السماء له
 أغلاقها ؟! حبلٌ من الليفِ
 هيهات يُرقى للسماء به
 ليهزّ عرش الله تخريفي
 « مولاي مشلولٌ ! » فتحدجني
 عينُ الملاك : « وأي ملهوفٍ
 لا يشتكي لله محتته ؟
 إرجع لبيتك دون إبطاء »
 فبأيّ آمالٍ أعيش إذن
 وأدبٌ حَيّاً بين أحياء
 لولا مخافة أن يعاقبني
 عدلُ السماء لعنتُ آبائي
 ولعنتُ ما نسلوا وما ولدوا
 من بائسين ومن أذلاء

الدودة العمياءُ يلسعها
بردٌ يقلّصها ويطويها
أوتاه لو ترضى تبادلني
عيشي بعيشٍ كاد يُفنيها
ولو استجاب الله صرخة ذي
بلوى لصحتُ : « وخيرُ ما فيها
موتٌ يجيء كأنه سنةٌ
وميس آلامي فينهيها »

* * *

كم ليلةٍ قراء يطفئها
ليل النجوم ودورةُ الشهر
محسوبةٌ ، ويلاه ، من عمري
وهي التي ضاعت على عمري

وثلاثة خضراء ، أربعة ،
نثرت أزهارها وما أدري .

يا ليتها بغد تعوضني
فتمراً باكية على قبري

الكويت - المستشفى الأميري ١٩٦٤/١١/١٠

اقبال والليل

وما وُجدُ ثكلىً مثلَ وجدي إذا الدجى
تهاوّنَ كالأمطارِ بالهمِّ والسهدِ
أحنّ إلى دارٍ بعيدٍ مزارُها
وُزغِبَ جِيعاً يصرخون على بُعْدِ
وأشفقُ من أصبحَ سيأتي ، وأرتجى
محيئاً له يحلو من اليأس والوجدِ

الليل طار وما نهاري حين يُقبلُ بالقصيرِ
الليل طال : 'نباح' آلاف الكلاب من الغيومِ

ينهل ، ترفعه الرياح ، يرن في الليل الضرير
وهتاف حراس سهارى يجلسون على الغيوم
الليل والعشاق ينتظرون فيه على سنا النجم الأخير

يا ليل ضمتك العراق
بعبير تربته وهدأة مائه بين النخيل
إني أحسك في الكويت وأنت تثقل بالأغاني والهديل
أغصانك الكسلى و « يا ليل » طويل
ناحت مطوقة بباب الطاق في قلبي تذكر بالفراق
في أي نجم مطفأ الأنوار يخفق في المجره
ألقت بي الأقدار كالحجر الثقيل
فوق السرير كأنه التابوت لولا أنة ودم
يراق
في غرفة كالقبر في أحشاء مستشفى حوامل
بالأسرّة .

يا ليل أين هو العراق ؟
أين الأحبة ؟ أين أطفالي ؟ وزوجي والرفاق ؟
يا أمّ غيلان الحبيبة صوّبي في الليل نظره
نحو الخليج . تصوّريني أقطع الظلماء وحدي
لولاك ما رمت الحياة ولا حننت إلى الديار
حبّبت لي سدّف الحياة ، مسحتها بسنا النهار
لم توصدين الباب دوني ؟ يا لجوّاب القفار
وصل المدينة حين أطبقت الدجى ومضى النهار
والباب أغلق فهو يسعى في الظلام بدون قصد

* * *

وخوض في الظلماء سمعي تشدّه
يحيكور آهات تحدّرن في المسدّ
بكاء وفلاحون جوعى صغارهم
تصبّروهم عذراء تحنو على مهد
يغنّي أساها خافق النجم بالأسى
وتروي هواها نسمة الليل بالورد

أين الهوى ممّا ألاقى والأسى ممّا ألاقى؟
يا ليتني طفل يجوع ، يئنّ في ليل العراقِ !
أنا ميت ما زال يحتضر الحياه
ويخاف من غده المهدّد بالجماعة والفراقِ
إقبال مدّي لي يدّيك من الدجى ومن الفلاه ،
جسّتي جراحى وامسحها بالمحبّة والحنان
بك ما أفكر لا بنفسى : مات حبّك في ضحاه
وطوى الزمان بساط عرسك والصبى في
الغفوان (١)

(١) لم تؤرخ هذه القصيدة ويحتمل أنها آخر قصيدة كتبها الشاعر .

ليلي

قَرَّبَ بعينيكَ مني دونَ اغضاءِ
وخلَّني أتملِّي طيفَ أهوائي (١)

أبصرتها ؟ كادت الدنيا تفجّر في
عينيك دنيا شمس ذات الاءِ

أبصرتَ ليلى فلبنان الشموخ على
عينيك يضحكُ أزهاراً لأضواءِ

إني سألتها في بؤبؤيك كمن
يقبّل القمرَ الفضيّ في الماءِ

(١) من القصائد التي نظمت في الكويت ولا يعرف تاريخها .

ليلي ! هواي الذي راح الزمان به
وكاد يفلت من كفي بالداء
حنانها كحنان الأم دثرتني
فأذهب الداء عن قلبي وأعضائي
أختي السقي عرضها عرضي وعفتها
تاج أتيه به بين الأخلاء
عرفتها فعرفت الله عن كسبي
كان في مقلتها درب اسرائي
ليلي هواي مناي شعري
روحي الأعز علي من روعي وآمالي وعمري
حملت ضفيريها هواي كأنها أمواج نهر
حملته نحو مدى السماء
نحو الهجرة والنجوم ونحو جيكور الجميلة
فأنا فتى أتصيد الأحلام يالك من فراشات خضيلة

أتصيد الأشعار فيها والقوافي والغناء
أو تذكرين لقاءنا في غرفة للداء فيها
ظل كظل الليل يمتشق ساكنها

لَكُنَّا بِالشَّعْرِ حَوْلَنَا زُرْعًا مِنْ ضِيَاءِ
 بِالْحَبِّ أَزْهَرَ وَاللِّقَاءِ
 مَا كَانَ أَحْلَى حَبْنَا الْعَرَبِيَّ حُبَّ كَثِيرٍ وَجَنُونَ قَيْسٍ
 التَّبَعُ صَحْرَائِي أَهْمٌ عَلَى رِفَارِفِهَا الْحَزِينَةِ
 وَهَنَّاكَ نَبِيَّ خِيَمَتَيْنِ مِنَ التَّأْسِي
 « لَيْلِي مَنَادٍ دَعَا لَيْلِي فَخَفَّ لَهُ
 نَشْوَانٌ فِي جَنْبَاتِ الْقَلْبِ عَرَبِيْدٌ
 كَسَا النَّدَاءُ اسْمَهَا سَحْرًا وَحَبِيْبَهُ
 حَقٌّ كَانَ اسْمُهَا الْبَشْرَى أَوْ الْعَيْدُ
 هَلِ الْمَنَادُونَ أَهْلُوهَا وَإِخْوَتُهَا
 أُمُ الْمَنَادُونَ عَشَاقُ مَعَامِيْدِ
 إِنْ يَشْرِكُونِي فِي لَيْلِي فَلَا رَجَمْتَ
 جِبَالُ نَجْدٍ لَهُمْ صَوْتًا وَلَا الْبَيْدُ ،
 لَيْلِي تَعَالِي نَقْطِعِ الصَّحْرَاءَ فِي قَمَرَاءِ حُلُوَّةِ
 مَتَمَسِّكِينَ يَدًا إِلَى يَدٍ مِنْ نَحْبِ
 وَتَرْنَ فِي الْأَبْعَادِ غَنَوَةً
 لِلرَّمْلِ هَمْسٌ تَحْتَ أَرْجُلِنَا بِهَا ، لِلرَّمْلِ قَلْبٌ

يهتز منها أو ينام وللنخيل بها أنين .
وتهرعن بعد كلابٍ يا لغيم من نباحٍ
هيهات يعشقه سوى غبش الصباح
فأنا وأنتِ نسير حق تتعبين
« ماء أريد أليس في الصحراء غير صدى وطين ؟ »

وتكرر الصحراء عن ماء وراء فم الصخور
فأظل بالكفين أسقيك المياه فترتوين
أسقي صداك فترتوين
أو تذكرين لقاءنا في كل فجر
وفراقنا في كل أمسية إذا ما ذاب قرص
الشمس في البحر العتي
تأتين لي وعبير زنبقة يشق لك الطريق فأبي عطر !
وتودعين فتهبط الظلماء في قلبي ويطفئ نور القمر الوضي
فكأن روحي ودعتني واستقلت عبر بحر
وأظل طول الليل أحلم بالزنابق والعبير
وحفيف ثوبك ، والهدير
يعلو فيفارق ألف زنبقة وثوب من حرير

فهرست

ازهار و اساطير

٦٥	في ليالي الخريف	٥	أقداح وأحلام
٧٠	أغنية قديمة	١٢	أهواء
٧٥	ستار	٢١	في السوق القديم
٧٩	سجين	٢٩	اللقاء الأخير
٨٢	ذكرى لقاء	٣٣	أساطير
٨٦	ملال	٣٨	اتبعيني
٨٨	نهاية	٤٢	رثة تتمزق
٩٣	في القرية الظلماء	٤٧	سوف أمضي
٩٧	لقاء ولقاء	٤٩	هوى واحد
١٠١	هل كان حباً	٥٢	لن نفترق
١٠٤	الموعد الثالث	٥٤	سراب
١٠٦	في اخريات الربيع	٥٦	وداع
١٠٨	ديوان شعر	٥٩	لا تريد له لوعة
١١٠	نهر العذارى	٦١	هجير
		٦٣	عينان زرقاران

المعبد الغريق

١٦٨	ذهبت	١١٧	شباك وفيقة (١)
١٧٠	يا نهر	١٢١	شباك وفيقة (٢)
١٧٣	صباح البط البري	١٢٥	حدائق وفيقة
١٧٦	المعبد الغريق	١٣٠	أم البروم
١٨٦	أفياء جيكتور	١٣٥	امام باب الله
١٩١	الشاعر الرجيم	١٤٠	القيمة الغريبة
١٩٥	لأني غريب	١٤٣	دار جدي
١٩٧	ابن الشهيد	١٤٩	حنين في روما
٢٠١	فرار عام ١٩٥٣	١٥٣	الأم والطفلة الضائعة
٢٠٥	جيكتور شابت	١٥٨	النبوءة الزائفة
٢١٠	احتراق	١٦١	مدينة السراب
٢١٢	سهر	١٦٤	نبوءة ورؤيا
٢١٧	الوصية		

منزل الأقنان

٢٨٤	الشامدة	٢٢٩	رجل النهار
٢٨٧	أسمه يبكي	٢٣٣	هدير البحر والأشواق
٢٩٠	دوم	٢٣٦	نداء الموت
٢٩٣	قصيدة من دوم	٢٣٨	ربيع الجزائر
٢٩٦	قالوا لأيوب	٢٤٢	خديني
٢٩٩	الليلة الأخيرة	٢٤٦	حامل الحرر الملون
٣٠٣	القصيدة والعنقاء	٢٤٨	سفر أيوب
٣٠٧	هرم المغني	٢٧٧	منزل الأقنان
٣٠٩	قصيده إلى العراق الشاعر	٢٨١	وصية من مختصر

أنشودة المطر

٤١٤	جيكور والمدينة	٣١٧	غريب على الخليج
٤٢٠	العودة لجيكور	٣٢٤	مرحى غيلان
٤٢٩	رؤيا في عام ١٩٥٦	٣٢٨	أغنية في شهر آب
٤٤٢	قارىء الدم	٣٣٣	غارسيا لوركا
٤٤٧	ثعلب الموت	٣٣٥	تعتم
٤٤٩	المبغى	٣٣٨	الخبير
٤٥٣	النهر والموت	٣٤٤	عرس في القرية
٤٥٧	المسيح بعد الصلب	٣٤٩	مروثة الآلهة
٤٦٣	مدينة السندباد	٣٥٥	من رؤيا فوكاي
٤٧٤	أنشودة المطر	٣٦٨	قافلة الضياع
٤٨٢	مربروس في بابل	٣٧٥	يوم الطغاة الأخير
٤٨٦	مدينة بلا مطر	٣٧٨	إلى جميلة بو حيرد
٤٩٢	بور سعيد	٣٨٩	رسالة من مقبرة
٥٠٩	الموسم العمياء	٣٩٤	في المغرب العربي
٥٤٣	حفار القبور	٤٠٣	مروثة جيكور
٥٦٣	الأسلحة والأطفال	٤١٠	تموز جيكور

شناشيل ابنة الجلبي

٦١٥	الباب تفرعه الرياح	٥٩٧	شناشيل ابنة الجلبي
	من ليالي السهاد	٦٠٢	ارم ذات الصناد
٦١٨	١ - ليلة في لندن	٦٠٨	في الليل
٦٢١	٢ - ليلة في باريس	٦١١	في انتظار رسالة

٦٧٦	في المستشفى	٦٢٥	٣ - ليلة في العراق
٦٧٨	سأوى	٦٣٠	خلا البيت
٦٨٢	متى نلتقي	٦٣٣	جيكور وأشجار المدينة
٦٨٥	أظل من بشر	٦٣٥	ها .. ها .. هو
٦٨٧	القن والمجرة	٦٣٩	أحبيني
٦٩١	عكاز في الجحيم	٦٤٤	يقولون نجيا ..
٦٩٤	لوي مكنيس	٦٤٧	وغداً سألقاها
٦٩٨	حميد	٦٤٩	ليلة وداع
٧٠١	المول الحجري	٦٥٢	أغنية بنات الجن
٧٠٤	في غابة الظلام	٦٥٦	جيكور أمي
٧٠٧	رسالة	٦٦٠	يا غربة الروح
٧١٠	ليلة انتظار	٦٦٤	أم كلثوم والذكرى
٧١٢	نفس وقبر	٦٦٦	كيف لم أحبيك
٧١٦	أقبال والليل	٦٦٨	أسير القراصنة
٧٢٠	ليلي	٦٧٢	نسيم من القبر

8 1 1 / 0 0 / 0 0 3 4 2

